

محمود عثمان رزق

# السودان مهبط التوراة ومجمع البحرين



دار "إي-كتب"، لندن، 2019

الطبعة الثانية



Dr. Binibrahim Archive

## المؤلف في سطور



### محمود عثمان رزق

تاريخ ومكان الميلاد: 10 رمضان 1380 هـ الموافق الأحد فبراير 1961م بمدينة شندي  
المؤهلات العلمية: - ماجستير في ادارة مؤسسات التعليم العالي من جامعة كابلن  
بالولايات المتحدة الأمريكية.

- بكالوريوس علوم سياسية من جامعة أيوا Iowa بالولايات  
المتحدة الأمريكية

- بكالوريوس صحافة واعلام من جامعة أيوا Iowa بالولايات  
المتحدة الأمريكية

#### خبرات العمل العام:

- رئيس اتحاد الطلبة المسلمين بجامعة أيوا بالولايات المتحدة
- شارك في تأسيس عدد من المراكز الإسلامية بالولايات المتحدة
- أسس وأدار عدداً من المؤسسات التعليمية بالولايات المتحدة
- شارك في تأسيس عدد من منظمات المجتمع المدني بالسودان
- أحد مهندسي مبادرة أهل الله لأصلاح ذات البين في دارفور التي أصبحت  
مخرجاتها أساساً لاتفاقية الدوحة.
- قدم في عام 1995 مشروعاً لمعهد الدراسات الاستراتيجية يدعو فيه لتأسيس  
مكتبة وطنية، ومكتبات ولائية، ومكتبات عامة، ومكتبات رئاسية.

#### الخبرات العملية:

- تقلب في عدد من الوظائف الإدارية غير الحكومية
- يعمل في القطاع الخاص رجل أعمال.
- النشاط الفكري:
- له كتاب "الحساب الفلكي وتحديد بداية ونهاية الشهور العربية".
- له كتاب "الدستور الدائم: مقترح ومفاهيم"
- له عدد من المخطوطات التي لم تنشر بعد.
- نشر مقالات وبحوث متنوعة تجاوزت ال 130 في الصحف السودانية وشبكة  
الإنترنت.
- لا ينتمي سياسياً لأي حزب، ولا جماعة، ولا مذهب من المذاهب.
- له اجتهادات ونظرات خاصة في مجال السياسية والفقه.

# Sudan: The land of the Torah and Junction of the Two Seas

By:

Mahmoud Osman Rizig

يطرح هذا الكتاب تحدياً جديداً أمام الباحثين والمفسرين وقراء التاريخ. إذ أنه ينطلق من نظرية تنسف المتداول ابتداءً من مكان نزول التوراة، والمكان الذي انطلق عنده البحر لكي يعبره بنو إسرائيل.

بل إنه يتحدى الاعتقاد السائد بأن يكون رمسيس الثاني هو فرعون موسى الذي "غشبه من اليم ما غشبه"

وهو يقدم قراءة متأنية لكيات القرآن الكريم التي تناولت قصة موسى وفرعون ومضائر بني إسرائيل وترواحهم، ويتتبع من الخطوات ما لم يتتبعه كثير من الباحثين الذين سبقوه.

(الناشر)

آلاف الكتب، لكل وقت، ومن أي مكان



محمود عثمان رزق

# السودان مهبط التوراة ومجمع البحرين



دار "إي-كتب"، لندن، 2019

الطبعة الثانية

**السودان  
مهبط التوراة  
ومجمع البحرين**

**Sudan: The land of the Torah and Junction of the Two Seas**

**By: Mahmoud Osman Rizig**

**All Rights Reserved to the author ©**

**Published by e-Kutub Ltd**

**Distribution: TheBookExhibition.com & Associates**

**All yields of sales are reserved to the author**

**ISBN: 9781780584966**

**Second Edition**

**London 2019**

**\*\* \* \*\***

**الطبعة الثانية،**

**لندن، 2019**

**السودان: مهبط التوراة ومجمع البحرين**

**المؤلف: محمود عثمان رزق**

**الناشر: e-Kutub Ltd، شركة بريطانية مسجلة في إنجلترا برقم: 7513024**

**© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف**

**التوزيع: TheBookExhibition.com**

**كل عائدات البيع محفوظة للمؤلف**

**لا تجوز إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب إلكترونياً أو على ورق، كما لا**

**يجوز الاقتباس من دون الإشارة إلى المصدر.**

**أي محاولة للنسخ أو إعادة النشر تعرض صاحبها إلى المسؤولية القانونية.**

**إذا عثرت على نسخة عبر أي وسيلة أخرى غير موقع الناشر (إي-كتب) أو**

**غوغل بوكس أو أمازون، نرجو إشعارنا بوجود نسخة غير مشروعة، وذلك**

**بالكتابة إلينا:**

**[ekutub.info@gmail.com](mailto:ekutub.info@gmail.com)**

**ويمكنك أيضاً الكتابة للمؤلف على:**

**[morizig@hotmail.com](mailto:morizig@hotmail.com)**



## الفهرس

|          |  |
|----------|--|
| 7.....   | الإهداء  |
| 9.....   | مقدمة الكتاب   |
| 11.....  | مقدمة الطبعة الثانية   |
| 20.....  | أسئلة لنكش التاريخ   |
| 33.....  | مقدمة البحث  |
| 36.....  | المحور الأول: كلمة "البحر"                                       |
| 39.....  | المحور الثاني، كلمة "اليم"                                       |
| 55.....  | المحور الثالث: قصة السامري                                       |
| 59.....  | المحور الرابع: السرعة في الحركة                                  |
| 71.....  | المحور الخامس: دلالة {وأغرقناهم وأنتم تنظرون}                    |
| 74.....  | المحور السادس: {وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون}                   |
| 77.....  | المحور السابع، دلالة قوله: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ} |
| 80.....  | قصة المناذاة الأولى  |
| 85.....  | قصة المناذاة الثانية وقصة الطور الأيمن                           |
| 86.....  | ذكر الطور في القرآن الكريم                                       |
| 94.....  | أين نزلت التوراة؟  |
| 112..... | من أين جاء بنو إسرائيل لمصر؟                                     |
| 131..... | المحور الثامن، الأرض التي بارك الله فيها                         |
| 149..... | هل غرق فرعون في منطقة السبلوقة؟                                  |

|          |  |
|----------|--|
| 154..... | المحور التاسع: دلالة قصة زواج سيدنا موسى من المرأة الكوشية                         |
| 157..... | المحور العاشر: جنسية فرعون ونجاة بدنه بعد الفرق                                    |
| 167..... | هل وعد الله تعالى بحفظ جثة فرعون إلى يوم القيامة؟                                  |
| 183..... | ملخص للخروج حسب رواية اليهود   |
| 183..... | مكان التجمع مقابل قم الحيروث   |
| 183..... | فرعون يطارد بني إسرائيل  |
| 183..... | الاستغاثة بالله تعالى  |
| 184..... | جبريل مع موسى يريه الطريق  |
| 184..... | عبور النيل   |
| 185..... | هلاك فرعون وجيشه   |
| 186..... | ملاحق: (بحوث لأخرين تتعلق بموضوع البحث)  |
| 186..... | تأملات في إشارات التوراة لكوش أرضاً وملوكاً  |
| 202..... | اللغة النوبية الكوشية «المروية»: أول اعتداء لمبدأ الأبجدية في أفريقيا جنوب الصحراء |
| 206..... | بني إسرائيل بين الهكسوس الفلسطينيين والفراعنة                                      |
| 211..... | الهكسوس وإبراهيم عليه السلام   |
| 216..... | فرعون مصر في كتابات المؤرخين المسلمين: رؤية جديدة                                  |
| 230..... | جبل البركل.. دجو والاب.. الجبل المقدس  |
| 239..... | الختام   |
| 240..... | المؤلف في سطور   |
| 242..... | مراجع الكتاب   |

نريد جيلاً غاضباً..  
نريد جيلاً يفلح الآفاق  
وينكش التاريخ من جنوره  
وينكش الفكر من الأعماق..  
نريد جيلاً قادماً..  
مختلف الملامح..  
لا يغفر الأخطاء.. لا يسامح..  
لا ينحني..  
لا يعرف النفاق..  
نريد جيلاً..  
راندأ..  
عملاق..

(الشاعر نزار قباني: من قصيدته هوامش على دفتر النكسة)

{سَتْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}  
{أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}

(القرآن الكريم، سورة فُصِّلَات، آية 53)

\*\*\*\*\*

"أمة لا تكتب، لا تاريخ لها"

(عالم الآثار الفرنسي شارلي بونيه)

\*\*\*\*\*

" يبدو أنَّ المصريين قد فقدوا مبكراً ذاكرةً بداياتهم! هل جاءوا من أفريقيا الوسطى أو من داخل آسيا؟ وفقاً لشهادة قدماء المؤرخين شبه الإجماعية فإنهم ينتسبون إلى سلالة أفريقية استقرت أولاً على ضفاف النيل الأوسط، ثم اتجهت تدريجياً (شمالاً) نحو البحر، متتبعة مجرى النهر حتى البحر. لإثبات ذلك فإنه يمكن الإستناد على التشابهات الواضحة بين عادات وديانة مملكة مَرُوي وعادات وديانة المصريين. ما هو معلوم بشكل قاطع أنَّ أثيوبيا التي يعرفها الإغريق، والتي لم تسعمرها مصر، كانت هي قد استعمرت مصر من قبل، ابتداءً من الأسرة الحاكمة الثانية عشر ولقرون... "

(المؤرخ الفرنسي "ماسبيرو" في كتابه (التاريخ القديم لشعوب الشرق) (المصدر: الأصل الأفريقي للحضارة: أسطورة أم حقيقة،

(Sheikh Anna Diop

## الإهداء

إلى روح الوالدة الحنون/ رقية الطاهر أحمد رزق، تلك المرأة  
الطاهرة الصالحة التقية النقية المهدبة الرقيقة التي علمتنا صلة  
الأرحام، والإيثار، والقناعة، والوفاء، وحب المساكين والرافة بهم.  
اللهم ارحمها وأبي رحمةً واسعةً تدخلهما بها الجنةً بغير حسابٍ مع  
الطيبين والصديقين والشهداء، إنك سميع الدعاء وأنت البرُّ الرؤوف  
الرحيم.



بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الكتاب

هذا بحث مثير للإهتمام في مادته وأهدافه، سلك الكاتب فيه منهجاً علمياً قوياً، يتهدى بتدبر مترو في النصوص التي هي قوام البحث، يستجلي مقاصدها، ويسلك طرقاً لائحة بيّنة واضحة، تفضي إلى نتائجها بسبيل قاصد بّين يسير، من غير لي للنصوص عما تحتمله إلى ما لا تحتمله تعسفاً وتكلفاً، أو من غير قفز فوقها للوصول إلى حسن مسبق في نفسه، أو نتيجة مُبَيَّنة.

ولقد استنطق الكاتب آيات القرآن الكريم وهو كتاب مُبين فيه جلاء الشك والريب، وفيه تقويم لما استأنس به مما أورده من نصوص التوراة فيما يخص بحثه، وفي ذلك دعم لما يريد أن يقيم عليه الكاتب الحجة.

واستطاع بملكة منهجية ومهارة تعبيرية بسط الأدلة وتحرير القضايا وترجيح ما هداه إليه رأيه، واعتضد في كل ذلك ببيانات وأدلة هي قوام هذا البحث - وهذا غاية ما يرجى من البحوث - أن تكون سليمة في مناهجها، واضحة فيما يسوق الكاتب من ثنّ وحجة وبرهان، صالحة للنظر والمراجعة، فهي بذلك تكون مسترداً للمناقشة والأخذ والرد، بلا قطع للطريق أمام من يريد أن يستبين نصيبها من الحُجّة، لأنّ البحث لا يعرف الحسم والجزم والإفحام، بل يساق بأدلته على جهة البيان والإفهام، ويترك فيه فسحة ليدخل منها من يريد أن يعترض ويناقش ويؤد، وقد ألى الله تعالى العصمة إلا لكتابه الكريم، وهذه حقيقة بديهة لا تنتقص من مجهود أحد من العلماء أو المفكرين أو الكتاب.

أسلوب الباحث سلسّ مطرّد من غير التّواء ولا غموض، وما  
أورده من مادة بحثه موثّقاً بمصادره ومظانّه، فيه تأصيلٌ لكثير مما  
أورده من قضايا ومسائل.

د. عوض محمد أحمد كدكي

جامعة الخرطوم

قسم اللغة العربية

2016/8/25

## مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله والحمد لله الذي أرسل الرسل وأنزل القرآن والإنجيل والتوراة والزبور، فعلم الإنسان ما لم يعلم فتغلى الله المليك الحق الذي لا إله إلا هو، والصلاة والسلام على محمد رسول الهدى ومصباح الدجى، وعلى آله بيته المطهرين، وصحبه الميامين، وأمه إلى يوم يبعثون، وبعد.

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم كان وسيظل هو المنبع الصافي للبحوث المشتركة بين الأديان السماوية، لأن كلمة الفصل في الخلاف بين قصصها التاريخية تنتهي إليه، وفي هذا المعنى خاطب الله تعالى رسوله الكريم قائلاً: {وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} و{تَحْنُ نَقْصٌ عَلَيْكَ أَحْسَنُ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ} {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}.

لقد اتجهت عنايتي لحث هذا الموضوع لأنه موضوع جدير بالبحث والدراسة على الرغم من صعوبته، وتشعب دروبه، وقلة مصادر معرفته. فهو بحث في الأساس يتعلق بتفسير وتحليل وإعادة قراءة النصوص المقدسة التي تتعلق بتاريخ بني إسرائيل ونبِيِّهم موسى عليه السلام تحت ضوء العقل والمنطق وشواهد الجغرافيا الحديثة، وللأسف قد أضاع اليهود كثيراً من تاريخهم وقد شهد بذلك القرآن فقال: {وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} وبالتالي فقد ضاعت كثير من حقائق التاريخ المهمة بسبب إهمالهم وحلافهم حتى في أسفار التوراة نفسها، فاليهود السامريون مثلاً يؤمنون بخمسة أسفار فقط من التوراة هي: التكوين والخروج واللاويون والعدد والتثنية وباقي الأسفار لا يؤمنون بها، وبسبب قسوة قلوبهم ونقصهم ميثاقهم وخصال كثيرة سينة فيهم، سلط الله تعالى عليهم جيوشاً بابلية عرافية جرارة لا قبل لهم بها، بقيادة ملكهم الكلداني "بختنصر"، فهاجسوا

خلال الديار فدمروها وأخرجوا منها القوم أذلة صاغرين، وقد كان ذلك في سنة 587 ق. م، فضاعت في خضم ذلك الخراب الكبير النسخة الأصل من التوراة التي كتبت باللغة العبرية القديمة (لغة يهود اليوم اللغة العبرية الآشورية) بعد دخول بني إسرائيل القدس بثلاث عشرة سنة، كما ضاعت كثير من كتب المؤرخين والتفاسير والمخطوطات والشروحات، فقام أحنبار اليهود من بعد حين من الزمان يتلمسون أثر التوراة وقد **{تَسُواْ خَطَاً مِّمَّا دُكِّرُواْ بِهِ}**، فكانت النتيجة تحريفاً بيناً كان بعضه متعمداً، وبعضه الآخر غير متعمد سببه النسيان والتصحيف والإهمال ومع ذلك بقي من تعاليم التوراة وقصصها الصحيح شيء كثير يُعرف بالمقارنة مع القرآن الكريم.

وبالرغم من أن السبيل كان شائكاً ومظلماً أمامي، فقد قمت متوكلاً على الله أتلمس طريقي بين النصوص باحثاً عن المكان الذي غرق فيه فرعون، والمكان الذي نزلت فيه التوراة، والمكان الذي نُسف فيه العجل، والمكان الذي التقى فيه موسى (ع) بالرجل الصالح. وقد عرمت على القيام بهذه الرحلة الصعبة بعد أن أنست نوراً من إشاراتٍ لاحت لي من بين آيات الكتاب العزيز، فنقلتني من مقام الذكر والتعبد لمقام التأمل والتفكير والبحث الجاد في معاني النصوص ومقاصدها فلقيت من سفري هذا نصباء، لأنني لم أكتف بالقرآن وحده -وهو خيرٌ كافٍ- بل ذهبت أبعد من ذلك حُقباً أبحث في التوراة وكتب التاريخ عن حقائقٍ بعضُها بعضاً عسى أن تتسق بها الصورة، فتكون آية وبشرى للمحسنين مصداقاً لقوله تعالى: **{وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيٍّ لِّبَنِّدِرِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ}** **{وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ}** **{أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ}**.

ويقوم منهج البحث على اعتبار النصوص القرآنية أصلاً والنصوص التوراتية فرعاً مؤيداً، يمكن إنشاء علاقة موضوعية بينهما للموازنة والتحقيق، للتأكد من نقاط الاتفاق بينهما، وبالتالي

اسقاط مواضع التحريف والتمسك بلب القضية في عمومها وخلصتها. فمثلاً عندما أقرن تفاصيل قصة العجل وأجدها هي نفسها في الكتابين مع اختلاف بينهما في اسم صانع العجل، أجد أمامي اختلافاً يسيراً يقابله تطابق بنسبة 99%، فأخذ بقية النسبة المختلف عليها من القرآن الكريم وأترك التوراة إذا فشلت في التوفيق بينهما، وأفعل ذلك لأن القرآن قطعي الورود وقطعي الدلالة، بينما التوراة التي جمعتها أحبار اليهود من بعد خراب دولة إسرائيل الأولى ظنية الورود وظنية الدلالة، ولهذا خاطب الله تعالى رسوله الكريم قائلاً: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ وهذه الآية تخص الأخبار والأسئلة عن القصص الماضية كقصة أهل الكهف مثلاً، ولا تخص الأحكام والعبادات والعقائد، لأن أحكام وعقائد الشرائع السماوية كلها واحدة لا تتغير إلا يسيراً، وغالباً ما يتم التغيير والتبديل في مجال المعاملات والمطعومات فيتم تحليلها بعد تحريمها. والتوراة ليست كلها محرفة كما ذكرنا سابقاً بدليل قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>1</sup> وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ أَسْتَمِعُ عَلَيْ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ﴾<sup>2</sup> وقوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حَلَٰلًا لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَآئِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِّن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَةُ قُلْ فَاتَّوُوا بِٱلتَّوْرَةِ فَٱتَّوَوْهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>3</sup>.

إذن ليس هناك مفاخرة ولا تناقض بين الكتابين الكريمين في أساسيات العقيدة والأحكام، ولا في الفصص لأن كلاهما من مصدر واحد ويهدف لهدف واحد، والإختلاف الذي وقع في التوراة كان بسبب ضياع الأصل، وكثرة الترجمة من لغة إلى لغة، فسقط جراء

<sup>1</sup> القرآن، سورة المائدة، آية 43

<sup>2</sup> القرآن، سورة المائدة، آية 68

<sup>3</sup> القرآن، سورة آل عمران، آية 93

ذلك جزء من التوراة، وتغيرت بعض التفاصيل التي لا تخفى على الباحث المدقق. وهذا يثبت أن الدراسات التوراتية تعاني من نقص كبير للحقائق بعكس الدراسات القرآنية، وعليه يجب على الدراسات التوراتية أن تحتكم للقرآن في حالة الخلاف، والخلاف في حد ذاته دليل على أن مصدر القرآن هو الوحي وليس الكتب المقدسة كما حاول أن يثبت تلك الفرية بعض المستشرقين. ولو كان هناك تنافر بين الكتابين لما صح تصديق القرآن للتوراة في كثير من آياته! فقد جاء هذا التصديق بلفظة {مصدقاً لما بين يديه} في ثمانية مواضع من القرآن، وبنفظة {مصدقاً لما معهم} مرتين، وبنفظة {مصدقاً لما معكم} أربع مرات.

وفي الحقيقة إن التنافر التام والمتواري نجده بين القرآن والتلمود، لأن الأخير من تأليف الأحبار أنفسهم وتعني كلمة "تلمود" بالعبرية الدراسة، وليست للتلمود أي صلة بالوحي ولا بالنبوة، وإنما هو اجتهادات ونقاشات ودراسات قام بها الأحبار حول الشريعة اليهودية وقالوا إنها من عند الله أنزلت على موسى عليه السلام. والتلمود هو المصدر الأساسي لتشريع الحاخامات حسب اجتهاداتهم في الدعاوى القانونية والأسرية والأخلاقية، والحاخام يهوذا هو الذي وضع التلمود بصورته الحالية في القرن الثاني قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام، وبالتالي ليس بين التلمود وبين القرآن الكريم قاعدة مشتركة، وقد اكتسب التلمود في نفوس اليهود - بسبب تركيز الأحبار عليه - قداسة وأهمية تفوقان التوراة وتفوقان كل شيء مقدس، وفي التلمود خاصة نزل قول تعالى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمناً قليلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} 4 وفي تفسير هذه الآية يقول الإمام الطبري: "حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ

4 القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم 79

يكتبون الكتاب..} قال: كان ناس من بني اسرائيل كتبوا كتاباً بأيديهم ليتأكلوا الناس، فقالوا هذا من عند الله وما هو من عند الله.<sup>5</sup> وهذا الكتاب الذي تحدث عنه الإمام الطبري نقلاً عن قتادة هو التلمود وليس التوراة، وعليه لا يجوز مطلقاً الإعتماد على التلمود لا في قصصه ولا أحكامه لأنه ليس من عند الله تعالى وإنما هو كتاب كتبه أيديهم.

وهذا الفرق الشاسع المتوازي بين التوراة المنزلة والتلمود المؤلف والمصطنع صناعة بشرية يجب أن يلتفت إليه الباحثون، وعلى الباحثين أن يعلموا أنَّ لليهود تلمودان، هما التلمود الاورشليمي والتلمود البابلي، فلاخبار بابل تلمودهم ولاخبار أورشليم تلمودهم. وبالرغم من اجتهاد الأخبار لنشر التلمود بين كل طوائف اليهود إلا أنَّهم فشلوا في ذلك وبالتالي "لم تخضع كل الطوائف اليهودية لسلطة التلمود أي لم تعترف بقدسية التلمود، ومن أهم الطوائف التي ترفض التلمود طائفتي السامرة والقرانيين"<sup>6</sup>

وفي المقابل لا يعتبر علماء المسلمين أنَّ التوراة محرفة كلها أو من تأليف الأخبار كلها وبالتالي مرفوضة، فهناك كم كبير من الأحكام الشرعية الصحيحة، والحكم البليغة، والدرر المضيئة فيما تبقى ووصل إلينا من التوراة، ولعله هو البقية المعنية في قوله تعالى: {يأتيكم التابوت فيه سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلَ مُوسَىٰ وَآلَ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ}. ولذلك، لا يصح تطبيق أقوال علماء الأصول التي تناقش مسألة جواز التعبد بشرع من قبلنا على البحوث التي تتناول مسائل القصص والأخبار التاريخية، وموضوع بحثنا في هذا الكتاب هو الأخبار والفصوص وليست الأحكام والعبادات. فالمطلوب من العلماء والباحثين هو الإجتهد في معرفة صحة أخبار وقصص التوراة والتوفيق بينها وبين قصص القرآن

<sup>5</sup> الإمام الطبري، تفسير الطبري، سورة البقرة، آية 79

<sup>6</sup> نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي، ص. 33

الكريم، بدلاً من رفضها ومقاطعتها والنفور منها تماماً كما نفعل مع التلمود.

وبهذه الطريقة المنهجية قمت بتوضيح ما يحتاج إلى توضيح ونقد مبنياً وجه الحق فيه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً. وكذلك تتبعت قدر الإمكان- ما كتبه غيري في هذا الموضوع فأخذت منهم ما يثرى نقاشي ويعضد حجتي، وقد الحقت عدداً من مقالاتهم ذات الصلة بهذا الكتاب في فصل الملاحق ليطلع عليها القاريء بنفسه ويحكم فيها بعد تمحيص وعلم. وفي هذه الطبعة أضفت بحثاً للأستاذ عباس أحمد الحاج صدر بعد الطبعة الأولى كامتداد لهذا البحث.

ولقد قمت بهذا البحث غير متحاملي على جهةٍ من الجهات، ولا لغرضٍ سياسي، ولا بغرض تضخيم الذات الوطنية كما هو شأن الكثيرين من بيننا ومن البلدان التي من حولنا، بل قمت به وتحذوني الرغبة الصادقة الجريئة في كشف التاريخ لمعرفة الحقيقة الجرداء، وفهم كتاب الله الكريم، وفهم أحداث التاريخ الديني المشترك بين اليهودية والإسلام، وكذلك فهم تاريخ المنطقة على وجه الخصوص. ولعلي بذلك أضيف للدراسات التاريخية والقرآنية عموماً، والدراسات السودانية على وجه الخصوص سفيراً هاماً من العلم النافع الذي تتغير به أحوال المجتمعات المسلمة للأفضل على بينة من ربهم وهدى وكتاب منير.

ولا شكّ عندي أبداً أنّ هذا الكتاب قد نجح في هدم النظريات السابقة ونسفها نسفاً، وزعزع أركانها مهيناً بذلك المجال لنشوء نظريات وبحوث جديدة في هذا الموضوع. والحمد لله قد وجدت النظرية قبولاً حسناً مع أن كثيراً من الناس لم يقرأ الكتاب إلا أنّه قرأ المقال الأول الذي نشرته في صحيفة سودانايل الإلكترونية في يوم 25 أكتوبر 2014 وأتبعته بعدد من المحاضرات بعضها موجود على "اليوتيوب". وأكبر شاهد على القبول هو قيام إحدى مراكز البحوث البريطانية في عام 2019 بعمل "فيديو" باللغة

الأنجليزية يتحدث عن دقة القرآن في تحديد الموقع الجغرافي لقصة موسى وفرعون، وقد اعتمد الفيديو على ما قدمته من أدلة في مقالي ومحاضراتي ثم نكروها ببعض الزيادات ليروا أهتدي أم أكون من الذين لا يهتدون! فعلوا ذلك من غير إي أمانة علمية تحتم عليهم ضرورة الإشارة للمصدر الذي أخذوا منه المعلومات! والجدير بالذكر، أن تلك النظريات القديمة التي تجعل من البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء مسرحاً لأحداث الخروج، لم تؤسس على نصوص صريحة من قرآن وتوراة، ولا على آثار مادية من حفريات معلومة منظورة، ولا على تحاليل معملية مقروءة تقف شاهداً مادياً على صحتها وتعصد القول بها، بل لم تقم النظريات القديمة حتى على منطقي سليم يساعد على قبولها وهضمها، وإنما أخذت تلك النظريات قوتها وسلطانها من قديمها وتعنتها التاريخي واجترار رجال الدين لها في مواظمتهم وخطبهم فالبسوها قداسة دينية، وهكذا بقدرة قادر أصبحت هذه الأوهام نظرية علمية راسخة يحرم المساس بها والإقتراب منها والتشكيك فيها!!! وهيئات هيئات أن نستسلم لهذا الإرهاب الفكري، بل نقول لهم: {هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}، وها هو العلامة اليهودي N.M Sarna يعترف بذلك ويقول: "إن خلاصة البحث الأكاديمي حول مسألة تاريخية قصة الخروج، تشير إلى أن الرواية التوراتية تقف وحيدة دون سند من شاهد خارجي، كما أنها مليئة بالتعقيدات الداخلية التي يصعب حلها. كل هذا لا يساعدنا على وضع أحداث هذه القصة ضمن إطار تاريخي. يضاف إلى ذلك أن النص التوراتي يحتم محددات داخلية ذاتية ناشئة عن مفاصل وأهداف المؤلفين التوراتيين، هؤلاء لم يكونوا يكتبون تاريخاً وإنما يعملون على إيراد تفسيرات لاهوتية لأحداث تاريخية منتقاة. وقد تمت صياغة هذه الروايات بما يتلاءم مع هذه المقاصد والأهداف. ومن هنا فإننا يجب أن نقرأها ونستخدمها تبعاً لذلك." 7

7 عبد الله سليم عمارة، القدس: التسمية والتاريخ والتراث ص. 18-19

ونفس النتيجة المحبطة صرح بها الأستاذ بجامعة تل أبيب زائيف هيرتزوغ حين قال: "إنَّ الحفريات المكثفة في أرض إسرائيل خلال القرن العشرين قد أوصلتنا الى نتائج محبطة، كل شيء مختلف ونحن لم نعثر على شيء يتفق مع الرواية التوراتية"<sup>8</sup> وفي الحقيقة اسفرت كل تلك الحفريات على وجود آثار إسلامية أموية أو عباسية تفند زعمهم.

وبما أنه قد أصبح واضحاً أنَّ النظرية القديمة لا يسندها شيء من آثار، ولا تحاليل معملية، ولا نصوص صريحة، ولا حتى منطق سليم، فعلى الدولة السودانية والجامعات ومراكز البحوث السودانية أن تنتهز هذه الفرصة فتستغل نتائج هذا البحث النظري، لتجرب حظها في التنقيب عن آثار قوم موسى وفرعون في النيل، فتهتم بالبحوث في هذا المجال فتخوض عباب بحره بالإستكشافات وعقد المؤتمرات، وتدعو لها علماء التاريخ والآثار من جميع أنحاء العالم، وتشجّعهم للبحث عن آثار سيدنا موسى (ع) وقومه في السودان عموماً، وبالأخص على ضفاف النيل وفي عمق مجراه عبر المسح المائي، عبر أجهزة الـ Magnetometers، وكذلك في الصحارى والجبال الشرقية للبحر الأحمر حيث مكان النيه، وأنا على ثقة تامة أننا سنجد رفاة و آثار وأسلحة جيش فرعون مغمورة مدفونة تحت مياه النيل أية في الأفق للناس أجمعين. كما يجب أن يشمل المسح بالأجهزة الحديثة رمال صحراء بيوضة حيث تاه بنو إسرائيل اربعين سنة وقد نجد أدلة وشواهد كافية تساعدنا في الوصول لنتيجة علمية حاسمة لا تقبل الشك تستند في مرحلتها الثانية على شواهد مادية أركيولوجية، وتحاليل معملية علمية تثبت صحة ما توصلنا إليه نظرياً في المرحلة الأولى بأدلة تقوم على أساس منهجي قويم يستند على الإستنباط والنقد العقلاني، والنقد التاريخي، والنقد اللغوي، والتحليل الداخلي والخارجي للنصوص المقدسة ذات الصلة، وأي

<sup>8</sup> نفس المرجع السابق ص.55

أثار مكتشفة في هذا الإطار ستغير التاريخ تماماً وستجعل للسودان شأناً غير الذي هو عليه الآن بإذن الله تعالى، وهنا تكمن خطورة هذا البحث التفسيري النظري الذي هو بمثابة بوصلة توجه معاول البحث الأثري المادي لمنطقة البحث المذكورة في هذا الكتاب .

ولا يفوتني هنا أن أتقدم بالشكر لزوجتي د. ريم عبد الله إبراهيم فضل وأبنائي وأشقائي وشقيقتي وأبنائهم وبناتهم وجميع أرحامي الذين وقفوا وراء هذا الجهد الفكري. كما أخص بالشكر الأستاذ عوض جادين مدير سونا السابق وفريقه العامل بقيادة الأستاذة أمال صلاح عبد الله والأستاذ عيروس وبقية الإخوة والأخوات بالموسوعة على تشجيعهم لي ووقوفهم معي لإتمام ونشر الطبعة الأولى. والشكر موصول أيضاً لشيخى الفاضل الحبيب د. عوض محمد أحمد كدكي، ولكل أصدقائي وأحبائي الأعزاء، يحيى إبراهيم خليل، ومحمد الحسن عوض الزبير، وعبد الرحيم عثمان، ود. عبد القادر البيتي، و د. محمد الفاتح جمعة، ووهبي عبد الوهاب، وحاتم عوض أبو علي، وعثمان محمد أحمد عبد اللطيف، وصلاح عبد الله كرار، وعادل محمد أحمد عبد اللطيف، ود. محمد عبد الوهاب، ود. بكري الطاهر بكري، وعبد الصمد عبد العال، والأستاذ سيد السقا، والجالبة السودانية بمدينة فلادلفيا، وغيرهم من الأحباب والأصدقاء الذين لا يسع المجال لذكرهم.

محمود عثمان رزق،

28 يوليو 2019 - الخرطوم - السودان

## أسئلة لنكش التاريخ<sup>9</sup>

- ما معنى كلمتي "البحر" و"اليم"؟
- لماذا قال الله تعالى أنه أغرق فرعون في البحر ثم عاود قائلاً إنه أغرقه في اليم؟
- هل فرعون اسمٌ لشخصٍ بعينه في التاريخ كان ملكاً أم هو توصيفٌ لوظيفة؟
- أين غرق فرعون؟ هل غرق في البحر الأحمر أم في النيل؟
- إلى أيّ الإتجاهات كانت هجرة سيدنا موسى عليه السلام بقومه؟ شرقاً أم جنوباً أم شمالاً؟
- أين توفي سيدنا موسى عليه السلام؟ هل توفي في صحراء بيوضة أم في الشام؟
- أين نزلت التوراة؟ هل نزلت على ضفاف النيل أم في مدين بالشام؟
- أين أحرق ونسف عجل السامري؟ هل نسف في البحر الأحمر أم في النيل؟
- أين الأرض التي بارك الله في مشارقها ومغاربها وأورثها بني اسرائيل؟ هل هي مصر أم الشام أم شمال السودان؟
- أين هو مجمع البحرين؟ هل هو في الخرطوم عند جزيرة توتي أم في الإسكندرية أم في البحر الميت؟
- كم كان الفارق الزمني بين تحرك موسى (ع) بقومه وتحرك فرعون وجنوده؟
- أين كانت مصر التي حكمها فرعون؟ وهل كانت مدينة لها حاكم جبار أم دولة لها ملك جبار؟

<sup>9</sup> نكش يـكش: كلمة عربية فصيحة معناها التنقيب والبحث وفقاً لقواميس اللغة العربية

- ما هو الفرق بين مصرًا ومصرًا؟ وهل أمر اليهود بالرجوع لمصر؟ وهل هو فعل أمر حقيقي؟
- هل كانت الشام تحت مُلك فرعون عند خروج موسى من مصر بقومه؟
- أين كان يسكن سيدنا يعقوب عليه السلام وأولاده؟
- أين كان موقع الجبل الذي نتقه الله تعالى فوق رؤوس بني إسرائيل؟
- أين يقع جبل حوريب المذكور في التوراة؟ وهل هو نفسه جبل سيناء؟
- ما المقصود بالغربي الواردة في قوله تعالى {وما كنت بجانب الغربي إذ أوحينا لموسى الأمر}
- أين موقع الوادي المقدس وأين الطور الذي تزلت فيه التوراة؟

## تسلسل قصة سيدنا موسى (ع) وبنى إسرائيل حسب القرآن الكريم

هذا الملخص مهم جداً في حد ذاته لأنه يساعد القارئ على فهم التسلسل التاريخي لقصة سيدنا موسى (ع) وقومه من بنى إسرائيل، وبالتالي يساعد على فهم موضوع الكتاب. فتسلسل الأحداث يُظهر بوضوح أماكنها أيضاً ويساعد على ربط جزئياتها ببعضها بعضاً للوصول لنتائج مقنعة وفرضيات مقبولة علمياً.

### أحداث ما قبل الولادة:

#### مكان الأحداث: أقصى جنوب مصر

- دخل بنو إسرائيل مصر في عهد سيدنا يوسف عليه السلام من منطقة السكوت
- كثر نسلهم ومالهم وشاركوا الهكسوس في حكمهم لمصر
- طرد المصريون الهكسوس من مصر
- بقي بنو إسرائيل في مصر ولم يستطيعوا الخروج منها.
- وبسبب مشاركتهم للهكسوس، أنزلهم ملوك مصر وضيقوا عليهم سبل العيش.
- عندما حكم فرعون مصر استعبد نبي إسرائيل وقتل ذكورهم واستحيا إناثهم.

### أحداث ما بعد الولادة:

#### مكان الأحداث: أقصى جنوب مصر

- حملت به أمه بعد ثلاثة سنوات من ولادة أخيه هارون.

- وضعته وخافت عليه من فرعون وجنوده.
- أوحى الله لها أن ألقيه في اليمّ (نهر النيل).
- ألقته أمه في اليمّ (النيل) وهو رضيع في تابوت خشبي وعطته ببيات الحلفاء.
- ألقطه شخص من آل فرعون وسموه موسى.
- رده الله لإمه لترضعه وتقر عينها به.
- نشأ في بيت فرعون حتى صار شاباً قوياً مقتول العضلات.
- قتل قبطياً بالخطأ في مشاحرة.

#### أحداث الخروج الأول تجاه مدين: مكان الأحداث: مدين (الشام)

- خرج إلى مدين عندما علم أن قوم فرعون يريدون قتله انتقاماً للقبطي المقتول بالخطأ.
- سقى للفتاتين أغنامهما.
- قابل يثرون كاهن مدين والد الفتاتين وطمانه الكاهن بأن مدين خارج نطاق حكم فرعون وبطش جنوده وحدوده السياسية.
- تعاقد مع يثرون على العمل لمدة أقلها ثمانية حجج وأكثرها عشرة مقابل زواجه من إحدى ابنتيه.
- قضى فترة التعاقد وتزوج بنت الكاهن يثرون وأخذ زوجته في اتجاه ما.

#### أحداث بداية الرسالة:

#### مكان الأحداث: مدين (الشام)

- في طريقه من مدين إلى مكان ما بعد انقضاء فترة عقد عمله رأى ناراً فذهب يستقصي خبرها.

عند النار كلمه الله تعالى من الشجرة وأيده بمعجزتي العصا واليد البيضاء.

- بعد التأييد بالمعجزات، أمره الله تعالى أن يذهب لفرعون ويخبره أن يرسل معه بني إسرائيل.

- طلب موسى من ربه أن يجعل أخاه هارون وزيراً له يسند في مهمته الرسالية.

- رجع موسى (ع) لقومه وأهله ليرتب أمره لتبليغ الرسالة الربانية لفرعون.

- ذهب موسى (ع) لفرعون واصطحب معه أخاه الأكبر هارون (ع) لتبليغ رسالة رب العالمين.

#### أحداث عناد فرعون:

##### مكان الأحداث: جنوب مصر

- تكبر فرعون وأبى أن يؤمن بالله ورسله وأبى أن يرسل بني إسرائيل مع موسى وهارون (عليهما السلام).

- أرسل الله تعالى آياته التخويفية من دم وطفادع وغيرها لعل فرعون يتذكر أو يخشى.

- أصر فرعون على كفره وعلى قراره بعدم السماح لبني إسرائيل بالخروج مع موسى (ع).

- تحدى موسى (ع) السلام سحرة فرعون.

- جاء السحرة وجمع الناس وانتصر موسى (ع) على السحرة

- خرّ السحرة ساجدين فغضب فرعون غضباً شديداً.

هدد فرعون موسى وقومه والسحرة بالقطع والصلب على جذوع النخل.

من أجل تنفيذ خطته العقابية التي صرّح بها، أعلن فرعون حالة الطوارئ في البلاد فأرسل في المداين حاشرين يطلبون من الناس توخي الحذر الشديد ومراقبة حدود المدن حتى لا يفلت موسى والسحرة من العقاب. وإعلان حالة الطوارئ هو تدبير واضح لمنع موسى وقومه من الخروج من ناحية، ومن ناحية أخرى لمنع اتساع دائرة المؤمنين به بعد سجود السحرة لله وتحذيرهم لفرعون أمام قومه. فلذلك قام رسل فرعون في المداين يحذرون الناس من اتباع موسى والسحرة، ويصورون لهم أن موسى وقومه شرذمة قليلون خارجون على طاعة الحاكم، وسيحرق بهم غضب فرعون وبطشه، وسيمتد العقاب لكل شخص يلحق بهم في الإيمان أو يمد لهم يد العون.

### أحداث الخروج الثاني وغرق فرعون:

#### مكان الأحداث: شمال السودان

- أذن الله تعالى لموسى (ع) وقومه بالخروج الأول فأوحى له أن أسر بقومك ليلاً إنكم متبعون.
- في الصباح الباكر عند شروق الشمس افتقدهم فرعون وقومه فركبوا خلفهم مسرعين.
- أرسل فرعون في المداين حاشرين مستنفراً قواته لتشارك في مراقبة الحدود وليلحق جنود المدن بفرعون وحرسه الخاص الذي تحرك سريعا ليلحق ببني إسرائيل.
- عندما اقترب فرعون وجنوده من موسى (ع) وقومه، قال قوم موسى: "إنا لمدركون".
- ضرب موسى اليم (النيل) فانفلق فكان كل فرقة كالطود العظيم.
- عبر موسى (ع) وقومه النيل سالمين على أرض يابسة.

دخل خلفهم فرعون وجنوده في وسط النيل، فهجمت عليهم المياه من الجهتين فأغرقتهم أجمعين.

- نبذ النيل جثة فرعون لتكون عبرة لمن خلفه (أي للأحياء من ورائه) من بني إسرائيل وقوم فرعون على السواء حتى يطمئن بنو إسرائيل، ويعلم قوم فرعون أن فرعون قد مات فعلاً مؤكداً.

### أحداث نزول التوراة:

#### مكان الأحداث: شمال السودان

- حدثت فترة استقرار لموسى (ع) وقومه في منطقة العبور بالسودان.

- صرب الله تعالى لموسى (ع) أول ميقات لينلقى فيه النوراه.  
- ذهب موسى (ع) لميعاد ربه وحده وأخلف أخاه هارون (ع) على قومه وحثّره من المفسدين.

- في فترة غياب موسى (ع) لتلقى التوراة، عبد بنو إسرائيل العجل الذي صنعه لهم السامري.

- رجع موسى (ع) بالألواح وفي نسختها هُدي من تشريعات الله تعالى لبني إسرائيل.

### أحداث عبادة العجل:

#### مكان الأحداث: شمال السودان

- تفاجأ موسى بقومه يعبدون العجل من دون الله رب العالمين في فترة غيابه القصيرة التي لم تتجاوز الأربعين يوماً لتلقي التوراة!  
- غضب غضباً شديداً<sup>10</sup> جعله يلقي الألواح أرضاً وهو لا يشعر من هول المصيبة التي رآها.

<sup>10</sup> لقد شاع بين الناس أن سيدنا موسى (ع) كان عصياً بيّناً وصعته التوراة بالحلم وسعة الصدر ومن يتحمل بني إسرائيل لا يكون إلا حليماً

قام يجر إليه رأس أخيه الأكبر ملقياً عليه بالملامة والتفريط في رعاية القوم.

- سأل موسى (ع) السامري عن الذي حدث وكيف حدث؟
- وضّح السامري لموسى (ع) كيف سولت له نفسه صاعدة العجل.
- أخذ موسى (ع) العجل وحرّقه وطحنه وقذف بطحينه في النّيم (أي النيل).

### أحداث الميقات الثاني بعد نزول التوراة:

مكان الأحداث: شمال السودان

- ضرب الله تعالى ميقاتاً ثانياً لموسى وصلاحاء قومه للتوبة والاسنخار من عبادة العجل.
- اختار موسى من قومه 70 رجلاً صالحاً لميقات ربه للتوبة عما فعله سفهاء بني إسرائيل في أمر العجل. {فقال الرب لموسى: اجمع إلي سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه، وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك<sup>11</sup>.
- عندما وصل الرجال الصالحون الميقات المعلوم، أخذتهم الرجفة - وهي هزة أرضية - تخويفاً لهم بسبب مخالطتهم للذين عبدوا العجل أولاً، وثانياً بسبب عدم مبالغتهم في الإنكار عليهم.
- خاف موسى (ع) على صلاحاء قومه فدعا الله تعالى ألا يهلكهم بالرجفة وهو العادل الذي لا يأخذ عبداً بذنب عبده آخر.

---

<sup>11</sup> التوراة، سفر العدد، الإصحاح الحادي عشر، النص رقم 16

## الرحلة لمجمع البحرين وقصة البقرة:

### مكان الأحداث: شمال ووسط السودان

- استقرَّ الحال لموسى وبدأ يشتغل بالعلم وتعليم التوراة لبني إسرائيل.

- قام موسى برحلته للقاء الرجل الصالح عند مجمع البحرين عند مفرق النيلين بين توتي وشلال السبلوقة ليتعلم منه.

- وجد بنو إسرائيل قتيلاً منهم ملقياً في الطريق فأرادوا أن يعرفوا القاتل، فأمرهم الله تعالى بذبح بقرة من عامة أبقارهم التي حول النيل وأن يضربوا الميت ببعضها فترتد إليه الحياة لفترة قصيرة يخبرهم فيها باسم قاتله.

- ملكاً ببو إسرائيل في ذبح البقرة وحسبوا أن موسى يحددهم هزواً فشدد الله عليهم في أوصافها كلما سألوا عنها بعد أن عرفوا أن الأمر جد.

- أخيراً بعد عناءٍ شديدٍ وجدوا البقرة التي يبحثون عنها فذبحوها وما كادوا يفعلون!

## أحداث الميقات الثالث وأحداث السبت والخروج الثاني:

### مكان الأحداث: شمال السودان

- ضرب الله لموسى وقومه ميقاتاً ثالثاً فذهب معه هذه المرة نفرٌ من الذين عبدوا العجل - غير السبعين الصالحين الأوائل الذين أخذتهم الرجفة- فقال عبدة العجل لموسى (ع): {لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة}!

- فأخذتهم الصاعقة بما قالوا فأروها تضرب عياناً بياناً أمامهم بنارٍ شديدة تخويفاً لهم.

- بعد آية الصاعقة جاءهم أمر الخروج الثاني للذهاب للقدس (الأرض المقدسة) لقتال الجبابرة وإخراجهم منها، وتطهيرها من

رجسهم، وأن يقولوا حطة، ويسكنوا القدس، ويأكلوا من ثمراتها حيث شاءوا وألا يصطادوا السمك في يوم السبت.

- فوافقوا جميعاً على الهجرة الثانية وقتال الجبابرة واحترام يوم السبت في بداية الأمر وأخذ الله منهم على ذلك عهداً وميثاقاً غليظاً.

- بعد فترة من الزمان بذل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأنكروا العهد والميثاق.

- فتحايلوا أولاً على أمر السبت فأصبحوا يرمون شباكهم يوم الجمعة ويأخذونها يوم الأحد.

- فعذبهم الله تعالى الذين ظلموا منهم (وليس كلهم) بعذاب بنيس (أي شديد) لم يفصح عنه القرآن الكريم.

- وعندما لم يقلعوا عن فعلهم أتبع العذاب النيس بمسوخ بعضهم قردة خاسنين عقاباً لهم على تماديهم في التعدي في يوم السبت.

- وعندما حان وقت تنفيذ الهجرة الثانية (الخروج الثاني) في اتجاه القدس لمقاتلة الجبابرة، حشدهم موسى (ع) بالقرب من جبل وأخبرهم بأمر الهجرة الثانية فتمنّع القوم ونقضوا ميثاقهم علناً، وقالوا لموسى (ع): "اذهب أنت وربك فقاتلا نحن هاهنا قاعدون".

- فنتق الله تعالى (اقتلع بشدة) الجبل ورفع على رؤوس ذلك الحشد فخافوا وقاموا طانعين خلف موسى (ع) خوفاً من أن يقع عليهم الجبل فيهلكهم أجمعين.

### أحداث التيه:

مكان الأحداث: صحراء بيوضة بشرق شمال السودان

- عندما ساروا من النيل نحو القدس مكرهين كتب الله تعالى عليهم التيه 40 سنة في صحراء 3 بيوضة وجبال البحر الأحمر

الغربية عقاباً لهم على قولتهم التي قالوها لموسى (ع) ونقضهم ميثاقهم.

- في التيه أنزل الله تعالى عليهم المن والسلوى طعاماً لا يتغير حتى لا يموتوا جوعاً فصعب ذلك عليهم، فاشتبهوا البصل والثوم والعدس والخيار فقال لهم الله إنَّ ما تشتهونه موجودٌ في أي مدينة من مدن العالم، أما المن والسلوى فلن تجدوها إلا هنا وهي خير لكم مما تشتهون.

في التيه ظللهم الله تعالى بالغمام حتى لا يموتوا بالحر وضربات الشمس لأنَّ صحراء بيوضة ليس فيها ظل.

- في التيه فحَرَ الله لهم الماء من الصخور حتى لا يموتوا عطشاً فصحراء بيوضة ليس فيها ماء.

- في التيه في صحراء بيوضة مات سيدنا موسى وهارون (عليهما السلام) ومات معهم كثير من كبار السن أيضاً. انتهت فترة ال 40 سنة التي كتبها الله عليهم تيهاً في صحراء بيوضة وجبال البحر الأحمر الغربية وانتهت قصتهم مع موسى وهارون (عليهما السلام)، لتبدأ قصة أخرى بعد 450 سنة مع الملك طالوت (أو شاؤول) وبنبيهم داود عليه السلام اللذان قهرا الحبابرة ودخلا الأرض المقدسة حيث المسجد الأقصى الذي بناه ذو القرنين ذلك الملك الفارسي الشاب المؤمن المعروف بالملك قورش حوالي 538 ق.م. ووفقاً لسفر عزرا قال الملك قورش (ذو القرنين): "جميع ممالك الأرض نفعها لي إله السماء. وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم" ومع ذلك يعتبره اليهود وثنياً للأسف إن يهود لا عقل لها لتحكم به حكماً عدلاً، فكيف لرجل وثني أن يبني بيتاً للتوحيد يُعتبر الثاني من نوعه في العالم بعد البيت الأول الحرام الذي هو  
سكة 1212

## تأسيس دولة بني إسرائيل الأولى: مكان التأسيس: فلسطين (الشام)

- دخل بنو إسرائيل القدس بقيادة طالوت وداوود عليه السلام فاحتجّ بنو إسرائيل على أحقية طالوت للملك فيهم.
- جاءهم التابوت تحمله الملائكة (وهو الصندوق الذي كانت تحفظ فيه التوراة)، أولاً كسكينة لهم تقر به عينهم وهم ينظرون عصى موسى وبقية مما ترك موسى وهارون، وثانياً ليكون آيةً لهم على صحة ملك طالوت فيهم كأول ملكٍ أو رئيسٍ لدولتهم.
- خلف طالوت على الملك سيدنا داوود (ع) فصار بمثابة الخليفة الأول فحكم بالعدل والاستقامة فاحتضنت له النوبة والملك إذ لم يكن طالوت نبياً.
- أنزل الله تعالى لسيدنا داوود زبوراً وأمر الجبال والطير أن تردد معه أذعيتة وتسابحه.
- بعد وفاة سيدنا داوود (ع) تولى الحكم ابنه سليمان (ع) فكانت له مملكة لم يأتى مثلها بشراً، وكان جيشه يتكون من بني إسرائيل والحن والطير وغيرهم، وحدوده شملت اليمن عندما دخلت بلقيس (رض) في حمايته كما روى القرآن الكريم، والروايات الشفهية تقول إنّ جزيرة سواكن السودانية كانت تحت ملكه أيضاً.
- بعد وفاة سيدنا سليمان (ع) ورث اليهود دولة قوية متسعة الحدود فيها كثير من الأموال والأولاد والقوة العسكرية فانحرفوا عن طريق النبوة ففسدوا في الأرض فازدادوا تجبراً وعصياناً، فأرسل لهم الله تعالى هذه المرة حيوشاً بابلية عراقية حاصرتهم ثم هزمتهم وشردتهم ودمرت ما كانوا يعرشون، وهكذا أنتهت قصة بني إسرائيل الأولى في عام 587 ق.م.

## النتيجة

- نتيجة للدمار والتشريد الذي حاق بهم، ضاع منهم أصل التوراة فقاموا يكتبونها بعد حين من الذاكرة وقصاصات الجلود وغيرها.
- تشتتوا في جميع بلاد العالم من ضمنها السودان.
- أعادوا الكرة مرة أخرى فنظموا أنفسهم وعملوا بجِدٍ منقطع النظير للرجوع للأرض المقدسة.
- في عام 1948 بمعاونة الإنجليز أسسوا دولة إسرائيل الثانية التي علت في الأرض علواً كبيراً.

## ملحوظة مهمة:

من هذا التسلسل التاريخي لأحداث بني إسرائيل يتضح لنا جلياً أنَّ 80-90% من هذه الأحداث قد حدثت في السودان على صفاف النيل في فترة إستقرارهم بعد نزول التوراة، وأن التوراة قد نزلت بعد غرق فرعون متزامنة مع حادثة عبادة العجل وقبل فترة النيه الذي حدث خلال الهجرة الثانية.

## مقدمة البحث

إن قوام حركة التاريخ تعتمد على ثلاثة أركان هي الإنسان والمكان والزمان، فهذه الأركان الثلاثة هي أساس أي دراسة تاريخية صحيحة. ومن الخطأ والظلم الفادح أن يُنسب حدثٌ من أحداث التاريخ لمكانٍ غير مكانه، أو لزمانٍ غير زمانه، أو لشخصٍ غير شخصه. وخطورة هذا العمل أن من لا تاريخ له أصلاً سيبنى تاريخاً على تاريخ غيره في الوقت الذي يفقد فيه صاحب التاريخ الأصلي حظه من التاريخ، وفقدان التاريخ يعني فقدان شيءٍ ثمينٍ له قيمةٌ معنوية واقتصادية، وذلك لأن السياحة للمعالم التاريخية والدينية في زماننا هذا قد أصبحت صناعةً مستقلة تدرّ مالاً كثيراً للدول التي تعتني بها، وتتقن علومها، وتجيد فنونها. وتاريخ مصر القديم ودولة كوش، وصراع موسى (ع) مع الملك فرعون بالأخص هو تاريخٌ ستظل تتداوله وتدارسه الأجيال ما بقي هذا القرآن بين الناس يُتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فالقرآن وعلومه التي تتصل به هي التي ستحفظ هذا التاريخ حياً لا يموت أبداً حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ومن المعروف والمشهور بين المسلمين أن فرعون قد عرق في البحر الأحمر، وهذا كلامٌ لا دليل عليه البتة، يعارض صريح القرآن وصريح اللغة، كما يعارض منطق الأشياء البسيط، ومع ذلك كله تجده مبسوطاً في كتب التفسير والتاريخ كأنه حقيقة علمية لا يأتيها البطلان من بين يديها ولا من خلفها، وفي الحقيقة أن تفاسير القرآن هذه تحوي كمّاً هائلاً من قصص الإسرائيليات غير الصحيحة التي تفتقد للنوثق وتفتقد للمنطق البسيط، وفوق كل ذلك كله تتعارض مع القرآن الكريم ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه. ونتيجة للتفسير الخاطئ لأحداث سيدنا موسى (ع) في كتب التفسير والتاريخ، انتقلت أحداثٌ مهمة من منطقها الأصلية على ضفاف النيل في

شمال السودان لمنطقة سيناء في مصر، لتصنع لتلك المنطقة وأهلها زخماً تاريخياً لم يشهدوه أصلاً ولا دليل لهم عليه. وفي المقابل تم إخماد ذكر المكان الأساسي الذي شهد تلك الأحداث العظام، وسُرق تاريخ المنطقة التي شهدت الأحداث، كما سرقت آثارها ودُبر بعضها وخُرب، والأدهى والأمر من ذلك كله أن أغرق بعضها عمداً في وضوح النهار في مؤامرة تاريخية سكت عنها العالم أجمع. وفي هذه الكتاب سنتتبع قصة غرق فرعون، وقصة نزول التوراة، وستفحص مفردات اللغة، وأسماء الأماكن، والسرعة التي سار بها موسى بن عمران بن هافث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام) ليلاً، لنصل لنتيجة علمية صحيحة في هذا الموضوع الهام. والجدير بالذكر أن هذا الاسم (أي موسى) اختاره له شخص من آل فرعون، ولعلها زوجته آسيا التي تبنته وفقاً لرواية القرآن الكريم. والجدير بالذكر أن قصة إنتشاله من الماء ومن ثم تبنيه جاءت متناقضة في التوراة، أما القرآن فقد حدد موضوع التبني ولم يحدد الشخص الذي انتشله من الماء من آل فرعون. فالتوراة ذكرت في موضع أن التي انتشلته من الماء وتبنته هي بنت فرعون ونصها يقول: {وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ (ا)خْت (موسى) إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتْ اسْمُهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: إِنِّي آتَيْتُهُ مِنَ الْمَاءِ} 13، وفي موضع آخر من سفر الخروج تذكر التوراة رواية مختلفة فتقول: {نَزَلَتْ إِمْرَأَةُ فِرْعَوْنَ مَعَ جَارِيَتِهَا إِلَى النِّهْرِ فَرَأَتِ السَّفْطَ بَيْنَ الْحُلُفَا فَلَمَّا فَتَحَتْهُ وَرَأَتْ الْغَلَامَ وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَتْ مَا هَذَا الطِّفْلُ الَّذِي أَهْلُهُ مُوشًا} 14 - وهذا تناقض واضح بين آيات التوراة نفسها يحتاج لوقفة وتأمل ونقد بالرغم من صحة الخبر في عمومته في الروايتين والخبر في عمومته يوافق القرآن الكريم. والجدير بالذكر، أن كلمة موسى وردت في اللغة

13 التوراة : سفر الخروج الإصحاح الثاني آية 10

14 التوراة : سفر الخروج الإصحاح الثاني آية 5

البيجاوية، وحسب كلام أهل الاختصاص في هذه اللغة أن جميع الأسماء في اللغة البيجاوية هي وصفية تصف حدثاً أو شيئاً "فالكلمة (مؤ-سى) تعني (مبتلاً بالماء وملقى فيه) فهي تعني (المبلل بالماء)"<sup>15</sup>. وباللغة النوبية تعني كلمة (موسى) المهجور أو المنبوذ، والجمع بين المعنيين سهل لأن الطفل قد وُجد مبلولاً بالماء حقيقة، وفي الظاهر تُرك مهجوراً منبوذاً على ساحل النهر، فهو المبلول المهجور في آن واحد فاذن هو "موسى" باللغتين السودانيتين. ولغرض هذا البحث سوف أتناول بالنقاش المستفيض تسعة محاور أقدم فيها الأدلة والشواهد التي تثبت صحة الفرضيات التي افترضتها، والنتائج التي توصلت إليها بخصوص مكان غرق فرعون ومكان نزول التوراة ومكان مجمع البحرين الذي هو وسط وشمال السودان الحالي، والمحاور هي:

محور كلمة "البحر"

- ومحور كلمة "اليم"

- ومحور السرعة التي خرج بها نبي الله موسى (ع) بقومه ومطاردة فرعون وجنوده لهم.

- ومحور السامري الذي صنع العجل

- ومحور {وأغرقناهم وأنتم تنظرون}

- ومحور {وما كنت بجانب الغربي}

- ومحور موقع جبل حوريب

- ومحور جنسية فرعون

<sup>25</sup> عبد الله أويشار، الإكتشاف العظيم، ص. [31]

## المحور الأول: كلمة "البحر"

لقد ظن كثير من الناس أن فرعون قد غرق في البحر الأحمر لأن الله تعالى قد ذكر ذلك في ستة مواضع هي قوله تعالى:

1- {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَثْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ أَمْتٌ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} <sup>16</sup>

2- {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} <sup>17</sup>

3- {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} <sup>18</sup>

4- {وَلَقَدْ أَوْخَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا نَجْشًا} <sup>19</sup>

5- {فَأَوْخَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} <sup>20</sup>

6- {وَأَثَرِكُ الْبَحْرِ رَهْوَ إِنْهُمْ جُنْدٌ مُعْرِقُونَ} <sup>21</sup>

فلأن الله تعالى قد ذكر كلمة "البحر" في الآيات أعلاه ظن كثير من الناس أن المقصود هو البحر الأحمر، وعلى هذا الفهم الخاطيء قد جرت عادة تفاسير القرآن الكريم! وفي الحقيقة إن القرآن الكريم يطلق كلمة "البحر" على البحار والمحيطات المالحة والأنهار العذبة

<sup>16</sup> القرآن الكريم، سورة يونس، آية 90

<sup>17</sup> القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 50

<sup>18</sup> القرآن الكريم، سورة الأعراف، آية 138

<sup>19</sup> القرآن الكريم، سورة طه، آية 77

<sup>20</sup> القرآن الكريم، سورة الشعراء، آية 63

<sup>21</sup> القرآن الكريم، سورة الدخان، آية 23

على السواء، لأن كلمة "البحر" في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم هي اسم حنس للمكان الذي به ماء كثير وعميق ومنبسط ويجري بصورة دائمة طويلاً وعرضاً، وفيه حياة بحرية، وتُستخرج منه جلية للزينة، وتجري فيه السفن طويلاً وعرضاً، وقد قال الخليل سُمي البحرُ بحرًا لاستبحاره، وانبساطه وسعته<sup>22</sup> والبحرُ عند صاحب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم هو الماء الكثير، ملحاً كان أو عذباً<sup>23</sup>، وزاد صاحب مختار الصحاح قائلاً "كل نهر عظيم بحر"<sup>24</sup> وهذا واضح ومستشف من قوله تعالى:

1- {وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَجُجْراً مَحْجُوراً}<sup>25</sup>.

2- {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتُسْتَخْرَجُونَ مِنْهُ تَلْبُسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ يَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}<sup>26</sup>

3- {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ\* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ\* فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}<sup>27</sup>

4- {قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً}<sup>28</sup> والبحر هنا مقصود به نهر النيل.

فإن القرآن قد سمي مجاري المياه المالحة بحاراً، وأيضاً سمي مجاري الأنهار العذبة بحاراً، ولا أعلم لأهل اللغة والتفسير خلافاً في هذه المسألة. وعليه، إن كلمة البحر المذكورة في الآيات الستة التي تناولت حادث الإغراق قد تعني البحر المالح وقد تعني أيضاً

<sup>22</sup> ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة "بحر"

<sup>23</sup> محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص. 82

<sup>24</sup> مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي

<sup>25</sup> القرآن الكريم، سورة الفرقان، آية 52

<sup>26</sup> القرآن الكريم، سورة فاطر، آية 12

<sup>27</sup> القرآن الكريم، سورة الرحمن، آية 19

<sup>28</sup> القرآن الكريم، سورة الكهف، آية 63

نهر النيل العذب، ولهذا لن يستطيع أيّ إنسان أن يفهم من الآيات التي ذكرت البحر أين كان مكان الغرق بالضبط، ولا نوع المياه التي أغرقت فرعون. ولمعرفة المكان ونوع المياه التي غرق فيها فرعون على العموم، يجب علينا أن نسلّك بالبحث مسلكاً علمياً آخرًا يمكننا من عملية الترجيح بين البحرين. وبعبارةٍ أخرى لابدّ لنا من أدلةٍ إضافيةٍ يتم بها الترجيح بصورةٍ علميةٍ مؤسسة، وهذا ينقلنا بالضرورة للمحور الثاني عسى أن نجد فيه ما نرجح به الكفة ونحدد به نوع البحر الذي غرق فيه فرعون لتحديد به المنطقة التي تم فيها الغرق ونزلت فيها التوراة بعد الغرق.

## المحور الثاني: كلمة "اليَم"

أولاً، يجب أن نؤكد أن كلمة "اليَم" اسم غير عربي، قال عنه بعض المفسرين أنه اسم سرياني عربته العرب، وتاريخياً فقد كانت السريانية منتشرة في منطقة العراق وسوريا، وهي اللغة الأم لطوائف الآشوريين والسريان والكلدان المنتشرة بالعراق وسوريا في عصرنا هذا، حيث أضحت السريانية من أهم العوامل التي تجمعهم، وإرجاع كلمة "اليَم" للأصل السرياني هو رأي الإمام الزهري، وقال آخرون بل هي لغة القبط المصريين في شمال أفريقيا، وشذَّ واحدٌ منهم فقال بل هو اسمٌ عربيٌّ فصيحٌ مشتقٌ من التيمم لأنَّ الناس تقصده للإنتفاع به، وهذا الرأي الأخير الذي يجعل اسم "اليَم" عربياً بعيداً جداً عن الحقيقة، وفيه من التكلف ما لا يخفى على أيِّ طالبٍ من طلاب العلم فضلاً عن العلماء، وذلك لأنَّ تصريف كلمة "تيمم" لا يقودنا لكلمة "يَم". والإمام أبو النصر أحمد بن محمد الحدادي (من علماء القرن الرابع الهجري) يرى رأياً مخالفاً لرأي الإمام الزهري، فهو يرى أنَّ اسم "اليَم" مأخوذ من اللسان العبراني، والعبرانية هي لغة اليهود من بني إسرائيل. ورأي الحدادي يوافق رأي الإمام مقاتل بن سليمان (ت 150 هـ) الذي قال فيه: "إنَّ اليَم بلسان العبرانية يُعنى به البحرُ، وهو نهرٌ بمصر"<sup>29</sup>، ووافق ابن الجوزية وكثير من المفسرين، وهذا صحيح لأنَّ كلمة ماء بالعبرية تكتب هكذا מים وتنطق مايي أو ماييم Mah-yeem، أمَّا البحر فهو يام او ياما او ياميت ويكتب باللغة الإنجليزية هكذا Yahm ويكتب بالعبرية هكذا ים، ويسمى النهر بالعبرية ناهار Nahar ويكتب هكذا נהר. واللغة العبرية تأثرت تأثراً كبيراً باللغة الآرامية واحتوت أيضاً على بعض الألفاظ من اللغات الأخرى

<sup>29</sup> تفسير مقاتل بن سليمان، سورة الأعراف، آية 136

وانقسمت لعدة لغات عبرية، وقد تأثرت العبرية الحديثة باللغة العربية أيضاً، ولذلك هي مختلفة إختلافاً كبيراً عن لغة التوراة الأصلية التي كانت تكتب من اليمين إلى اليسار.<sup>30</sup>

ولقد ثبت لي بالتقصي أن كلمة "يم" مطابقة نطقاً ومعنى مع لسان البجة في شرق السودان، لأن البجة مازالت حتى هذه اللحظة تسمى الماء "يم" وتسمى البحر "يم"، وقد سألت عدداً منهم بغرض التأكد من اسم الماء والبحر عندهم فأجابوا جميعاً بأن اسمه "يم"، وقد أكد لي ذلك أيضاً الأستاذ محمود كرار الباحث في لغة البجة وقواعدها في رسالة على البريد الإلكتروني.

والحدير بالذكر أن البجة أقدم في النشأة والوجود من بني اسرائيل والعرب، وكانوا أكثر منهم عدداً وتأثيراً ثقافياً ولغوياً على الشريط النيلي، وفي الحقيقة قد عاصرت البجة الممالك المصرية في أوج عظمتها، وفي أواخر عهدها أيضاً كما ذكر ذلك المؤرخ أ. بول. الذي قال في مقدمة كتابه: "هذا الكتاب هو محاولة لتقصي تاريخ شعب من أقدم شعوب السودان. فجاء ذكره على لسان مختلف الكتاب والشعوب أمثال ليو أفريكانس وراسمي خرائط القرن السابع عشر وبليمي روما وفي مدونات مملكة أكسوم وممالك الفراعنة. ومنذ القرون الوسطى عُرف هذا الشعب بالبجة، ولفترة الأربعين قرناً التي عرفوا فيها شاهدوا نشو وازدهار ثم إندثار كثيراً من الحضارات والثقافات من غير أن يتأثروا بها"<sup>31</sup>.

وفي الحقيقة ترجع علاقة البجة بالدولة المصرية لزمان الأسرة المصرية السادسة، وقد وصلت حدود مملكة البلو (البنى عامر) منحني النيل عند أبي حمد وحتى حدود مدينة أسوان شمالاً، وحدود الدولة النوبية هي نفسها تلك الحدود البيجاوية التي ذكرها المؤرخ الإسلامي أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري في

<sup>30</sup> <http://www.marefa.org>

<sup>31</sup> أ. بول، تاريخ قبائل البجة، ص 2

كتابه المسالك والممالك حيث قال: "وأما مصر فإن لها حداً يأخذ من بحر الروم (البحر المتوسط) بين الإسكندرية وبرقة (في ليبيا حالياً)، فيأخذ في براري (الصحاري) حتى ينتهي إلى ظهر الواحات، ويمتد إلى بلد النوبة، ثم يعطف على حدود النوبة في حد أسوان، إلى أرض البجة من وراء أسوان، حتى ينتهي (الحدا) إلى بحر القلزم (البحر الأحمر) ثم يمتد على بحر القلزم (شمالاً) ويجاوز القلزم على البحر إلى طور سيناء (أي جزيرة سيناء)."<sup>32</sup> هذه هي حدود مصر كما وصفها الإصطخري في زمانه الذي كان قريباً من زمن الفتوحات الإسلامية. وفي زمن الاحتلال الروماني المسيحي لمصر هاجمت قبائل البجة مصر العليا عدة مرات دفاعاً عن حدودها التي ذكرها الإصطخري، وكان أشهرها الهجوم الذي وقع في عام 241 ميلادي في عهد الإمبراطور الروماني نسييوس، ونتج عن هذه الهجمات احتلال البجة لمصر العليا عام 268، وظلت تحت حكم البجة حتى عام 275 م، وهاجموها مرة ثانية في عام 425 م-430 م وتطلبت مقاومتهم جهداً عظيماً ومعارك شرسة، وقد نجحت منهم مجموعة تسمى بالبلبيين - وهي تسمية رومانية تطلق على عموم البجة أو قبائل محددة منهم- في احتلال مدناً على نهر النيل لمئات السنين هددت منها الوجود الروماني المسيحي في جنوب مصر، وكان ذلك في القرن الثالث الميلادي وقد طردهم ملك النوبة المسيحي سيلكو من ضفاف النيل التي وجدوا فيها الماء والمرعى إلى الصحراء والجبال الشرقية في عام 540 بعد ميلاد السيد المسيح، "ولذلك فإن منطقة جنوب مصر التي كانت عرضة مستمرة للهجمات البجاوية، أصبحت تتمتع بنوع من الاستقرار"<sup>33</sup>. والاهتداء الصحيح لموقع مصر القديمة وماهيتها، سيغير كثيراً في دراسة تاريخ منطقة وادي النيل وشعوبها. ففي

<sup>32</sup> أبو اسحاق الإصطخري، مسالك الممالك، ص. 39

<sup>33</sup> أ. بول، تاريخ قبائل البجة، ص. 51

ما هية مصر نجد ابن منظور يقول: "مِصر هي المدينة المعروفة، تذكر وتؤنث؛ والمِصر: واحد الأمصار. والمِصر: الكورة، والجمع أمصار. ومِصروا الموضع: جعلوه مِصراً. ومِصر المكان: صار مِصراً. ومِصر: مدينة بعينها، سميت. والمِصران". وقال ابن الأعرابي: "الكوفة والبصرة؛ قيل لهما المِصران لأن عمر بن الخطاب (رض) قال: لا تجعلوا البحر فيما بيني وبينكم، مِصروها أي صيروها مِصراً بين البحر وبين أي حدًا. والمِصر: هو الحاجز بين الشينين." فهل يا ترى كانت مصر القديمة دولة كاملة أم مقاطعة في دولة أم هي مدينة "ممفيس" التي كانت لها أهمية استراتيجية تتنافس عليها الدول وسميت بها كل المنطقة كما ذكر ذلك Mr. Chancellor Williams في كتابه الفيم "تدمير الحضارة السوداء" 34 ؟

وذكر المؤرخ الإسلامي اليعقوبي في كتابه "فتوح البلدان" الذي ألفه في القرن التاسع الميلادي أن البجة كانت لها تسع ممالك في المنطقة الممتدة بين ميناء مصوع على ساحل البحر الأحمر وأسوان على النيل.<sup>35</sup> وقد أشار اليعقوبي بوضوح تام لحدود الدولة النوبية فقال: "مدينة أسوان العظمى وبها تجار المعادن وهي في الجانب الشرقي من النيل وهي ذات نخل كثير وزروع وتجارات مما يأتي من بلاد النوبة والبجة. وآخر بلاد الإسلام من هذه الناحية مدينة في جزيرة في وسط النيل يقال لها "بلاق" عليها سور حجارة، ثم حد بلاد النوبة بموضع يقال له القصر على مقدار ميل من بلاق."<sup>36</sup> وبالإضافة لذلك فإن البجة في نسبها تدعي انتماء لكوش بن حام، ولقد أوردت التوراة أن كوش هو والد النمرود الطاغية المعروف. فالبجة إذن جزء أصيل من الدولة الكوشية التي فرضت سيطرتها على مصر في وقت من الأوقات، ولغات البجة ولهجاتهم

Chancellor Williams, The Destruction of Black Civilization, P 64<sup>34</sup>

اليعقوبي، فتوح البلدان، ص 40

اليعقوبي، فتوح البلدان، ص 172.

كما ذكر الباحثون قد أثرت في عدد من المجتمعات القديمة والحديثة في السودان ومصر على السواء، فمثلاً نجد العلامة أ. بول في حديثه عن قبيلة العباددة المصرية يقول: ".... أن مجموعاتهم الرعوية في مصر تتحدث لهجة من البداوييت...."<sup>37</sup> والبداوييت لغة من لغات البجة الحية. ونفس الشي ذكره عن قبيلة الفلاتة إذا قال عنهم: "ولعل أكثر الأشياء الملفتة للنظر في هذه القبيلة (أي الفلاتة) هو استطاعتهم التحدث باللغة البجاوية وأن يتمثلوا بزيهم وبأسلحتهم (أي زي البجة وأسلحتهم)"<sup>38</sup>.



خريطة توضح دولة البلميين البجة وهي تجاور كوش ومصر من الناحية الشرقية.

فإننا قد متنا التاريخ بشواهد مادية قوية على تمدد لغة البجة قديماً وحديثاً في المنطقة الواقعة على النيل من حدود شندي وحتى أسوان، ولعل أسماء المدن النيلية المعاصرة كالعالياب والزيداب والتميراب وكل المدن والقرى والقبائل التي تنتهي بمقطع "اب"

<sup>37</sup> أ. بول، تاريخ قبائل البجة، ص 124

<sup>38</sup> المصدر السابق، ص 124

والتي تعني "آل" في لغة البجة ومقصودها النسب، تقف شاهداً قوياً على تخلخل هذه اللغة في هذا الشريط النيلي منذ قديم الزمان. وكما يقول أ. بول: " ويكفي أن لغتهم الغنية بالقواعد ومفردات الخيال دليل على أنها ليست لغة أغبياء، بل أنها تنم عن ثقافة متكاملة وحضارة ناضجة. فهم يتميزون بمقدرة عالية في سرد القصص والأساطير. وتتصف كلتا اللغتين، البداوييت والتقري، بخبرة ضخمة من الفصاحة والبلاغة"<sup>39</sup>

فعليه، يمكننا أن نقول بكل ثقة إن "اليم" هو لغة بجاوية كوشية استعارته العبرية التي هي لغة بني إسرائيل، وقد سُمي به نهر النيل خاصة لا يتجاوزه لغيره من الأنهار، وقال الإمام الشوكاني في تفسيره: "واليم: البحر أو النهر الكبير"<sup>40</sup>، ولهذا لا يجوز لنا أن نسمي الفرات يماً، ولا البحر الأحمر يماً، ولا أيّ من مجاري المياه العذبة أو المالحة يماً، كما لا يجوز لنا أن نسمي النيل فراتاً ولا الفرات نيلاً، لأنّ الأسماء في جميع اللغات تكون حصراً على المسميات. ومن العريب أن البجة يطنون أنّ اسم الماء عندهم مأخوذ من العربية لوروده في القرآن الكريم! ولكن الحقائق التاريخية تشير إلى أنّ القرآن قد أخذ الاسم من البجة كما أخذ الدرهم والدينار من الفرس والروم عندما وجد العرب تستخدمهما في أسواق الجاهلية، ووجود الأسماء الأعجمية في القرآن لا يشكك في عربيته التي قال فيها المولى عزّ وجل {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}<sup>41</sup>، لأنّ الأسماء لا تُغيّر في كل اللغات، فمحمد تجده محمد بكل اللغات، وأديسون هو أديسون بكل اللغات، وغاندي هو غاندي بكل اللغات، ولأنّ القرآن قد ذكر كثيراً من الفصوص التاريخية التي لا علاقة لها بالعرب فقد ذكر معها أسماء أبطالها الأعاظم أيضاً، فذكر إبراهيم

<sup>39</sup> المصدر السابق ص 8

<sup>40</sup> الإمام الشوكاني، تفسير فتح القدير، سورة طه آية 39

<sup>41</sup> القرآن الكريم، سورة يوسف، آية 2

ولوط وموسى وعيسى وفرعون وهامان و"اليم" وياجوج وماجوج..... الخ، وهذه حقيقة لا يجادل فيها إلا جاهل.

وبخصوص اسم الماء عند البجة فأهل علم اللغات أو اللسانيات (Linguistics Science) يؤكدون حقيقة مهمة، هي أن أساسيات الحياة لا تقتبسها لغة حية من لغة حية أبداً، وإذا وجد اشتراك بين لغتين في الأساسيات، فذلك يعنى أن واحدة من اللغتين قد تفرعت من الأخرى أو تأثرت إحداهما بالأخرى نتيجة للمجاورة والاختلاط السكاني، فلذلك يستحيل أن يكون البجة قد أخذوا اسم الماء من العربية لأنهم أقدم من العرب وجوداً، ولغتهم أقدم من العربية والعبرية، واسم الماء في العربية هو "ماء" وليس "يم"، والعرب لا تذكر اليم إطلاقاً في حياتها اليومية ولا في أشعارها ونثرها القديم والجديد، وقد جاء ذكر "اليم" في الأدب الإسلامي محدوداً متأثراً بلغة القرآن التي جاءت به لأول مرة. والبجة شعب كبير وقديم ومنعزل نوعاً ما، فلزم من ذلك أن يكون لهم اسم قديم للماء غير مستعار من لغة أخرى وهذا الاسم هو "اليم".

وبعد أن انكشفت لنا حقيقة كلمة "اليم" نرجع للقرآن مرة ثانية لنؤكد من صحة هذا التحليل، ونقف عند المرة الأولى التي استخدم فيها القرآن الكريم هذا الاسم البيجاوي الكوشي. وبتدقيق النظر في سلسلة الأحداث كما جاء بها القرآن الكريم سنجد أن كلمة "اليم" ذكرت لأول مرة في قصة أم موسى (ع) عندما أمر فرعون جنوده بقتل الأبناء الذكور وترك البنات أحياء ووفقاً للتوراة: {ثُمَّ أَمَرَ فِرْعَوْنُ جَمِيعَ شَعْبِهِ قَائِلًا: كُلُّ ابْنٍ يُوَلَّدُ تَطْرَحُونَهُ فِي النَّهْرِ، لَكِنْ كُلُّ بِنْتٍ تَسْتَحْيُونَهَا} 42. حينها أمر الله تعالى أم موسى قائلاً: {أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْأَفْيُتْ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} 43 وقوله

42 التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الأول، النص رقم 22

43 القرآن الكريم، سورة طه، آية 39

تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا زَانُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْفُرْسَلِينَ﴾<sup>44</sup> ويقابل النصوص القرآنية نص في التوراة يقول: ﴿وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُحَبِّئَهُ بَعْدَ أَخَذْتِ لَهُ سَفْطًا مِنَ الْبُرْدِيِّ وَطَلْتَهُ بِالْحُمْرِ وَالزَّفْتِ، وَوَضَعْتَ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعْتَهُ بَيْنَ الْحُلَفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. وَوَقَفْتُ أُخْتَهُ مِنْ بَعِيدٍ لِتَعْرِفَ مَاذَا يَفْعَلُ بِهِ.﴾<sup>45</sup>، فمن نص التوراة نعلم أن أم موسى (ع) قد لفته بنبات الحلفا عندما وضعته في التابوت على حافة النهر، ونبات الحلفا كما هو معلوم يوجد في منطقة حلفا وينتشر جنوباً حتى مدينة دنقلا، وبه سميت مدينة حلفا السودانية. وهذا يعني أن قصر الملك فرعون كان في تلك المنطقة، لأن أم موسى {..} قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ<sup>46</sup> وبالفعل تتبعت أخته التابوت من جانب البر الذي كان ساحلاً مستوياً لترى ماذا سيحدث له. والجدير بالذكر أن الساحل هو جانب البحر المالح أو جانب النهر العذب، ويكون في حالة تغير دائم بسبب المد والجزر في سواحل البحار المالحة أو بسبب الفيضان السنوي في سواحل الأنهار، والساحل في اللغة فاعل بمعنى مفعول (أي مسحول)، لأن الماء يَسْحَلُ المكان (أي يَْقْشَرُهُ) حيناً، ويغمره حيناً آخر في عملية مدّ وجزر مستمرة لا تتوقف قط، وعندما تقول إن الرياح سحلت الأرض سخلاً: أي كُشِطَتْ ما عليها ونُزِعَتْ عنها أَدَمَتُهَا. ففي حالة المد تغطي المياه اليابسة وفي حالة الجزر تسحل المياه الرمل وما عليه فتظهر الأرض يابسة نظيفة مرة أخرى. فالساحل بهذا الفهم اللغوي هو المكان الذي يصبح مرة جزءاً من البحر أو النهر ومرة أخرى يصبح جزءاً من اليابسة، وبالتالي هو منطقة تتغير باستمرار، ولا تصلح للسكن بسبب تهديد المياه المستمر لها، وقد تصلح للزراعة في حالة انحسار الفيضان

44 القرآن الكريم، سورة القصص، آية 7

45 التوراة، سفر الخروج الإصحاح الثاني، نصوص 4-1

46 القرآن الكريم، سورة القصص، آية 11

عنها في حالة السواحل الزراعية على ضفاف الأنهار، لأن سواحل البحار المالحة لا تصلح للزراعة بسبب ملوحة الأرض والمياه. وفي هذا المعنى قال الإمام الشوكاني: "والساحل: هو شط البحر، سمي ساحلاً، لأن الماء ساحله"<sup>47</sup> وقد يكون الساحل منطقة ممتدة لمئات الكيلومترات على طول النهر أو البحر أو قد يكون منطقة صغيرة تمتد لبضع الكيلومترات، وقد يكون الساحل بعيداً من المدينة أو القرية وقد يكون قريباً من أماكن السكن. والسواحل عدة أنواع: منها السواحل المستقيمة وغير المستقيمة والعريضة والضيقة والمفتوحة والمحصورة.

وهناك على ضفاف النيل في شمال السودان كثير من السواحل الرملية وغير الرملية وهي على مستوى النيل أو تعلو عليه قليلاً، إلا أنه يصلها في كل حال. ولا يعقل أن تتبع أخته التابوت مشياً على أرجلها من منطقة حلفا وحتى أسوان أو القاهرة والتابوت يسبح مع التيار المنحدر سريعاً من غير توقف من الجنوب صوب الشمال. كما لا يعقل ولا يتخيل أن تأتي أمه لترضعه يومياً من مسافة تبعد مئات الكيلومترات حتى لو كانت راكبة أحسن الخيول، وذلك لأن الطفل يحتاج للرضاعة في اليوم عدة مرات! فإذا نستنتج من ذلك كله أن بيت أم موسى (ع) كان قريباً من قصر الملك فرعون، وأن المسافة التي تتبعت فيها أخته التابوت بأرجلها كانت معقولة نوعاً ما، وكان هناك ساحل يفصل بين مساكن بني إسرائيل وقصر الملك الطاغية فرعون، وكلهم يسكنون بالقرب من النيل وليس على ساحله. وفي هذه الحالة يمكن لأم موسى أن تأتي للقصر لترضعه في اليوم عدة مرات، أو أن يأخذ الطفل عدة مرات في اليوم لترضعه مرضعته (والتي هي أمه) في بيتها ثم ترجعه للقصر. وقد اتفق جميع المفسرين على أن اسم "اليم" في هذه الآية بالذات مقصود به نهر النيل لا غيره. وهذا الإجماع قد ذكره الإمام الرازي

<sup>47</sup> الإمام الشوكاني، تفسير فتح القدير، سورة طه، آية 39

قائلاً: "اليم هو البحر، والمراد به ههنا نيل مصر في قول الجميع"<sup>48</sup>، وقد خالف الإجماع المقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: أن بحر القلزم (البحر الأحمر) هو البحر الذي طرحت فيه أم موسى تابوت موسى لما خافت عليه من فرعون" وقول المقدسي بعيداً وشاد جداً.. وكلمة "اليم" لم تذكر في القرآن إلا في سياق الحديث عن مكان سكن آل موسى وآل فرعون والمكان الذي غرق فيه فرعون والمكان الذي نسف فيه العجل، ومن المعروف أن قوم موسى وقوم فرعون جميعاً لم يكونوا يسكنون ساحل البحر الأحمر فوجب إسقاط قول المقدسي. وقد ذكر النيل باسمه البيجاوي "اليم" لأن لغة البجة كانت مؤثرة على هذا الشريط النيلي، وأثرت أيضاً على لغة بني اسرائيل لأنهم أقلية، والأقلية إن لم تكن منعزلة تماماً من الشعوب الأخرى تتأثر لغتها بلغة غيرها خاصة في الأساسيات المشتركة بينهم. وفي الحقيقة ما زالت آثار اللغة البيجاوية باقية إلى يومنا هذا، ولهذا قال عالم الآثار والاس بدج: "من أراد أن يتعلم اللغة المصرية القديمة عليه أن يجيد لغة البجة في شرق السودان"<sup>49</sup>. ومن الضروري أن نذكر أن لغة السريان بعيدة عن المنطقة وقد كانوا في العراق وسوريا ولم يطلقوا على دجلة والفرات ولا غيرها من الأنهار اسم اليم، ولهذا لا يمكن أن نقبل أن يكون اسم "اليم" اسماً سريانياً، فلو كان سريانياً لوجدنا له أثراً على أسماء أنهارهم التي كانت تجري من تحتهم. وقد أعجبتني مرافعة الأستاذ عبد الله أوبشار في كتابه عن تسمية نهر النيل عندما قالوا له إن النيل تسمية يونانية فقال مرافعاً: "لقد قامت على أرضه (أي النيل) حضارات وأمم قبل دخول اليونان تلك المناطق..... أنهم (أي البجة) بعدما أطلقوا الاسماء على الجبال

<sup>48</sup> الإمام الرازي، تفسير مفاتيح العيب، سورة طه آية 39

<sup>49</sup> عبد الله أوبشار، الإكتشاف العظيم: الشواهد والدلالات البيجاوية والفرعونية، ص. 30

والاحجار والانهار والروافد (فكيف لهم) ان يتركوا النيل العظيم؟ ولماذا (يتركونه)؟ (أيتركونه) ليأتي اليونانيون بعد آلاف السنين ويسموه بتسميتهم كما يزعمون، أوليس في الأمر شيء من الغرابة؟! فإنهم (أي البجة) لم يتركوا نهراً إلا وسموه اسماً مثل "أنبرة" الألف عليها مد والتاء عليها سكون و"آت" تعني اللبن و"بر" تعني بحر بنطق الباء والحاء معاً، والكلمة تعني "بحر اللبن". ولا أدري إن كان ذلك الوصف نسبة لقربه من البحر المالح أم لحلاوة مائه أم لكثرة المرعى فيه حتى تصبح الألبان بحاراً. وكذلك نهر القاش، و"قاش" تعني (بلغة البجة) فاضر وتدفق، وتطلق عادة على فورة اللبن، "قاش" فار اللبن. نهر سبتيت اسم بيجاوي في منطقة بيجاوية فإن "سيت" تعني الدسم والدهون وتطلق عادة على الشيء الدسم. وكذلك نهر "الساسريب" فهي كلمة بيجاوية "سي سريب" وهو رافد لنهر عطبرة، والكلمة تعني المقدم الذي يقدم شيئاً للأمام. فلو ذهب شخص ما ليوصل شخصاً آخر فيقال "سي سري"، وحرف الياء للتوكيد. والساسريب هو الذي يصب في نهر عطبرة ويدفعه للأمام. ويقال أن هناك نهراً صغيراً في إحدى مناطق الشمالية يقال له "أور" وبلغة البجة تعني ولد أو ابن. فهل يعقل أن يسمي البجا القدماء الأنهر والروافد وينسوا الأساس؟ والأساس النيل كما هو معلوم. وقد ذكر أحد الباحثين في الحضارة المصرية القديمة أن اسم النيل بلغة المصريين القدماء "ني ملء" بخفض النون وضم اللام. والجدير بالذكر أن الكلمة البيجاوية تتكون عادة من مقطعين كما في "نيلء" الذي هو النيل، والكلمة بلغة البجا تعني زوينا ماءً (فعل ماضي) أو تعني الراوي. وعندما غرّبت الكلمة أدخل إليها حرفي الألف واللام للتعريف فأصبحت النيل.<sup>50</sup>

وعندما ذكر الله تعالى قصة فرعون في القرآن الكريم أكد بما لا يدع مجالاً للشك أنه قد أغرقه في اليم الذي هو نهر النيل الذي

<sup>50</sup> المصدر السابق، ص. 85

يسمى بالعربية بحراً، وقد جاء ذكر غرقه في اليم في أربع سور هي الآتي:

1- الأعراف آية 139: {فَأَنزَلْنَا مِنْهُمْ فَاغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ}

2- طه آية 78: {فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ}

3- القصص آية 40: {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنْطَرَزَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ}

4- الذاريات آية 40: {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلَيَّمٌ}

(سبحان الله! هناك توافق في رقم الآيات في سورة الذاريات والقصص وهو الرقم 40).

فإذن، وفقاً لهذه الآيات القرآنية إن الملك الطاغية فرعون قد غرق في نهر النيل الذي أكد القرآن أن اسمه الخاص بلغة أهل المنطقة هو "اليم" سبع مرات في آيات مختلفة. وهذا يجعلنا نجزم تماماً أن كلمة "البحر" التي وردت في الآيات الأخر التي تناولت قصة الغرق مقصوداً بها نهر النيل لا غيره، ولقد صرح بذلك الإمام مقاتل بن سليمان في تفسيره قائلاً: "{فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ}" يعني ففقدناهم في نهر النيل الذي بمصر<sup>51</sup>، والجدير بالذكر أن بعض أهلنا في شمال السودان -الرباطاب مثلاً لهم- لا ينزلون البحر في يوم الأربعاء ويسمونها "أربعاء فرعون"<sup>52</sup>! فمن أين لأهل شمال السودان بهذه المعلومة إن لم يكن لهم علم متوارث بأن حادث الغرق قد تم في النيل؟!

كما أن هناك قرائن آخر تؤيد أن المقصود بالبحر هو النيل، فقد جاء في سورة الكهف: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ

<sup>51</sup> مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، سورة القصص آية 44

<sup>52</sup> هذه المعلومة سمعتها من كبار النس وأكدها لي عدد من أبناء المنطقة وهي معلومة مشهورة

مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِي حُقُبًا<sup>53</sup>، وموسى (ع) قد قصد بمجمع البحرين مجمع نهرين عذبيين على أرض السودان عند الخرطوم تحديداً، حيث تجتمع مياه النيلين الأبيض والأزرق في منطقة واحدة عند جزيرة تسمى "توتي"، فيتكوّن النيل العظيم الذي يصب بدوره في البحر الأبيض المتوسط، وكلمة "مَجْمَع" أو "مجمع" هي اسم مكانٍ لحدوث الفعل، والفعل هنا تَجْمَعُ مياه النهرين في مكانٍ واحدٍ، وفي الحقيقة يبدأ إجتماع النهرين عند جزيرة توتي ويجريان جنباً لجنب حتى منطقة السبلوقة، حيث تختلط المياه ويتكون النيل العظيم. يقول الإمام الرازي في شرح الآية: " وحاصل الكلام أن الله عز وجل كان قد أعلم موسى حال هذا العالم (المكان)، وما أعلمه موضعه بعينه، فقال موسى عليه السلام: لا أزال أمضي حتى يجتمع البحرين فيصيرا بحراً واحداً أو أمضي دهرأ طويلاً حتى أجد هذا العالم (المكان)"<sup>54</sup> وأول من تنبه لقول الإمام الرازي هذا وأسقطه على الواقع الجغرافي والتاريخي للقصة لتحديد مجمع البحرين، هو العلامة الباكستاني أبو الأعلى المودودي في تفسيره المسمى "تفهيم القرآن" الذي بدأ تأليفه عام 1940 وانتهى منه في عام 1970، وذلك في معرض شرحه لسورة الكهف، فقال إن البحرين اللذان يصيران بحراً واحداً هما النيل الأزرق والنيل الأبيض عند جزيرة توتي بمدينة الخرطوم بجمهورية السودان لأن قصة موسى وقعت في هذه المنطقة.<sup>55</sup> ثم قال بهذا الرأي من بعده البروفيسور العلامة عبد الله الطيب ولكن لم يقطع به كما قطع المودوي<sup>56</sup>، ومن بعدهما ذكره عددٌ من الباحثين السودانيين، فإذن هو رأيٌ قديم نسبياً ولكنه غيرٌ مشروح وموضح، وقد جعلت شرحه وتوضيحه أحد أهداف هذا الكتاب.

<sup>53</sup> القرآن الكريم، سورة الكهف، آية 60

<sup>54</sup> الإمام الرازي، تفسير معانيح الغيب / الكبير، سورة الكهف، آية 60

<sup>55</sup> أبو الأعلى المودودي، تفهيم القرآن، تفسير سورة الكهف

<sup>56</sup> عبد الله الطيب، تفسير القرآن الكريم، اداعة أمدرمان، تفسير سورة الكهف آيات 60-67

ولكي نفهم اختيار أبو الأعلى المودودي وبروفيسور عبد الله الطيب<sup>57</sup> للخرطوم لتكون محملاً للبحرين، لا بد لنا من نقت النظر للفرق بين مفهوم "المجمع" الذي يجمع بين نهريْن أو بحرين، وبين ومفهوم "المفرق" الذي يفرق البحر الواحد لأكثر من مجرى، وكذلك يجب أن نفرق بين مفهوم "المجمع" و"المصب الأحادي". ففي المجمع يشترك نهراْن أو بحراْن أو أكثر في مصب واحد، وبالضرورة العقلية لابد من أن يكوناْ نهراً جديداً، أو بحراً، أو بحيرة، أو مجرى ثالثاً كما في حالة نهر النيل أو نهر شط العرب في العراق. أما في حالة "المصب الأحادي" كما في حالة نهر عطبرة مع النيل<sup>58</sup>، أو في حالة النيل مع البحر الأبيض المتوسط، فالبحر الأبيض المتوسط لا يجتمع مع النيل في مصب واحد، ولكنّه يستقبل مياه النيل التي تصب فيه، وكذلك يفعل النيل مع نهر عطبرة. ومن هذا نفهم أن مصب النيل وفروعه عند الإسكندرية ليست مجمعة وإنما هي مصبات أحادية للنيل وفروعه، وفروع النهر لا تسمى أنهاراً وإنما تسمى فروعاً. ولقد اشطط المفسرون القدماء في أقوالهم عن مجمع البحرين فمثلاً نرى الإمام الطبري يقول: "حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: {حتى أنلج مجمع البحرين} والبحراْن: بحر فارس وبحر الروم، وبحر الروم مما يلي المغرب، وبحر فارس مما يلي المشرق"<sup>59</sup> أي اجتماع المحيطين الهادي والأطلسي وهذا بعيد جداً! وقال ابن عطية: "واختلف الناس في {مجمع البحرين} أين هو؟ فقال مجاهد وقتادة هو مجتمع بحر فارس (المحيط الهادي) وبحر الروم (المحيط الأطلس). قال القاضي أبو محمد: وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال إلى جنوب في أرض فارس من وراء أذربيجان

<sup>57</sup> يقال أن لعبد الله الطيب رأي ثان هو أن مجمع البحرين هو ملتقى الأنديزوي بالنيل، وهو لم ينور الرأيين في كتبه وربما ذكرهما في محاضراته.

<sup>58</sup> لقد كنت في الماضي أعتقد أن منطقة عطبرة هي مجمع البحرين وتبين لي أن ذلك خطأ لأن نهر عطبرة يصب أحادياً في النيل ولا يلتقي معه في مصب واحد.

<sup>59</sup> الإمام الطبري، تفسير الطبري، سورة الكهف، آية 60

فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام، هو {مجمع البحرين} هو عند طنجة، وهو حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه السائر من دبور إلى صبا. وروي عن أبي بن كعب أنه قال {مجمع البحرين} بإفريقية، وهذا يقرب من الذي قبله، وقال بعض أهل العلم هو بحر الأندلس (البحر الأبيض المتوسط) من البحر المحيط (الأطلسي)، وهذا كله واحد حكاه النقاش وهذا مما يذكر كثيراً، ويُذكر أن القرية التي أبت أن تضعفهما هي الجزيرة الخضراء، وقالت فرقة {مجمع البحرين} يريد بحراً ملحاً وبحراً عذباً، فعلى هذا إنما كان الخضر عند موقع نهر عظيم في البحر<sup>60</sup>... وكما ترى بأم عينك عزيزي القاريء إنَّ كلام المفسرين عن مجمع البحرين كلام مضطرب لا يقف على ساق وبالتالي غير ملزم لنا.

وخلاصة هذه الفقرة، أنه قد ثبت لنا بالدليل القاطع من القرآن نفسه أن "اليم" اسم أعجمي، وثبت لنا بالبحث والتقصي أن تلك التسمية بجاوية الأصل استعارتها العبرية اسماً للنيل الذي كانوا يسكنون ضفافه، وثبت لنا أيضاً أن النهر في القرآن الكريم يُسمى بحراً ولا تسمى البحار المالحة أنهاراً. كما ثبت لنا بالمنطق استحالة غرق فرعون في مكانين في وقت واحد، فوجب من هذا كله أن يكون للمكان الذي غرق فيه فرعون اسمان الأول هو "البحر" وهو اسم جنس (نوع) عام في اللغة العربية يطلق على كل المياه الدائمة الكثيرة مالحة كانت أم عذبة، واسم الجنس عندما يستخدم في التعبير لا يساعد السامع على الفهم الدقيق المحدد، ولهذا يحتاج اسم الجنس دوماً لعامل مساعد يساعد السامع على الفهم الدقيق المحدد، ولذلك جاء الإسم الثاني وهو "اليم" - وهو اسم خاص بلغة أهل المنطقة يطلق على نهر النيل - ليساعد في تحديد اسم الجنس الأول. فانت عندما تقول: "قطعت شجرة"، لا يفهم السامع أي شجرة قطعت

<sup>60</sup> ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، سورة الكهف، آية 60

على وجه الدقة، ولكن عندما نقول له: قطع شجرة البرتقال التي أمام بيتي، فقد أوضحت وحددت للسامع على وجه الدقة مُرادك، لأنك حددت اسم الجنس باسم معين لفاكهة معينة معروفة تسمى البرتقال، وبالإضافة لذلك حددت له موقع الشجرة، فاكتمل عنده الفهم. وبهذا المنطق نستطيع أن نجتمع بين آيات الإغراق في البحر وآيات الإغراق في اليم، لأنَّ الإنسان لا يمكن أن يغرق في مكانين مختلفين في زمن واحد كما ذكرنا سابقاً، ولكن يمكن أن يغرق الإنسان في مكان واحد له اسمان. فلزم من هذا أن يكون "اليم" هو نفسه "البحر" المذكور في آيات الإغراق، وهكذا يُفكُّ التعارض بين آيات اليم وآيات البحر بسهولة ويسر.

## المحور الثالث: قصة السامري

إن قصة السامري أيضاً قد حدثت على ضفاف النيل في العمق السوداني بشهادة القرآن والتوراة معاً، ولهذه القصة دلالة مهمة في هذا الموضوع، فقد ذكر القرآن أن العجل أحرق ونُسف في "اليَمِّ" في قوله تعالى على لسان موسى: ﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾<sup>61</sup> ونجد نفس الحفيفة بتفاصيل أكثر أكدتها التوراة حيث ورد قول موسى لقومه: ﴿وَأَمَّا خَطِيئَتُكَمُ الْعَجَلُ الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ فَأَخَذْتُهُ وَأَحْرَقْتُهُ بِالنَّارِ وَرَضَضْتُهُ وَطَحْنْتُهُ جِدًّا حَتَّى نَعَمَ كَالْغُبَارِ ثُمَّ طَرَحْتُ غُبَارَهُ فِي النِّهْرِ الْمُنْحَدِرِ مِنَ الْجَبَلِ﴾<sup>62</sup>. والسامري رجل من قرية وثنية يقال لها سامرة في شمال فلسطين كانت تعبد صنماً في شكل إنسان له رأس عجل وله قرنان يسمى "بعل" وكان رجلاً مطاعاً من أتباع موسى عليه السلام ولكن ليس من بني إسرائيل، وذكر ابن كثير في تفسيره أنه كان "من قوم يعبدون البقر جيران لبني إسرائيل، ولم يكن من بني إسرائيل، فاحتمل (أي هاجر) مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا (هاجروا)، فقضى له أن رأى أثراً، فقبض منه قبضة، فمر بهارون، فقال له هارون عليه السلام: يا سامري ألا تلقي ما في يدك، وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك؟ فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر، ولا ألقياها لشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يجعلها ما أريد، فآلقها ودعا له هارون، فقال أريد أن يكون عجلاً، فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد، فصار عجلاً أجوف ليس فيه روح وله خوار، قال ابن

<sup>61</sup> سورة طه آية 97

<sup>62</sup> التوراة، سفر التثنية، الإصحاح التاسع، النص رقم 21-22

عباس لا والله ما كان له صوت قط، إنما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه، وكان ذلك الصوت من ذلك، ففرق بنو إسرائيل فرقاً، فقالت فرقة يا سامري ما هذا وأنت أعلم به؟ قال هذا ربكم، ولكن موسى أضل الطريق، فقالت فرقة لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى، فإن كان ربنا، لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأينا، وإن لم يكن ربنا فإننا نتبع قول موسى، وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان، وليس بربنا، ولا نؤمن به ولا نصدق، وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل، وأعلنوا التكذيب به، فقال لهم هارون: **{يَقُومُ إِنَّمَا قُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي}** 63

ويبدو لي من البحث أن السامري كان اسمه هارون أيضاً فتحاشى القرآن ذكر اسمه خوفاً من الخلط 64، وينحدر أصله من مدينة تسمى السامرة قد ورد ذكرها كثير جداً في سفر أشيعيا، وبسبب تشابه الأسماء خلط اليهود بينه وبين هارون النبي، وقد كان اسم هارون شائعاً جداً بينهم، وعندما قالوا لمريم {يا أخت هارون} قيل هو رجل فاسق اسمه هارون فكان هذا تعبيراً لها ظنناً منهم بفسقها الذي يشبه فسق هارون، وقيل بل كان لها أخاً صالحاً اسمه هارون، ومن الواضح جداً أن نص التوراة الذي يقول: **{وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النَّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: قُمْ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لَأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. فَقَالَ لَهُمْ هَارُونَ: انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتَّوْنِي بِهَا. فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عَجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدْتِكَ مِنْ**

63 تفسير ابن كثير، سورة طه، آية 39

64 بعض المفسرين قالوا إن اسمه موسى بن مضر أو موسى بن العرير والأصح هو هارون كما ذكرت التوراة وهو من السامرة

أَرْضِ مِصْرَ. فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ<sup>65</sup> قَدْ أُعِيَاهُمْ فَهَمًّا، فَظَنُّوا أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ هَارُونُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ تَدَاوُلِ هَذَا الْإِسْمِ بَيْنَهُمْ قَبْلَ بَعْثَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَذَكُّرِ التَّوْرَةِ فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ أَنَّ لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ أَخًا يُسَمَّى هَارُونُ "هَارَان" وَهُوَ وَالِدُ سَيِّدِنَا لُوطَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَبُوهُمَا تَارَحَ أَوْ آزَرَ وَفَقًّا لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.<sup>66</sup> وَالْعَقْلُ يَقُولُ: حَاشَا لَنَنِي يُوَحِّدُ اللَّهَ وَيَدْعُو لُوْحِدَانِيَّتِهِ أَنْ يَتَحَوَّلَ فِي خِلَالِ 40 يَوْمًا لِلشَّرِكِ فَيُشْرِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى عَجَلًا لَهُ خَوَارِ! فَهَارُونُ النَّبِيُّ وَبَنِيهِ هُمُ مَنْ قَالَ فِيهِمْ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي {وَادِنِ بَهَارُونَ وَبَنِيهِ إِلَى بَابِ قُبَّةِ الْأُمْدِ وَاغْسِلْهُمْ بِالْمَاءِ، وَالْبَسْ هَارُونَ لِبَاسَ الْقُدُسِ، وَامْسَحْهُ فَلَيكْهُنَ لِي، وَادِنِ بَنِيهِ وَأَلْبِسْهُمْ السَّرَاوِيلَ وَامْسَحْهُمْ كَمَا مَسَحْتَ هَارُونَ أَخَاكَ فَلَيكْهُنَا لِي، وَلِيَكُنْ لَهُمْ مَسْحُهُمْ لِلْكُهِنُوتِ إِلَى الْأَبَدِ لِأَحْقَابِهِمْ، فَصَنَعَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ،<sup>67</sup> إِنَّ لِيَهُودَ عَقُولَ لَا يَعْقِلُونَ بِهَا!

وَهَذَا تَتَجَلَّى لَنَا دَقَّةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي تَجَنَّبَ عَمْدًا اسْتِخْدَامَ اسْمِهِ الْأَوَّلِ "هَارُونُ" وَجَاءَ بِنَسْبِهِ بَدَلًا مِنْ اسْمِهِ، فَقَالَ "السَّامِرِيُّ" بَدَلًا عَنْ "هَارُونُ" حَتَّى لَا تَخْتَلِطَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَخْصِيَّتُهُ مَعَ شَخْصِيَّةِ هَارُونِ النَّبِيِّ صَاحِبِ رِسَالَةِ التَّوْحِيدِ.

وَفِي رَأْيِي أَنَّ الْقُرْآنَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَكُونُ قَدْ صَدَّقَ التَّوْرَةَ فِي الْإِسْمِ، وَلَكِنَّهُ خَالَفَهَا فِي السَّرْدِ بِطَرِيقَةٍ حَكِيمَةٍ فَرَقَتْ بَيْنَ الْهَارُونِيِّينَ فَذَكَرَتْ النَّبِيَّ بِاسْمِهِ الْحَقِيقِيِّ وَذَكَرَتْ الْآخَرَ بِنَسْبِهِ السَّامِرِيِّ. فإِذَنْ عَجَلَ السَّامِرِيُّ وَفَقًّا لِلْقُرْآنِ وَالتَّوْرَةِ قَدْ تُسَفُّ وَقُتِفَ بِهِ فِي نَهْرِ الْفِيلِ بِالْقَرَبِ مِنْ جَبَلِ الْبِرْكَلِ حَيْثُ يَأْتِي الْفِيلُ مُنْحَدِرًا نَحْوَ مِصْرَ، وَلَمْ يَتِمَّ الْإِحْرَاقُ وَالنَّسْفُ فِي الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ كَمَا هُوَ شَائِعٌ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ. وَهَذَا يَقُودُنَا إِلَى اسْتِنْتَاكِ آخَرٍ هُوَ أَنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ

<sup>65</sup> التَّوْرَةُ، سَفَرُ الْحُرُوجِ، الْإِصْحَاحُ 32، لُصُوصُ 1-5

<sup>66</sup> تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ جُزْءُ 1 ص. 292

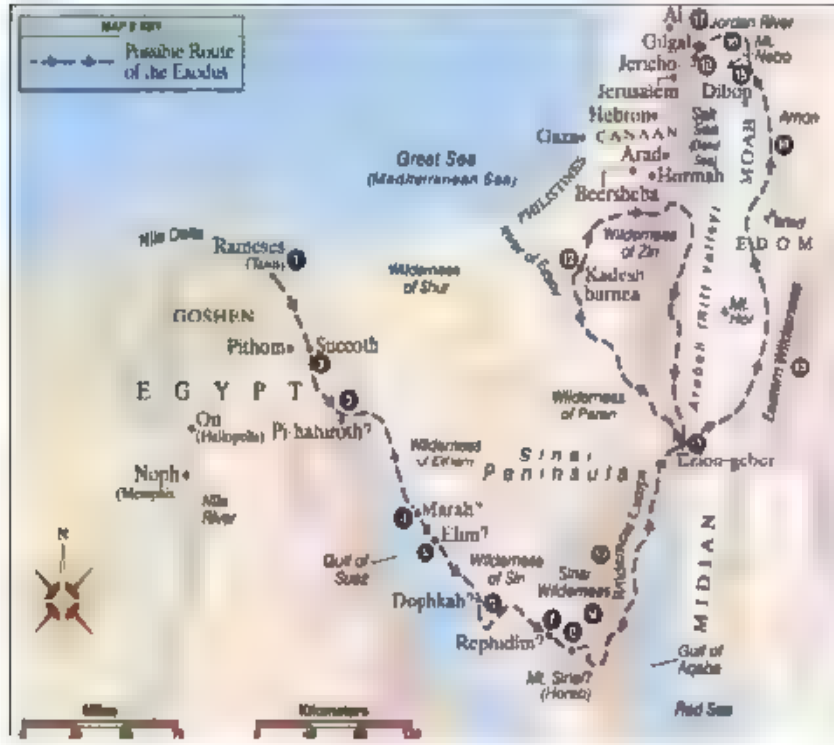
<sup>67</sup> التَّوْرَةُ، سَفَرُ الدَّلَازِينِ، الْإِصْحَاحُ الثَّامِنُ

كانوا يعبدون الأصنام في قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ  
الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾<sup>68</sup> هم قوم من سكان  
النيل المقيمين على شاطئه، لأن البحر هنا قطعاً هو نهر النيل كما  
أثبتنا سابقاً.

ونلاحظ أن كلمة الأصنام جاءت في الآية بصيغة الجمع في  
إشارة ضمنية لوجود مجموعات مستقرة بالمنطقة ومختلفة دينياً،  
وليس من الضروري أن تكون مختلفة عرقياً، فقد كان لأهل مكة  
أصنام مختلفة بالرغم من وحدة جنسهم.

والقربة التاريخية التي تدل على صحة هذا التفسير هي أن  
منطقة شمال السودان كانت منطقة تعج بالأصنام المختلفة، وما زالت  
أثار المنطقة تدل على كم كبير متنوع من الأصنام التي كانت تُعبد.  
وقصة السامري بلا خلاف حدثت بعد غرق فرعون، فهل يعقل أن  
يأتي موسى عليه السلام راجعاً فيقطع البحر الأحمر مرة أخرى  
ويترك قومه خلفه ليحرق وينسف العجل في النيل؟ فإن كانت  
الإجابة على السؤال أن هذا مستبعد ولا معنى له، فإذن لا بد أن  
نقول إن حادثة عبادة العجل نفسها كانت على ضفاف النيل.

## المحور الرابع: السرعة في الحركة



خريطة رسمها المصريون من خيالهم لتصف خروج موسى من مصر وهي غير منطقية لأن الطريق أمامه نحو القدس عبر غزة مفتوح وقريب وسهل، فلماذا يتجه جنوباً نحو مفرق البحر الأحمر حيث الطبيعة الجبلية الوعرة؟ تقول التوراة: {وَكَانَ لَمَّا أَطْلَقَ فِرْعَوْنُ الشَّعْبَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَهْدِهِمْ فِي طَرِيقِ أَرْضِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ مَعَ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ، لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: لَنَلَا يَنْدِمَ الشَّعْبُ إِذَا رَأَوْا حَرْبًا وَيَرْجِعُوا إِلَى مِصْرَ. فَأَذَارَ اللَّهُ الشَّعْبَ فِي طَرِيقِ بَرِّيَّةِ بَحْرِ سُوفٍ. وَصَعِدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُتَجَهِّزِينَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.}

عندما أسر الله تعالى موسى (ع) أن يخرج من مصر ببني إسرائيل، خرج معه قومٌ غيرُ إسرائيليين كَالسَّامِرِيِّ، قال عنهم علماء التوراة أَنَّهُمْ قَوْمٌ كُوشِيِّينَ. وحسب رواية التوراة، قامت نساء بني

اسرائيل قبل ساعة الصفر بعملية تمويه استعرت فيها من نساء آل فرعون وقومه حليهن، وقلن لنساء آل فرعون أنهن خارجات لعيد من أعياد بني اسرائيل تمويها لعملية الخروج النهائي، وجاء في التوراة عن خبر المجوهرات المسلوقة عن طريق الخدعة {وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لَا يَدْعُكُمْ تَمَضُّونَ وَلَا يَبْدِي قُوَّةً، فَأَمُدْ يَدِي وَأَضْرِبْ مِصْرَ بِكُلِّ عِجَابِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يُطْلَقُكُمْ. وَأَعْطِي نِعْمَةً لِهَذَا الشَّعْبِ فِي عَيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ جِئْنَا تَمَضُّونَ أَنْتُمْ لَا تَمَضُّونَ فَارْعَيْنَ. بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتَعَةً فِضَّةً وَأَمْتَعَةً ذَهَبًا وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلُبُونَ الْمِصْرِيِّينَ} 69 وفي نص آخر {فَحَمَلَ الشَّعْبُ عَجِيئَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْتَمِرَ، وَمَعَايِنُهُمْ مَصْرُورَةً فِي ثِيَابِهِمْ عَلَى اكْتِشَافِهِمْ. وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. طَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْتَعَةً فِضَّةً وَأَمْتَعَةً ذَهَبًا وَثِيَابًا. 36 وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عَيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارَوْهُمْ. فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ} 70 لفاز تَحَلَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ رَعْمَسِيْس إِلَى سَكُوتَ، نَحْو سِتِّ مِئَةِ أَلْفٍ مَاشٍ مِنَ الرِّجَالِ عَدَا الْأَوْلَادِ. وَصَنَعَ مَعَهُمْ لَفِيفٌ كَثِيرٌ أَيْضًا مَعَ غَنَمٍ وَبَقَرٍ، مَوَاشٍ وَافِرَةٍ جَدًّا. وَخَبِرُوا الْعَجِينَ الَّذِي أَخْرَجُوهُ مِنْ مِصْرَ حُبْرٌ مَلَّةٌ قَطِيرًا، إِذْ كَانَ لَمْ يَخْتَمِرْ. لِأَنَّهُمْ طَرَدُوا مِنْ مِصْرَ وَلَمْ يَقْبِرُوا أَنْ يَتَأَخَّرُوا، فَلَمْ يَصْنَعُوا لَأَنْفُسِهِمْ زَادًا} 71، فهكذا خرج موسى (ع) ببني اسرائيل في أول الليل متجها نحو منطقة السكوت الكوشية كما نصت التوراة بوضوح تام بعد أن نام فرعون وقومه، وعندما بلغ الخبر فرعون في الصباح الباكر ركب ومعه جنوده مشرقين - أي حين طلعت الشمس - فأدركهم وهم يسرون بمحاذاة النيل فضرب موسى (ع) النيل فنفلق فعبير موسى (ع) ومن معه، ولما أقبل فرعون ومن معه ودخلوا من حيث دخل موسى (ع)

69 التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الثالث، آيات 19-22

70 التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الثاني عشر، آية 34

71 التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الثاني عشر، آيات 37-38

وقومه، وصار فرعون وجنوده جميعاً في وسط النيل فأمر الله تعالى النيل فالتطم عليهم بقوة السيل فأغرقهم أجمعين.

وعند تحليل هذا الحدث بمقياس السرعة، سنجد أن الفارق الزمني بين بداية الخروج والإسراء ليلاً، وبداية تحرك جيش فرعون بعد شروق الشمس حوالي 8 إلى 10 ساعات. ومن المستحيل لجماعة في هذا الحجم الذي ذكرته التوراة أن تصل حدود النحر الأحمر ثم تقطع البحر الأحمر في خلال 8 أو 10 ساعات، والمسافة بين النيل وأقرب نقطة على ساحل البحر الأحمر في خط مستقيم لا تقل عن 200 كيلو، وإذا أضفنا مسافة عرض البحر الأحمر على سطح الماء فقط من غير العمق سنجد أنها عبارة عن 355-450 كيلو، وعندما نحسب المسافة الكلية سنجد أنها حوالي 555 كيلومتر على أقل تقدير حسابي مبني على سطح الماء. فمن المستحيلات العقلية والحسابية أن تقطع هذه المسافة في ليلة واحدة، وذلك لأن أي جماعة ضخمة مثل هذه، فيها من النساء والأطفال والشيوخ والمرضى والممتلكات ما فيها، تكون بطيئة الحركة ولا تزيد سرعتها عن 30 كيلومتر في اليوم مهما اجتهدت في السير مشياً. وهذا يعني أنها تحتاج لـ 21 يوماً في أحسن الأحوال للوصول للضفة الشرقية من البحر الأحمر في خط مستقيم وهو أقصر الخطوط كما هو معلوم في علم الهندسة.

ومن المفيد والمهم جداً أن نذكر أن موسى عليه السلام حدد المسافة التأمينية لنجاح خطته بالابتعاد مسيرة ثلاثة أيام عندما استأذن فرعون للخروج بقومه للبرية مسافة ثلاثة أيام للعيد والعبادة، ويبدو أن نية سيدنا موسى (ع) الظاهرة كانت العبادة حقاً، ونيته الخفية هي الابتعاد ببني إسرائيل من عاصمة فرعون مسافة ثلاثة أيام تمكنه من الهروب بهم خارج حدود مصر نهائياً إذا جاءه الأمر الإلهي بالخروج وهم في البرية، وعند قراءة النصوص قراءة فاحصة يتبين لنا أن فرعون كان يشعر بخطية موسى (ع) ولكنه

غض النظر عن كشفها لأنّ بلاء الآيات قد احاط به من كل جانب، وقد كان يستعطف موسى (ع) أن يدعو الله ليرفع عنه وعن قومه البلاء، {فَدَعَا فِرْعَوْنُ مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالَ: اذْهَبُوا اذْبَحُوا لِإِلَهِكُمْ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ. فَقَالَ مُوسَى: لَا يَصْلَحُ أَنْ نَفْعَلَ هَكَذَا، لَأَنَّا إِنَّمَا نَذْبَحُ رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا. إِنْ ذَبَحْنَا رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ أَمَامَ عُيُونِهِمْ أَفَلَا يَرْجُمُونَنَا؟ نَذْهَبُ سَفَرُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا كَمَا يَقُولُ لَنَا. فَقَالَ فِرْعَوْنُ: أَنَا أَطْلُقْكُمْ لَتَذْبَحُوا لِلرَّبِّ إِلَهُكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَلَكِنْ لَا تَذْهَبُوا بَعِيدًا. صَلِّيًا لِأَجْلِي. فَقَالَ مُوسَى: هَا أَنَا أَخْرُجُ مِنْ لَدُنْكَ وَأَصَلِّي إِلَى الرَّبِّ، فَتَرْتَفِعِ الدُّبَانُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَعَبِيدِهِ وَشَعْبِهِ غَدًا. وَلَكِنْ لَا يَغْزُ فِرْعَوْنُ يُخَاتِلُ حَتَّى لَا يُطْلَقَ الشَّعْبُ لِيَذْبَحَ لِلرَّبِّ. فَخَرَجَ مُوسَى مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ. فَفَعَلَ الرَّبُّ كَقَوْلِ مُوسَى، فَارْتَفَعَ الدُّبَانُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَعَبِيدِهِ وَشَعْبِهِ. لَمْ تَبْقَ وَاحِدَةٌ. وَلَكِنْ أَغْلَظَ فِرْعَوْنَ قَلْبَهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا فَلَمْ يُطْلَقِ الشَّعْبُ.} 72، وواضح من هذه النصوص أنّ فرعون تظاهر لهم بالسماح مقابل أن يدعو موسى ربه ليرفع عنهم البلاء الذي أصابهم، ولما رفع الله البلاء عن فرعون وقومه، نكسر فرعون كعادته على عقبيه ورفض أن يسمح لهم بالخروج للبرية لأنه كان يشعر بأنهم لن يرجعوا إليه مرة أخرى، فقال لهم متظاهراً بالموافقة ومحذراً: {أَنَا أَطْلُقْكُمْ لَتَذْبَحُوا لِلرَّبِّ إِلَهُكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَلَكِنْ لَا تَذْهَبُوا بَعِيدًا}. فهو إذن قد وعدهم فعلاً أو تظاهر لهم بوعده مكنوب، ولكن ليس لمسافة تبعد ثلاثة أيام كما طلب منه موسى (ع)، فسمّاه لهم بالخروج كان في مكان قريب من عينه يُمكنه من مراقبتهم واعتراض طريقهم إن حدثتهم أنفسهم بالهروب..

وإذا رجعنا للقرآن الكريم نجد سياق آياته يدل بوضوح على أنّ فرعون بدأ مطاردتهم في الصباح الباكر عند شروق الشمس، عندما اكتشف هروبهم بالرغم من ممناعته ومراقبته وحذره، فجئن جنون

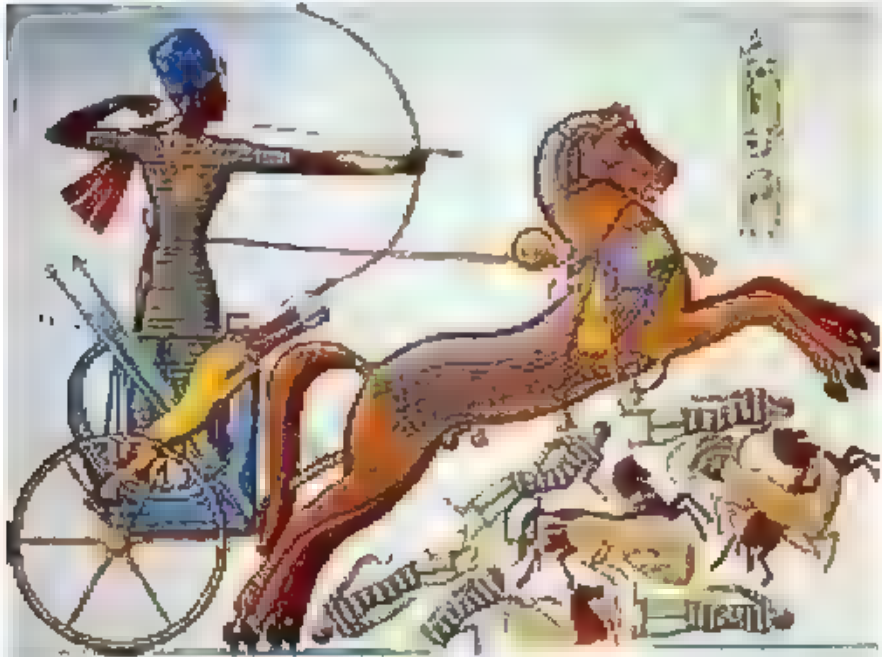
72 التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الثامن، آيت 25-32

الطاغية ولم ينتظر كثيراً خوفاً من أن يفلتوا منه إذا تأخر، فجهز على وجه السرعة كتيبته الخاصة على 600 عربة من العربات الهكسوسية السريعة التي تجرها الخيول، وقاد الكتيبة بنفسه في وقت الإشراف {فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ} {فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُنْزَكُونَ} <sup>73</sup> وكلمة "مشرقين" تعني وقت الإشراف لأن الله تعالى يقول في خبر قوم لوط: {الْعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} {فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ} <sup>74</sup> أي أخذتهم في وقت الإشراف مصبحين. ولو قالت الآية {فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ} (بتشديد الراء وكسرهما) لكان المعنى أنهم ساروا نحو المشرق، كما في قولنا: فلان شروق وغرب إذا سار نحو المشرق والمغرب، ولكن الآية لم تقل ذلك فلزم من ذلك أن المقصود هو الزمن وليس الاتجاه. وبالإضافة لذلك إن "الفاء" في قوله تعالى: {فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ} تفيد الترتيب والتعقيب عند أهل اللغة العربية، ويأتي ما بعد الفاء كلاماً متصلاً ومستأنفاً يعمل بعضه في بعض بصورة متداخلة لا يفصل بينها رمز كبير. ومثال ذلك أن تقول: "ضربته فادميته" فالدم هنا ليس بينه وبين حادث الضرب زمناً كبيراً بل هي ثوان معدودات بدلالة الفاء. ولقد أثبتت التوراة نفس مقولة القرآن الكريم وجاءت بنفس الفاء التي تعني التعاقب السريع في الفعل، وفي ذلك تقول التوراة: {فَلَمَّا أَخْبَرَ مَلِكُ مِصْرَ أَنَّ الشَّعْبَ قَدْ هَرَبَ، تَغَيَّرَ قَلْبُ فِرْعَوْنَ وَعَبِيدِهِ عَلَى الشَّعْبِ. فَقَالُوا: مَاذَا فَعَلْنَا حَتَّى أَطْلَقْنَا إِسْرَائِيلَ مِنْ خُدَمَتِنَا؟ فَشَدَّ مَرْكَبَتَهُ وَأَخَذَ قَوْمَهُ مَعَهُ. <sup>7</sup> وَأَخَذَ سِتًّا مِّنَ مَّرْكَبَةٍ مِّنْخَبَةٍ وَسَانِيرَ مَرْكَبَاتِ مِصْرَ وَجُنُودًا مَّرْكَبِيَّةً عَلَى جَمِيعِهَا. <sup>8</sup> وَشَدَّدَ الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ حَتَّى سَعَى وَرَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ خَارِجُونَ بِيَدٍ رَفِيعَةٍ. فَسَعَى الْمِصْرِيُّونَ وَرَاءَهُمْ وَأَدْرَكُوهُمْ. جَمِيعُ خَيْلِ مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ وَقُرْسَاتِهِ وَجَيْشُهُ، وَهُمْ نَازِلُونَ عِنْدَ

<sup>73</sup> القرآن الكريم، سورة الشعراء، آيات 60-61

<sup>74</sup> القرآن الكريم، سورة الحجر، آيات 72-73

الْبَحْرِ عِنْدَ فَمِ الْحَيْرُوثِ، أَمَامَ بَعْلَ صَفُونِ} (7:33) فجاءت كلمة " فَشَدَّ مَرْكَبَتَهُ " بالفاء لتفيد التعاقب السريع في الفعل كما في القرآن. وفم الحيروث المذكور في النص من حيث اللغة - وفقاً لتفسير علماء أهل الكتاب- هو فم الكهف، وأيضاً تعني الصعود القاسي، وهي آخر محطة لبني إسرائيل قبل العبور وفقاً لرواياتهم، وبعل صفون منطقة غير معلومة لعلماء التوراة والتاريخ.<sup>75</sup>



مثال للعربات التي استخدمها فرعون في المطاردة وهي صناعة هكسوسية

والدليل العقلي الآخر على تحرك قوم فرعون مشرقين في الصباح الباكر أنّ نساء بني إسرائيل قد أخذنَ معهنَّ مجوهرات نساء قوم فرعون -حسب نص التوراة - في عملية تمويه ذُكرت سابقاً، وربما كانت أمانات لم يسعف الوقت لردها. فليس من المعقول إذن أن ينتظر قوم فرعون كثيراً وأموال ومجوهرات نساءهم قد هربن بها نساء بني إسرائيل. فإذن من الخطأ أن نقول أن الهجرة كانت شرقاً نحو البحر الأحمر كما ذكر المفسرون من غير

<sup>75</sup> موقع الأقباط اليوم على شبكة الإنترنت [www.coptstoday.com](http://www.coptstoday.com)

دليل. فقد كرر تلك المقولة للأسف العالم المجدد د. حسن عبد الله الترابي (رحمة الله عليه) في تفسيره من غير تدقيق وتمحيص قائلاً: "وجمع الله ذكر العواقب الحاقّة على فرعون، إذ أخذه الله سبحانه وتعالى -بأقداره النافذة الغالبة- وجنوده فنبذهم بتلك الأقدار في اليَمّ من البحر الأحمر في فرق جزّره لحاقاً وراء موسى وقومه العابرين المهاجرين شرقاً..."<sup>76</sup> ولهذا من لخطأ أن نعتقد أو نقول إنّ عملية المطاردة تأخرت أياماً أو أسابيع، وأموال ومجوهرات نساء الفراعنة في يد نساء بني إسرائيل، بينما الحقيقة هي أنّ المطاردة تمت في صبيحة اليوم التالي وقت الإشراف كما ذكر القرآن الكريم.

فكل المؤشرات المنطقية والحسابية والنقلية إذن تشير إلى أنّ هجرة موسى (ع) الأولى ببني إسرائيل إنّما كانت في العمق السوداني حيث الدولة الكوشية، وأنّ العبور كان عبوراً للنيل وليس عبوراً للبحر الأحمر كما قال الإمام مقاتل بن سليمان في تفسيره<sup>77</sup> وضيق الزمن بين وقت الإسراء ووقت تحرك فرعون وجنوده، كان عاملاً مهماً في تحديد وجهة الهروب، وها هي التوراة تصرح بذلك وتقول: {وَكَانَ لَمَّا أَطْلَقَ فِرْعَوْنُ الشَّعْبَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَهْدِهِمْ فِي طَرِيقِ أَرْضِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ مَعَ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ، لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: لِنَلَأَ يَنْتَمِ الشَّعْبُ إِذَا رَأَوْا حَرْبًا وَيَرْجِعُوا إِلَى مِصْرَ. فَأَدَارَ اللَّهُ الشَّعْبَ فِي طَرِيقِ بَرِّيَّةٍ بَحْرٍ سَوْفٍ. وَصَعِدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُتَجَهِّزِينَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.} <sup>78</sup>

وأقول ذلك لأنّ موسى (ع) لو كان يقصد القدس لما اتجه نحو البحر الأحمر أصلاً؟ ألم يكن يعلم هو وقومه أنّ البحر سيقف حاجزاً منيعاً يُمكن عدوّهم من اللحاق بهم عاجلاً أو آجلاً؟ ولماذا يتجه بهم موسى نحو البحر والطريق نحو القدس عبر البر كان معروفاً لهم ومُتاح وقريب، وهو يمر منذ قديم الزمان عبر رفح فالعريش فغزة فالقدس؟ وكيف كان سيدخل قوم موسى القدس مباشرة وفيها قومٌ

<sup>76</sup> حسن الترابي، التفسير التوحدي. المجلد الثاني، ص. 1249.

<sup>77</sup> مقاتل بن سليمان، تفسير الإمام مقاتل، سورة القصص، آية 44

<sup>78</sup> التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الثالث عشر، النص رقم 17

جبارين يحتاجون لقتالٍ وعدةٍ وعتادٍ للقتال؟! وهل من المعقول أن يهرب قوم من عدوٍ ليدخلوا مباشرةً في صدامٍ دامٍ وشرسٍ مع عدوٍ أشرس من عدوهم الأول؟ وإذا افترضنا جدلاً أن موسى عليه السلام كان يعلم بأن الله سيغرق فرعون وجنوده، فلماذا اختار لعدوه غرق البحر ولم يختار غرق النهر ونتيجة الغرق في البحرين واحدة، إلا أن العناء لوصل البحر الأحمر أكبر من عناء السير بمحاذاة النيل حيث تتوفر مياه الشرب ويتوفر الطعام؟!

في الحقيقة لم يكن موسى (ع) يعلم ما يخفيه له الغيب، ولهذا لا بد أن يكون قد احتاط وتجنب في تخطيطه مثل هذه الحواجز الطبيعية التي ستمكن عدوه منه. وبكلمات أخر أن موسى (ع) لم يكن يعلم أنه سيأمر بضرب البحر بعصاه لينفلق البحر ويغرق فرعون وجنوده، ولكنه كان متأكداً من حدوث معجزة ما ستنتقذه هو وقومه من فرعون وجنوده، وذلك واضح من سياق الآية {فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ} \* {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} \* {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} 79. ويلزم من هذا السياق أن موسى (ع) لم يكن يعلم بما كان سيحدث، وعدم معرفته هذه تستوجب عليه كفاند ميداني الأخذ بالحيلة والحذر حسب المقدرات الإنسانية. وقد يقول قائل: لماذا نستبعد وقوع معجزة أخذتهم وأوصلتهم لساحل البحر الأحمر في هذا الوقت الوجيز؟ وأقول: أولاً، أنا لا استبعد على الله أن يفعل ما يريد، ولكن إرادته التي سبقت هي أن تتم هذه القصة ومعظم أفعالنا في إطار الجهد الإنساني قدر الإمكان، ولذلك أمر الله تعالى موسى (ع) بأن يضرب البحر بعصاه لتكون ضربته سبباً في الانفلاق، في الوقت الذي كان يمكن أن يأمر البحر بكلمة واحدة فينفلق من غير ضرب وبلا سبب. ثانياً، إذا افترضنا وقوع معجزة نقلت موسى (ع) وقومه فهل هذه المعجزة نقلت معه فرعون

79 القرآن الكريم، سورة الشعراء، آيات 61 - 63

وجنوده وأوصلتهم لساحل البحر الأحمر أيضاً بنفس السرعة التي أخذت بها قوم موسى؟! ومن الغريب جداً إن الوثائق المصرية القديمة لا تذكر شيئاً عن وجود بني إسرائيل في مصر أصلاً، ولا خروجهم منها فضلاً أن تثبت معجزة إفراسية كهذه!

فإذا اقتنعنا أن القصة سارت في نطاق الجهد الإنساني الطبيعي فوجب علينا تفسير الآيات الكونية بما يقرب من المألوف، وبالتالي يكون من المنطقي أن يخرج سيدنا موسى (ع) بقومه مسرعاً لمنطقة برية يابسة ذات فضاء غير محدود، ثمّنه من الوصول لمنطقة جغرافية خارج حدود الملك فرعون السياسية تماماً كما فعل في خروجه الأول نحو مدين التي كانت خارج الحدود السياسية لفرعون، أو يخرج لمنطقة وعرة تصعب فيها المطاردة بسبب غاباتها أو جبالها أو صحاريها داخل الحدود السياسية لنولة فرعون. ويبدو أن أقرب نقطة جغرافية كانت ستحقق لموسى (ع) هذا الهدف هي منطقة السكوت التي تقع على الضفة الشرقية من النيل (الجدير بالذكر أن هناك منطقة في نهاية خليج السويس من الناحية الشمالية تحمل اسم "السكوت" أيضاً، وهي ليست المقصودة لأنها بعيدة من اليم حيث كان الأحداث حسب النصوص القرآنية والتوراتية، ويبدو أن هذه المنطقة قد سُميت على المنطقة الأصل كما يفعل المهاجرون عادة في كل مكان وزمان، وفي الولايات المتحدة الأمريكية كثير من المدن التي تحمل أسماء مدن عربية وإسلامية منها مدينة دنقلا في ولاية المسيسيبي، ودنقلا في الأصل سودانية)، وتوجد بين منطقة السكوت الواقعة على اليم (النيل) في الحدود الكوشية والساحل الغربي للبحر الأحمر (بحر سوف) براري وصحاري وجبال كثيرة ومعروفة، كصحراء بيوضة وصحراء النوبة.

ويبدو أن منطقة السكوت كانت قريبة من المكان الذي حدده موسى (ع) في خطته عندما طلب من فرعون أن يسمح لبني إسرائيل بالخروج للعيد والعبادة في برية تبعد مسير ثلاثة أيام

بالأرجل: لَوَبَعْدَ ذَلِكَ دَخَلَ مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالَا لِفِرْعَوْنَ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: أَطْلِقْ شُعْبِي لِيَعْبُدُوا لِي فِي الْبَرِّيَّةِ. فَقَالَ فِرْعَوْنُ: مَنْ هُوَ الرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ فَأَطْلِقَ إِسْرَائِيلَ؟ لَا أَعْرِفُ الرَّبَّ، وَإِسْرَائِيلَ لَا أَطْلُقُهُ. فَقَالَا: إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ قَدْ التَقَانَا، فَهَذِهِ سَفَرُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذِيحٌ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا، لِنَلَا يَصِيبُنَا بِالْوَبَاءِ أَوْ بِالسَّيْفِ<sup>80</sup>. وَالْبَرِّيَّةُ تَعْنِي الْبَرَّ أَوْ الْفُضَاءَ أَوْ الْيَابِسَةَ، وَقَدْ يَقْصِدُ بِهَا الْمُنَاطِقَ الْخَالِيَةَ الَّتِي تَحِيطُ بِالْأَحْيَاءِ وَالْمَدَنَ وَالْقُرَى، وَقَدْ تَعْنِي الصَّحْرَاءَ الْبَعِيدَةَ أَيْضاً. وَهَكَذَا خَرَجَ مُوسَى (ع) بِقَوْمِهِ مُسْرِعاً فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ قَاصِداً مَنَظِقَةَ السَّكُوتِ فِي مَنَظِقَةِ وَادِي حُلْفَا حَالِيّاً كَمَا صَرَّحَتْ بِذَلِكَ التَّوْرَةُ فِي سَفَرِ الْخُرُوجِ، وَيَبْدُو أَنَّ مَنَظِقَةَ وَادِي حُلْفَا الْحَالِيَّةِ كَانَتْ يَغْلِبُ عَلَيْهَا اسْمُ السَّكُوتِ قَدِيماً، وَهَذَا مَجَالٌ جَدِيدٌ لِلْبَحْثِ!

وَالْهَرُوبُ جَنُوباً أَوْ شَمَالاً فِي اتِّجَاهِ السَّكُوتِ فِي فُضَاءٍ لَيْسَ فِيهِ حَوَاجِزٌ بِمَحَادَاةِ النَّيْلِ هُوَ عَمَلٌ مَعْقُولٌ "تَكْتِيكياً" وَحِسَابِيّاً وَ"لُوجِسْتِيّاً" لِأَنَّهُ سَيُوفِرُ الْمَاءَ وَالْعِذَاءَ لِهَذَا الْعَدَدِ الضَّخْمِ مِنَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ الَّتِي مَعَهُمْ، وَيَتَنَجَّحُ لَهُمُ الْمَشْيُ فِي فُضَاءٍ لَا حَوَاجِزَ فِيهَا، وَبِالإِضَافَةِ لِذَلِكَ يُوفِّرُ لَهُمُ الْحِمَايَةَ لِسِيَاسِيَّةٍ إِذَا وَصَلُوا حُدُوداً خَارِجَةً عَنِ حُدُودِ الْمَلِكِ فِرْعَوْنَ السِّيَاسِيَّةِ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ الْمَجَاوِرَةُ هِيَ دَوْلَةٌ مَعَادِيَّةٌ لِفِرْعَوْنَ وَنِظَامِهِ. وَعَلَيْهِ، أَعْتَقَدُ أَنَّ مُوسَى (ع) قَدْ خَرَجَ بِقَوْمِهِ مُحَازِباً لِلنَّيْلِ إِمَّا مِنْ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ إِذَا كَانَ قَوْمُهُ يَسْكُنُونَ غَرْبَ النَّيْلِ حَتَّى لَا يَهْدِرُ الزَّمَنُ فِي مَسَآلَةِ الْعُبُورِ شَرْقاً، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَمْتَلِكُ الْمَرَاقِبَ وَالسُّفُنَ الَّتِي تَسْهَلُ لَهُ عَمَلِيَّةُ الْعُبُورِ بِسُرْعَةٍ قَبْلَ إِنْجِلَاءِ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ الَّذِي مَا كَانَ لِيَسْعِفَهُمْ فِي عَمَلِيَّةِ الْعُبُورِ، حَتَّى لَوْ تَفَوَّرَتْ لَهُمُ الْكَمِيَّاتُ الْكَافِيَّةُ مِنَ السُّفُنِ وَالْمَرَاقِبِ.

<sup>80</sup> التَّوْرَةُ، سَفَرُ الْخُرُوجِ، الإِصْحَاحُ الْخَامِسُ، نَصُوصُ 1-3

وإما أن يكون قد سار بهم محاذياً للنيل نحو منطقة السكوت من الضفة الشرقية إذا كانت نقطة الإنطلاق تقع على شرق النيل. وفي كلا الافتراضين قد سار موسى (ع) بقومه في محاذاة النيل نحو منطقة السكوت، وعندما أدركهم فرعون وجنوده أمره الله تعالى { أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ }<sup>81</sup> فغبر هو ومن معه وأغرق فرعون وجنوده في اليم (النيل) كما نصر القرآن الكريم صراحة. وقد جاء التأكيد على ضرب النهر بالعصا<sup>82</sup> في التوراة أيضاً وذلك في سفر الخروج في قصة تدمير بني إسرائيل في التيه عندما استحكم بهم العطش فقالوا لموسى: {أَعْطُونَا مَاءً لِنَشْرَبَ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى " لِمَاذَا تَخَاصُمُونَنِي؟ لِمَاذَا تَجْرِبُونَ الرَّبَّ؟ وَعَطَشَ هُنَاكَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَاءِ، وَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى وَقَالُوا: " لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِنَمِيتَنَا وَأَوْلَادَنَا وَمَوَاشِينَا بِالْعَطَشِ؟ فَصَرَخَ (نَادَى) مُوسَى عَلَى الرَّبِّ قَائِلاً: "مَاذَا أَفْعَلُ بِهِذَا الشَّعْبِ؟ بَعْدَ قَلِيلٍ يَرْجِمُونَنِي" فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: مَرَّ قُدَّامَ الشَّعْبِ، وَخَذْ مَعَكَ مِنْ شَبَابِخِ إِسْرَائِيلَ. وَعَصَاكَ الَّتِي ضَرَبْتَ بِهَا النَّهْرَ خُذْهَا فِي يَدِكَ وَاذْهَبْ. هَا أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حَوْرِبٍ فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ، فَفَعَلَ مُوسَى هَكَذَا أَمَامَ عَيُونِ شَبَابِخِ إِسْرَائِيلَ }<sup>83</sup> وهذا نصر صريح على أنَّ العبور كان عبوراً لنهر النيل، وأنَّ موسى ضرب النيل بعصاه، ومن المهم أن نعلم أنَّ حادثة ضرب النهر كانت قبل حادثة التيه التي كانت في صحراء قاحلة غير مأهولة بسكان. والحجر الذي ضربه موسى (ع) بعصاه التي ضرب بها النهر لم يكن صخرة أصلاً، فقد خلط كُتَّاب التوراة بين جبل حوريب والصخرة، فالصخرة (والصحيح هو حَجَرٌ وَفَقاً لِلْقُرْآنِ وَالْحَجَرُ أَقْلُ حَجْمًا مِنَ الصَّخْرَةِ

<sup>81</sup> مزمور الشعراء، آية 63

<sup>82</sup> في قصة الآيات كان الله يأمر موسى وهارون بمد العصا فقط تجاه النهر فيقلب ماء النهر دماً، أما في حالة الإغراق قيل لموسى "أضرب" النهر

<sup>83</sup> التوراة، سفر الخروج، الإصحاح السابع عشر، لصوص 2-6

وهذه الفروقات اللغوية مهمة جداً للفهم الصحيح) كانت في الصحراء ولم تكن في جبل حوريب أو جزء منه ولا في غيره من الجبال، ووفقاً لعلماء اليهود كانت صخرة، (والصحيح أنه حجرٌ وفقاً للقرآن الكريم، والحجر أقل حجماً من الصخرة وهذه الفروقات اللغوية مهمة جداً للفهم الصحيح). حجرٌ يتنقل معهم ليسقيهم أينما رحلوا، كجزء من المعجزة الكلية التي جعلت الغمام يتنقل معهم ليظلمهم أين ما ارتحلوا، وكمعجزة المن والسلوى اللذان يتبعانهم طعاماً لهم في أي اتجاه ساروا، فجبل حوريب لم يتنقل من مكانه ليتبعهم ولم تأت روايةٌ بذلك، ولكن الحجر كان يتنقل معهم حسب روايتهم.

## المحور الخامس: دلالة {وأغرقناهم وأنتم تنظرون}

عندما أمر الله تعالى موسى {أَنْ أَضْرِبَ بِفَضَاكَ الْبَحْرَ} أَنْفَلَقَ البحر {فَكَانَ كُلُّ فَرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ} وكلمة الطود في اللغة العربية تعني "الجبل" وتعني "الهضبة" وقد يكون واحداً من معانيها التي اندثرت هو "السور" بمعنى الحاجز، وأقول ذلك لأن نص التوراة قد جاء بكلمة "سور" وجاء القرآن بكلمة "طود" والجرس الموسيقي للكلمتين قريب. وبالنظر في معنى الكلمة على نطاق أوسع لا نجد تعارضاً بين المعاني الثلاثة السابقة (سور/جبل/هضبة)، فقد يكون الجبل سوراً بمعنى حاجزاً بين شينين، ويكون السور عالياً فيقف أيضاً حاجزاً بين فريقين كما في قوله تعالى: {فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ}. ولعل في قصة ذو القرنين شاهدٌ ثانٍ لنا على هذا المعنى، فقد قامت سلسلة جبال وهضاب الهملايا حينها سوراً طبيعياً بين قوم ياجوج وماجوج وضحاياهم لولا فتحة صغيرة بين جبليْن، فلذلك قام ذو القرنين بردمها ليكتمل لهم سور الحماية الطبيعية من قوم ياجوج وماجوج المفسدين. فالتوراة إذن عندما تقول: {أَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَقَدْ سَارُوا فَوْقَ أَرْضٍ يَابِسَةٍ وَسَطَ مَيَاهِ الْبَحْرِ. وَكَانَتِ الْمَيَاهُ كَسُورَيْنِ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ شَمَالِهِمْ. وَهَكَذَا أَنْقَذَ الرَّبُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ} فهي ليست ببعيدة عن المعنى الذي جاء به القرآن الكريم لأن الجمع بين المعاني ممكن وسهل كما رأينا، وعظمة الطود تكون إما بسبب طوله أو بسبب عرضه وإمتمداده لمسافة طويلة، أو للسببين معاً، وفي حديث عائشة أم المؤمنين تصف أباهما (رضي الله عنهما): "ذاك طودٌ منيف" أي جبل أو سورٌ عالٍ يصعب الوصول إلى قمته، وقد صدقت الصديفة في وصفه. فعليه، يبدو أن المنطقة التي غرق فيها فرعون وجنوده في النيل كانت

عميقة جداً، وأنّ النيل كان في حالة إنتشار وفيضانٍ عظيمٍ فكان عرضه واسعاً، وعندما تمّ الإنفلاق خلق ذلك الإنفلاق منظراً مهيباً يشبه منظر الهضبة أو الجبل أو السور العظيم الذي يمتد عرضاً لمسافة طويلة، ويرتفع طويلاً لعشرات الأمتار خاصة إذا تراكمت المياه فوق بعضها وتضاعف الطول بسبب الإنفلاق والتراكم الفوقي بدلاً من سيلان المياه على جنبتي النيل، فيمكنك عزيزي القاريء أن تتحيل كيف كان منظر النيل وهو منطلقً متراكم. مع العلم أنّ عمقه الحالي في معظمه يتراوح بين 8 - 12 متر وفي بعض الأماكن يصل عمقه لحوالي 200 متر وعندما يفيض يصل إلى 18 ذراعاً أو أكثر بقليل! هذا مع العلم أن أقصى عمق للبحر الأحمر يتراوح بين 2000 الى 3000 متراً، ويبلغ متوسط عمق البحر الأحمر 490 متراً، وأعلى جبل من جبال الهملايا يبلغ طوله 6000 متر، أي أن عمق البحر الأحمر نصف طول أعلى جبل في العالم أو أقلّ من ذلك.

وعلى كلّ، إن العظمة مسألة نسبية قد ذكرت في القرآن الكريم في عدة مواضع بمفهومها النسبي، وقصة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) واحدة من تلك المواضع، فقد كاد عليه السلام أن يذبح ابنه عندما استسلم له بإيمان راسح قائلاً: ﴿يَا بَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهِ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ فأنجاه الله من الذبح وفداه ﴿بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾<sup>84</sup> وهذا الكبش العظيم لم يقل أحدٌ من الناس أنّه كان في حجم جبل صغير جداً فضلاً أن يكون في حجم وطول جبال الهملايا، بل كانت عظمته ببساطة شديدة في كونه نسبياً كان كبيراً وسميناً مقارنة بالكباش الأخرى. وفي قصة السحرة جاء عن موسى أنه ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾<sup>85</sup> وجاءت كلمة "عظيم" هنا لتصف مجموع الحبال والعصي

<sup>84</sup> سورة الصافات آيات 102 - 107

<sup>85</sup> سورة الأعراف، آية 116

وقومه. فمن المؤكد والمعلوم في علم البصريّات أن العين لا ترى أبعد من خمس كيلو مترات بصورة واضحة على أرض مسطحة. فالأفق الذي هو الخط الأزرق البعيد الذي تلتقي عنده السماء والأرض، يراه الإنسان صحيح البصر من على مستوى سطح البحر من مسافة خمس كيلومترات تقريباً (5 كم)، أما إذا صعد الشخص جبلاً مرتفعاً جداً فلن تتجاوز رؤيته خمسين كيلومتراً، وذلك لأن الأرض كروية وليست مسطحة، وهذا يعني أن الأفق بعد مسافة الخمسة كيلومترات لا يرى لمن هو واقف على مستوى سطح البحر (أما في حالة الوقوف على جبل شديد الارتفاع تكون المسافة التي يبلغها النظر هي 50 كيلومتر)، لأن الأرض تتكور، وأشعة الضوء لا تنحني مع التكور، ومن غير أشعة الضوء تنتفي الرؤية تماماً.

فإذا أردنا تطبيق هذا الكلام العلمي المتفق عليه على الآية، سنجد أن عملية النظر في البحر الأحمر أبعد من 5 كيلومترات عملية مستحيلة لأن عرض البحر الأحمر حوالي 355 كيلو ونصفه حوالي 177.5 كيلو، وهذه المسافة لا تساعد على رؤية من يعرق وسط البحر وفقاً لعلم البصريّات القطعي، بل تستحيل الرؤية حتى لو كان يقف على جبل عالٍ فوق مستوى سطح البحر، والتوراة أكدت أنهم غرقوا في وسط البحر وذلك في نصها القائل: {وَتَبِعَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَدَخَلُوا وَرَاءَهُمْ. جَمِيعُ خَيْلِ فِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفَرَسَانِهِ إِلَى وَسْطِ الْبَحْرِ} <sup>91</sup> {فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: مَدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ لِيَرْجِعَ الْمَاءُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى مَرْكَبَاتِهِمْ وَفَرَسَاتِهِمْ. فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى خَالِهِ الدَّائِمَةِ، وَالْمِصْرِيُّونَ هَارِبُونَ إِلَى لِقَائِهِ. فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ} <sup>92</sup>.

<sup>91</sup> التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الرابع عشر، النص رقم 23

<sup>92</sup> التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الرابع عشر، النص رقم 26

- 5- لا تقتل
- 6- لا تزن
- 7- لا تسرق
- 8- لا تشهد شهادة زور (وفي رواية أخرى: لا تشهد على قريبك بشهادة زور)
- 9- لا تشته بيت قريبك وما يحويه
- 10- لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة تسجد لها مما في السماء وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض.

وعند اليهود السامريين (وهم يهود دولة شمال فلسطين بعد وفاة سيدنا سليمان عندما انقسمت الدولة سياسياً لدولتين) الوصية العاشرة هي:

احفظ قدسية جبل جرزيم الذي اختاره المولى لإقامة الشعائر الدينية عليه. ووفقاً لهذه الوصية تكون القبلة عند اليهود السامريين قد تحولت من القدس الى جبل جرزيم وفقاً للوصية العاشرة. وصدق الله العظيم الذي وصفهم بقوله: (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) كما ذكر القرآن الكريم.

وهلاك فرعون وقومه في النيم لم يدفع موسى (ع) للرجوع بقومه لمصر، بل فارقها للأبد وواصل رحلته مع قومه على ضفاف النيل الذي هو النهر الغربي في أدبيات اليهود متوجهاً نحو أرض السكوت فوصل منحني النيل حيث يقع جبل البركل، وهو جبل غربي أيضاً لأن موقعه في مدينة كريمة بالقرب من نهاية المنحني الغربي الذي يبدأ من المنحني الشرق عند مدينة أبو حمد ويتجه غرباً نحو مدينة الدبة، ثم ينحرف شمالاً مرة أخرى نحو مصر. ويقع جبل البركل الذي برلت فيه أو حوله النوراة النبي تضمنت الوصايا العشر، على الشاطئ الأيمن بالنسبة لحركة انسياب المياه

التي تجري من المنحنى الشرقي نحو المنحنى الغربي حيث تقع مدينة الدبة.

وعندما يغير النيل مجراه مرة أخرى عند مدينة الدبة لينطلق شمالاً نحو مصر، يجري هذه المرة من الجنوب نحو الشمال فيصير البركل يمين الوادي للمرة الثانية! ولأنّ الجبل يقع يمين الوادي من جميع الإتجاهات سُمي بالأيمن ولم يُسم الشرقي لأنّه يقع شرق النيل من جهة واحدة فقط، ويقع شمال النيل من جهة أخرى، ولكنّه يقع يمين النيل من الجهتين! فللبركل إذن عدة أسماء فهو جبل الله، وهو الغربي، وقد يكون هو نفسه جبل جرزيم، أو جبل حوريب الذي نزلت عليه التوراة فنسوا حظاً مما ذكروا به فاختلط عليهم الأمر والأسامي.

### قصة المناادة الأولى

في قصة النار التي رآها موسى (ع) يجب أن نسجل ملاحظة مهمة، وهي أنّ موسى (ع) قد كلمه ربه أكثر من مرة في مكانين مختلفين جغرافياً وإدارياً وسياسياً بفواصل زمني يمتد لأعوام كثيرة، وفي كلا المكانين ذكر الطور ولكن بوصف مختلف: فأول مناداة كانت في الوادي المقدس طوى حيث أمر بخلع نعليه استعداداً لاستقبال أمر جليل، وفي هذا المكار كلمه الله مرة واحدة.

فقد جاءت رؤية النار بعدة عبارات متفقة في المعنى ومختلفة في اللفظ، وقد جاءت جميع الآيات التي تناولت قصة المناادة الأولى بصيغة المفرد، لأنّ موسى (ع) كان وحده في مسرح الحدث، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكَيلٌ﴾ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ

الشام سنجد أنَّ مكان قوم لوط يعتبر بقعة نجسة على غير هيئة البقعة المباركة التي نزل فيها الوحي مرات كثيرة. والوادي كما جاء في القاموس المحيط هو "مفرج ما بين جبال أو تلال أو أكام"<sup>102</sup> وبالتالي هو مجمع لمياه الأمطار وممر للسيول، والمقصود به هنا طرف أو جزء من بقعة مباركة كبيرة تضم الأرض المقدسة التي هي مدينة القدس وهي أكثر الأماكن بركة في البقعة الأم، ويقع هذا الوادي على الشاطئ الأيمن من نهر الأردن في الناحية الجنوبية في اتجاه البحر الميت. وفي الصباح شاطئ الوادي هو شطه وجانبه، وتقول: شاطئ الأودية ولا تجمعها. والشاطئ يختلف من الساحل لأن الشاطئ لا يتغير كما يتغير الساحل الذي تغمره المياه مداً وجزراً وفيضاناً بسبب مستواه الذي يكون دائماً هو نفس مستوى مياه البحر أو النهر أو أقل منه. فالشاطئ هو المكان الذي ترسو به السفن والمراكب محتمية من الرياح، ويسكنه الناس وهم في مأمن من مد البحر وجزره وفيضانه، لأن أرضه فوق مستوى البحر أو النهر بدرجة عالية لا تمكن الماء من المد والجزر والفيضان. ولعل اسم الوادي يدل على طرفيته وبُعد من مدينة القدس، فالذي يصله كأنما طوى البقعة المباركة.

وسياق الآيات يدل على أن المناجاة الأولى حدثت مع حادث النار، في ذلك الوادي المقدس بالقرب من طور (أي بالقرب من جبل تحفه الخضرة والأشجار المثمرة) لم يسمه الله "طور سيناء" ولم يسمه "الغربي"، وتلك المناجاة حدثت قبل إرسال موسى لفرعون، وقد تمت بعيداً من النيل حيث كان يسكن فرعون وقومه. وفي هذه المناجاة أخبر الله تعالى موسى عليه السلام بأنه رسول لبني إسرائيل وأعطى معجزة العصا واليد، ومن ثم أمره بالرجوع لمصر ليخبر فرعون بأن الله أمره أن يسمح لبني إسرائيل بالخروج من مصر أحراراً، وقد قصر الله تعالى قصته لسيدنا محمد (ص) في

<sup>102</sup> معجم القاموس المحيط، مادة بيه

سورة طه قائلاً: {وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى} \* {إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هَذِي} \* {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَى} \* {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} {وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى} \* {إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} ثم سألته تمهيداً للمعجزة {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى} فردَّ موسى قائلاً: {قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} فقال له الله تعالى: {الْقِهَا يَمُوسَى} {فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ خِثَّةٌ تَسْعَى} {قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} {وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى} {النَّارُكَ مِنَ آيَاتِنَا الْكُبْرَى} ثم أمره الله تعالى بعد ذلك مباشرة قائلاً: {أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} فنَادَى موسى ربه متصرعاً {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي} \* {وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي} \* {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي} \* {يَقْفَهُوا قَوْلِي} \* {وَأَجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي} \* {هَارُونَ أَخِي} <sup>103</sup>.

هذه هي قصة المناجاة الأولى، التي تمت وفقاً للقرآن الكريم في وادٍ مقدس بجانب جبلٍ أو طورٍ لم يذكر لنا القرآن الكريم اسمه. والنار وفقاً للقرآن الكريم لم تظهر على ذلك الجبل نفسه بل كانت بجانبه، وبالتالي مخاطبة الله تعالى لموسى (ع) لم تكن على الجبل، وإنما حدثت في مكان الحدث بجانب الجبل حيث رأى النار. وفي الحقيقة جاءت المناداة من شجرة لم يسمها القرآن ولم يكشف عن نوعها. على شاطئ نهر الأردن، فتأمل قوله تعالى {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} <sup>104</sup> وحين تمت هذه المناداة لم يكن أخاه هارون حاضراً، وكذلك لم يكن قومه حضور معه، وحتى زوجته التي كانت بصحبته لم تشهد الحدث بدليل قوله لها {امْكُثُوا

<sup>103</sup> القرآن الكريم، سورة طه، آيت 9-24

<sup>104</sup> القرآن الكريم، سورة القصص، آية 30

إِنِّي أَنسَتُ نَاراً لَّعَلِّي أَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ}، ولهذا جاءت الآيات كلها بصيغة المفرد خطاباً وروايةً، وهذه نقطة مهمة يجب أن نلفت النظر إليها لمقارنتها بالآيات التي تقصُّ لنا قصة سيدنا موسى وسط قومه.



ظهرت النار على الشاطئ الأيمن من نهر الأردن بالقرب من جبل البقعة المباركة التي هي المنطقة المحيطة بالقدس الأرض المقدس.

5- {وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ  
لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (القصص  
49)

6- {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} (مريم  
52)

7- {يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَذَابِكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ  
الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى} (طه 80)

8- {وَالطُّورِ} {وَكِتَابٍ مُّسْنَوِيٍّ} (الطور 1)

9- {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنَ طُورٍ سِينَاءَ تَثْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِبْغِ  
لِلْأَكْلِينَ} (المؤمنون 20)

10- {وَالثِّينَ وَالزَّيْنُونَ} {وَطُورٍ سَيْنِينَ} (التيين آيات 1-2)

11- {وَإِذْ نُنَقِّنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ} [الأعراف: 171] وهو  
نفس الطور المذكور في قوله تعالى {ورفعنا فوقهم الطور}  
عندما نتأمل الآيات السابقة نلاحظ أن القرآن تحدث عن الطور  
بأربع عبارات هي:

1- الطور (من غير إضافة اسم ولا وصف له وهو الغالب على  
الآيات وقد ذكر ست مرات)

2- الطور الأيمن (وهذا يعني أن هناك طور أيسر وقد ذكر  
مرتين)

3- طور سيناء (ذكر مرة واحدة)

4- طور سنين (وهو غير طور سيناء وقد ذكر مرة واحدة)  
فالسؤال الآن هل هذه الأربعة أشياء شيء واحد جاء بعدة أسماء  
وأوصاف أم هي أربعة أماكن مختلفة؟ وإذا كانت شيئاً واحداً فلماذا  
جاءت بصيغ مختلفة وأسماء مختلفة؟ وما هي الحكمة من ذلك؟  
ونحن نعلم أن القرآن دقيق جداً وهو حق ليس بالهزل، ولا مكان فيه  
لكلمة في غير مكانها أو تغيرت من سياق لسياق أو أضيفت عبثاً.

والحقيقة التي لا مرأى فيها أنَّ الخلف والسلف من المؤرخين للأديان في الملل الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلامية) قد اختلفوا اختلافاً كبيراً في معنى ومكان الطور المذكور في التوراة والقرآن، كما اختلفوا في تحديد مسار طريق رحلة الخروج الثاني التي قصدت أرض الميعاد من الجبل المقدس، بل اختلفوا في تحديد موقع الجبل المقدس نفسه الذي بدأت من عنده الرحلة نحو الأرض المقدسة. فقد ادعى بعضهم أن الطور الذي كلم الله عليه سيدنا موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة والوصايا العشر هو جبل "كركوم" الموجود في صحراء النقب بإسرائيل، وفريق ثاني قال بل هو جبل "سن بشار" بوادي صدر، وقد وصلوا إليه في اليوم العاشر كما ورد ذكره في سفر الخروج. وفريق ثالث يقول إنه جبل موسى (وأيضاً يسمى جبل البشري) الواقع جنوب جزيرة سيناء بين خليج العقبة والسويس.

والفريق الرابع ظهر مؤخراً في محاولة أخيرة ليحدد جبل اللوز الذي يقع على الساحل الشرقي لخليج العقبة بالجزيرة العربية على أنه هو الجبل المقدس الذي تنطبق عليه المواصفات المطلوبة، ليحمل لقب ويحل محل جبل موسى وأرض سيناء. وقد حاول كثير من الباحثين الإسرائيليين اكتشاف موقع جبل سيناء ومكان غرق فرعون ومحطات أسباط إسرائيل في صحراء وجبال سيناء ولكنهم لم يتوفقوا لاكتشاف موقع واحد لا يتطرق إليه الشك يتناسب مع النصوص التوراتية. ولم يستطع أي باحث منهم اكتشاف أثر واحد يؤكد قدسية هذه الجبال المذكورة قبل بعثة سيدنا موسى. وهذه الأحداث الأساسية في التاريخ الإسرائيلي لا تدعمها أي شواهد من خارج التوراة، كالاكتشافات الأثرية، والتحليل المعملية لمادة الكربون، وفوق كل ذلك تفتقر إلى الأدلة النصوصية القاطعة، والشواهد التاريخية كما تفتقر للواقعية والمنطق السليم.

مِثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ  
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} 109 اختلفت أقوالهم فمنها:

ما ذكره الإمام الطبري حين قال: "حدثنا القاسم، قال: حدثنا  
الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس  
الطور: الجبل الذي أنزلت عليه التوراة، يعني على موسى،  
وكانت بنو إسرائيل أسفل منه. (الطبري) {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ  
وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ} وأختلف في الطور؛ ف قيل: الطور اسم للجبل الذي كلم الله  
عليه موسى عليه السلام وأنزل عليه فيه التوراة دون غيره؛ رواه  
ابن جريج عن ابن عباس. وروى الضحاك عنه أن الطور ما أنبت  
من الجبال خاصة دون ما لم ينبت. وقال مجاهد وقتادة: أي جبل  
كان (تفسير القرطبي)

قال الشيخ إسماعيل حقي في تفسيره: "ولكن انظر الى  
الجبل}. قال الكلبي هو أعظم جبل بمدين يقال له زبير، وفي  
القاموس "زبير كامير" الجبل الذي كلم الله عليه موسى." 110

وذكر حقي أيضاً أن ابن الجوزي قال في مرآة الزمان: "والاصح  
انما خوطب موسى على جبل الطور الذي بقرب بحر القلزم (البحر  
الأحمر)" 111

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان: "طور سيناء بكسر او  
فتح حرف السين، اسم جبل بالشّمْ، وهو الذي كلم الله تعالى عليه  
موسى بن عمران - عليه السلام" 112 -

وقال الإمام محمد أبو زهرة في تفسيره: "والطور هو جبل  
الطور، والمراد كل سيناء" 113

109 القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 63

110 إسماعيل حقي، تفسير روح النيس في تفسير القرآن، سورة البقرة آية 63

111 إسماعيل حقي، تفسير روح النيان في تفسير القرآن، سورة الاعراف الآية 143

112 ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الثالث، ص. 107

وقال الإمام الماوردي " قوله تعالى: {وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ} وفي الطور ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه اسم الجبل، الذي كلم الله عليه موسى، وأنزلت عليه التوراة دون غيره، وهذه رواية ابن جريج عن ابن عباس.  
والثاني: أن الطور ما أثبت من الجبال خاصة، دون ما لم يثبت، وهذه رواية الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: أن الطور اسم لكل جبل، وهو قول مجاهد، وقتادة، إلا أن مجاهداً قال: هو اسم كل جبل بالسريانية، وقال قتادة: بل هو اسم عربي، فقد قال العجاج:

داني جناحيه من الطور فمر\*\*\* تقضي البازي إذا البازي  
كر" 114

وقال ابن الجوزي: "وأي الجبال هو؟ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: جبل من جبال فلسطين، قاله ابن عباس. والثاني: جبل نزلوا بأصله، قاله قتادة. والثالث: الجبل الذي تجلى له ربه، قاله مجاهد" 115.

وقال العز ابن عبد السلام في تفسيره: " {الطور} جبل التكليم، وإنزال التوراة، أو ما أثبت من الجبال دون ما لم يثبت، أو اسم كل جبل بالسرياني، أو بالعربي،" 116

وقال ابن عادل في تفسيره: " قال الخليل: الطور اسم جبل معلوم؛ لأن التعريف يفتضي حمله على جبل معهود مسمى بهذا الاسم، وهو جبل المنأجة" (تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل)

وقال هاشم البحراني في تفسيره: روي "عن عبد الله بن عباس، أنه قال: إنما سمي الجبل الذي كان عليه موسى (عليه السلام) طور

113 محمد أبو رهرة، رهرة التماسير، المجلد العاشر، سورة البقرة، آية 63

114 الإمام الماوردي، تفسير الذكوت والعيون، سورة البقرة، آية 63

115 الإمام ابن الجوزي، تفسير زاد المسير في علم التفسير، سورة البقرة، آية 63

116 الإمام (عز بن عبد السلام، تفسير القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 63

سيناء، لأنه جبل كان عليه شجر الزيتون، وكل جبل يكون عليه ما ينتفع به من النبات والأشجار سمي طور سيناء وطور سينين، وما لم يكن عليه ما ينتفع به من النبات أو الأشجار من الجبال سمي طور (فقط)، ولا يقال له: طور سيناء وطور سينين.<sup>117</sup> وقال ابن عاشور في تفسيره: " والطور علم على جبل بيرية سيناء، ويقال إن الطور اسم جنس للجبال في لغة الكنعانيين نقل إلى العربية وأنشدوا قول العجاج:

داني جناحيه من الطور فمر \*\*\* تقضتي البازي إذا البازي كسر  
فإذا صح ذلك فإطلاقه على هذا الجبل علم بالغلبة في العبرية لأنهم وجدوا الكنعانيين يذكرونه فيقولون الطور يعنون الجبل كلمة لم يسبق لهم أن عرفوها فحسبوا علماً له فسموه الطور<sup>118</sup>  
وخلاصة القول في ماهية الطور هو صفة خاصة لجبل تميزه عن بقية الجبال في أي مكان، وليس اسماً لجبل بعينه بدلالة قوله تعالى: {وشجرة تثبت بالدهن من طور سيناء} فلو كان الطور اسماً لجبل بعينه لجاءت الآية بالتعريف بدلاً من التذكير والإضافة هكذا {وشجرة تثبت بالدهن من الطور} وبالتالي لا تصح إضافة سيناء للجبل المعرف أصلاً. فالطور هو أي جبل متوسط في حجمه وارتفاعه، ويستطيع المرء أن يتسلقه بسهولة ويسر، والطور تحفه أو تحيط به الخضرة والزرع المثمرة التي يستفيد منها الإنسان كالتين والزيتون مثلاً. وبالإضافة لذلك كله، فالطور هو الجبل الذي يحمل تلك المواصفات ويقف محاذياً لشيء معلوم وواضح لأهل المنطقة. وكل المواضع التي حددها للطور الذي ظهرت بالقرب منه النار، لا تتماشى ولا تتفق مع هذا التعريف اللغوي عموماً، وبالأخص لا تتفق مع طبيعة جبل اللوز شرق خليج العقبة، ولا طبيعة جبل موسى في جنوب سيناء. والطور الذي تمت فيه المناجاة

<sup>117</sup> هشام الحسيني البحريني، تفسير البرهان في تفسير القرآن، سورة البقرة، ب 63

<sup>118</sup> الصاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتلويز، سورة البقرة، آية 63

الأولى كان محاذياً لنهر الأردن بالقرب من القدس لأسباب ذكرتها في قصة المناداة الثانية، وبعد المناجاة أوحى الله لهارون عليه السلام الذي لم يكن حاضراً المناجاة ولم يكن في مدين حسب نص التوراة {وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ: أَذْهَبْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِاسْتِقْبَالِ مُوسَى. فَذَهَبَ وَالتَقَاهُ فِي جَبَلِ اللَّهِ وَقَبْلَهُ} 119 فَأَيْنَ هُوَ جَبَلُ اللَّهِ؟

والآن ننتقل للجبل الثاني الذي تمت فيه المناجاة الثانية، وهذا الجبل تسميه التوراة "جبل حوريب"، ويرد اسم حوريب في أسفار التوراة للدلالة على «جبل الله»، وقد ذكر حوالي 17 مرة معظمها في سفر التثنية والخروج، وهو جبل مقدس عند اليهود. وقد خلط كتاب التوراة بينه وبين الطور الذي ظهرت بالقرب منه النار لموسى (ع) أول مرة، والذي تسميه التوراة "طور سيناء" في خمسة وثلاثين موضعاً وتريد به الجبل حيناً والبرية أحياناً. وعن هذا الخلط تقول دائره المعارف: "وهناك اختلاف على غير المشهور - بين الأباء الكنسيين في تحديد هل سيناء وحوريب جبل واحد، كذلك اختلاف حول مكان كل منهما. لكن المشهور عندهم أنهما جبل واحد يعرفونه باسم جبل سيناء Mount Sinai. 120"

أما حوريب في أدبيات اليهود هو الجبل الذي عبد فيه العجل، وهو الجبل الذي انفجرت منه الماء ليشرب منها بني إسرائيل، وهو الجبل الذي كان يرعى موسى (ع) حوله الغنم، وقد ذكر جبل حوريب في التوراة في عدة آيات منها الآتي:

1- {هَآ أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ، فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ. فَقَعَلَ مُوسَى هَكَذَا أَمَامَ عَيُونِ شَيْوُخِ إِسْرَائِيلَ} [سفر الخروج 17: 6]

119 التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الرابع، العدد رقم 27  
120 دائره المعارف الكتابية المسيحية - <http://st-takla.org/Full-Free->

2- {صَنَعُوا عَجَلًا فِي حُورِيبَ، وَسَجَدُوا لِئِمْتَالِ مَسْبُوكِ} [سفر المزامير 106: 19]

3- {يقول سفر الخروج عن موسى " فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب" (سفر الخروج 3: 1) ويفسرها علماء التوراة بأن المقصود منها بركة حوريب.

4- {في اليوم الذي وقفت فيه أمام الرب إلهك في حوريب حين قال لي الرب: اجمع لي الشعب فأسمعهم كلامي ليتعلموا أن يخافوني كل الأيام التي هم فيها أحياء على الأرض ويعلموا أولادهم. فتقدمتم ووقفتم في أسفل الجبل والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب} التثنية 4/ 10-15

وقد تعددت الآراء بشأن موقع جبل حوريب، فقال البعض أنه هو جبل موسى الواقع في جنوب سيناء، بينما أستاذ البعض هذا الرأي بسبب ارتفاعه الذي يصل إلى 7519 قدمًا فوق سطح البحر فهو جبل عظيم الارتفاع ولا يمكن تسلقه نسبة لحدّة صخوره وانحداره الشديد. وهناك رأي آخر يقول إنّ جبل حوريب هو نفسه جبل سيناء أو جبل اللوز الواقع شرق خليج العقبة، ولكن عندما ندقق فأننا لا نوجد عند جبل اللوز بركة ليعسكر حولها بنو إسرائيل لمدة عام كما جاء في التوراة. ولذلك قال البعض أن جبل حوريب هو جبل آخر أعطيت من فوقه الشريعة، ويحيط به وادٍ مترامي الأطراف مكنّ بني إسرائيل من سكنه لأكثر من عام، وذلك بعد الخروج من مصر بثلاثة أشهر.

## أين نزلت التوراة؟

جاء في سفر الخروج أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى (ع) في جبل سيناء، وذلك واضح من نص التوراة الذي يقول: {ويكونوا مستعدين لليوم الثالث. لأنّه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون

جميع الشعب على جبل سيناء. وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية قائلاً: احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه. كل من يمس الجبل يقتل قتلاً...} الخروج 11/19 والنص الآخر الذي يقول: {فَنَحَتِ (موسى) لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ كَالْأُولَيْنِ. وَبَكَرَ مُوسَى فِي الصَّبَاحِ وَصَعِدَ إِلَى جَبَلِ سِينَاءَ كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ، وَأَخَذَ فِي يَدِهِ لَوْحِي الْحَجَرِ} [سفر الخروج 34: 4] وفي جبل سيناء " كان منظر مجد الرب كنار آكله على راس الجبل أمام عيون بني إسرائيل " (خر 24: 17). فإذاً حسب هذه النصوص قد نزلت التوراة في جبل سيناء!

ولكن في المقابل هناك نصوص أخرى في نفس الكتاب تقول إن التوراة والوصايا العشر نزلت في جبل حوريب منها النص الذي يقول: {فِي الْيَوْمِ الَّذِي وَقَعْتَ فِيهِ مَامَ الرَّبِّ إِلَهُكَ فِي حُورِيبَ جِبْنِ قَالَ لِي الرَّبُّ: اجْمَعْ لِي الشَّعْبَ فَأَسْمِعَهُمْ كَلَامِي، لِيَتَعَلَّمُوا أَنْ يَخَافُونِي كُلَّ الْأَيَّامِ الَّتِي هُمْ فِيهَا أَحْيَاءَ عَلَى الْأَرْضِ، وَيُعَلِّمُوا أَوْلَادَهُمْ. فَتَقَدَّمْتُمْ وَوَقَفْتُمْ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَالْجَبَلُ يَضْطَرُّمُ بِالنَّارِ إِلَى كَيْدِ السَّمَاءِ، بِظُلَامٍ وَسَحَابٍ وَضَبَابٍ. فَكَلَّمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ وَسْطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلَامِهِ. وَلَكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةَ بَلِّ صَوْتًا. وَأَخْبَرَكُمُ بَعْهْدِهِ الَّذِي أَمَرَكُمُ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشْرَ، وَكُتِبَتْ عَلَى لَوْحِي حَجَرٍ. وَإِنِّي أَمَرَ الرَّبُّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنْ أَعْلَمَكُمُ فَرَائِضَ وَأَحْكَامًا لِكَيْ تَعْمَلُوهَا فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ غَابِرُونَ إِلَيْهَا لِتُمْتَلِكُوهَا فَاحْتَفِظُوا جِدًّا أَنْفُسَكُمْ. فَإِنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا صُورَةَ مَا يَوْمَ كَلَّمَكُمُ الرَّبُّ فِي حُورِيبَ مِنْ وَسْطِ النَّارِ} 121

فالسؤال الذي يتبع هذا التناقض الواضح، هو أين نزلت التوراة؟ هل نزلت على جبل حوريب أم على جبل سيناء؟ وهل جبل سيناء هو نفسه جبل حوريب أم هما جبلان مختلفان؟ وإذا كانا

جبلًا واحدًا فلماذا سُميَّ الجبل باسمين مختلفين وما معناهما؟ وما هو المغزى من التسمية المختلفة؟

وكلمة "طور" في اللغة تعني ما كان على حذو الشيء أو بجذائه، وأيضاً تعني الجبل المدرج الذي يسهل تسلقه وتكسوه الخضرة من فوقه أو تحفه من حوله، وبالفعل إذا وقف الإنسان بالقرب من جبل البركل وتأمل ما حوله سيجد الجبل محاذياً للنيل، وتحفه الخضرة من جميع جوانبه في منظر بديع يسر الناظرين، وهو مدرج يسهل تسلقه، وإذا وقف الشخص بالقرب من جبل البركل مستقبلاً مجري النيل سيجد نفسه بين جبليْن (طورين)، البركل هو الأيمن وجبل آخر في حجم البركل هو الأيسر يقع على بعد 2 كيلو تقريباً، وتخلو المنطقة من الجبال من بعد هذين الجبلين. وإن كان تعريف الطور هو الجبل الذي تكسوه أو تحفه الخضرة، فجبل موسى بسيناء، وجبل اللوز على الضفة الشرقية لخليج العقبة، هما من نوع الجبال البركانية العالية غير المسببة أصلاً، ولا تحفهما الخضرة، ولا يحاذيان معلماً بارزاً، وبالتالي كلمة الطور لا تنطبق عليهما لغوياً.

أمّا جبل البركل وما حوله هو بقعة مخرصة مقدسة لأهل كوش من قبل ميلاد سيدنا موسى عليه السلام ومن قبل خروج بني إسرائيل من مصر. ولعله هو نفسه جبل "حوريب" المذكور في التوراة سبعة عشر (17) مرة وقد وصف بأنه جبل الله، فحسب نص التوراة هو الجبل الذي سكن حوله بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر مباشرة، وفيه أو حوله نزلت التوراة، وبه ارتبطت حادثة عبادة العجل حينما (صَنَعُوا عَجْلاً فِي حُورِيبَ، وَسَجَدُوا لِيَمَثَالَ مَسْبُوكٍ)<sup>122</sup> ولقد مر بنا في هذا الكتاب أن العجل قد صنع على ضفاف النيل ونسف رماده في النيل وفقاً للقرآن والتوراة. وفي حوريب طلبوا من موسى أن يريهم الله جهرة ووفقاً لنص التوراة:

﴿حَتَّى فِي حُورِيبَ أَسْخَطْتُمْ الرَّبَّ، فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ لِيُبَيِّنَكُمْ﴾<sup>123</sup>  
 ﴿فِي الْيَوْمِ الَّذِي وَقَفْتُ فِيهِ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهَكَ فِي حُورِيبَ حِينَ قَالَ لِي  
 الرَّبُّ: اجْمَعْ لِي الشَّعْبَ فَاسْمِعْهُمْ كَلَامِي، لِيَتَعَلَّمُوا أَنْ يَخَافُونِي كُلَّ  
 الْأَيَّامِ الَّتِي هُمْ فِيهَا أَحْيَاءَ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَعْلَمُوا أَوْلَادَهُمْ. فَتَقَدَّمْتُمْ  
 وَوَقَفْتُمْ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَالْجَبَلُ يَضْطَرُّ بِالنَّارِ إِلَى كِبِدِ السَّمَاءِ،  
 بِظُلَامٍ وَسَحَابٍ وَضَبَابٍ. فَكَلَّمَكُمْ الرَّبُّ مِنْ وَسْطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ  
 صَوْتَ كَلَامٍ، وَلَكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةَ بَلِّ صَوْتًا. وَأَخْبِرْكُمْ بَعْدَهُ الَّذِي  
 أَمَرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشْرَ، وَكَتَبَهُ عَلَى لَوْحِي حَجَرٍ. وَإِنِّي  
 أَمَرَ الرَّبُّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنْ أَعْلِمَكُمْ فَرَائِضَ وَأَحْكَامًا لِكَيْ تَعْمَلُوهَا  
 فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا فَاحْتَفِظُوا جِدًّا لَأَنْفُسِكُمْ.  
 فَإِنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا صُورَةَ مَا يَوْمَ كَلَّمَكُمْ الرَّبُّ فِي حُورِيبَ مِنْ وَسْطِ  
 النَّارِ﴾<sup>124</sup> ومن حوريب جاء الأمر الإلهي بالتحرك نحو القدس لقتال  
 الجبابرة ﴿الرَّبُّ إِلَهَنَا كَلَّمَنَا فِي حُورِيبَ قَائِلًا: كَفَاكُمْ قُعُودٌ فِي هَذَا  
 الْجَبَلِ، تَحَوَّلُوا وَارْتَجِلُوا وَادْخُلُوا جَبَلَ الْأُمُورِيِّينَ وَكُلَّ مَا يَلِيهِ مِنَ  
 الْعَرَبِ وَالْجَبَلِ وَالسَّهْلِ وَالْجَنُوبِ وَسَاحِلِ الْبَحْرِ، أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّ  
 وَلُبْنَانَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ﴾<sup>125</sup> إذن إن إعطاء الشريعة  
 وعبادة العجل كانتا بالقرب من جبل حوريب، وعبادة العجل ونسفه  
 كما أثبتنا من قبل كانت على ضفاف النيل فإنن جبل حوريب يقع  
 على ضفة نهر النيل. وفي الكتاب المقدس أيضًا كانت هناك إشارة  
 لجبلين وليس جبل واحد؛ حيث جاء ذكر بركة وجبل سيناء 35 مرة،  
 وفي 17 مرة أتى ذكر جبل آخر اسمه حوريب.

والبركل هو الجبل الذي تنطبق عليه مواصفات القرا بأنه طور  
 أيمن وغربي، وقد أورد أحد كُتَّاب الإنترنت في تعليق له على مقال  
 بصحيفة الراكوبة الإلكترونية تحت عنوان (مهرجان جبل البركل:  
 نحو هوية سودانية متميزة) معلومة مهمة عن الجبل قال فيها:

123 التوراة، سفر التثنية، الإصحاح التاسع، النص رقم 8

124 التوراة، سفر التثنية، الإصحاح الرابع، النص رقم 15

125 التوراة، سفر التثنية، الإصحاح الأول، النص 6

"والاسم الحقيقي للجبل هو "نوركل" كما اورد ذلك العلامة د. عكاشة في كتابه القاموس النوبي الصغير، و"نوركل" كلمة من عبارتين باللغة النوبية فـ"نور" تعني الله و"كل" تعني بقعة أو قرب الله، وبالتالي يكون معنى مسمى الجبل هو "بقعة الله" أو "قرب الله"، وهو بالفعل ما كان يعتقد أهل تلك الحضارة وسكان بلاد المنطقة في معتقدتهم. فالمنطقة هي حيث كان يحج النوبيون اصحاب الأرض والحضارة وبالتالي هي جبل "نوركل" وليست "بركل"<sup>126</sup>. وهذه المعلومة أخذتها وسألت عنها عدداً كبيراً من الذين يتحدثون اللغة النوبية، فأكدوا لي جميعاً أن "نور" بالتفخيم تعني "الله" و"كل" تعني الجبل أو البقعة.

فالاسم إذن قديم ومعروف، والأدلة التاريخية تثبت أن منطقة جبل البركل كانت بقعة مقدسة بحسب تواتر الأخبار والآثار والمعابد والمذابح التي فيها. ونخلص من كل ذلك أن جبل البركل هو الجبل الغربي الذي قُضي فيه -أو بالقرب منه- إلى موسى (ع) التوراة والوصايا العشر عن طريق الوحي، وذلك لأن نزول التوراة قد كان متزامناً مع حادثة العجل، وحادثة العجل كما أثبتنا سابقاً قد وقعت على ضفاف نهر النيل، فوجب من ذلك أن يكون الجبل الذي أوحيت فيه -أو بالقرب منه- التوراة واقع على ضفاف النيل الذي يعرف في أدبيات اليهود بالبحر الغربي أيضاً حيث عُبد وأُحرق العجل، والبركل أول الجبال المرشحة لذلك. أما التكليم الأول فقد حدث بالواد المقدس طوى، بالقرب من جبل لم يسمه القرآن على شاطئ نهر الأردن، وليس في صحراء سيناء كما تظن العامة، والتوراة لم تنزل في ذلك الجبل ولا في تلك المنطقة، فقد نزلت بعد غرق فرعون وقبل فترة التيه على ضفاف النهر الغربي الذي هو نهر النيل، والإمام الفراء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابِ مَسْطُورٍ﴾ قال: "هو الجبل الذي بمدين الذي كلم الله تعالى موسى

عليه السلام تكليماً" وهذا كلامٌ غير صحيح لأنَّ الكلام قد جاء من الشجرة التي كانت بجانب الجبل، ولم يتم التكليم على الجبل نفسه. وهذا الجبل تسميه التوراة جبل سيناء أو حوريب (وفي الحفيفة حوريب هو جبل آخر مقدس ومن الواضح جداً أنَّ كتاب التوراة قد خلطوا بين الجبلين ولذلك جعلوا المنادة والتكليم مرةً واحدةً وذلك خطأً فادح ترتب عليه ارتباك عظيم في القصة)، وعلى كلِّ فقد قالت التوراة {يقع جبل سيناء أو حوريب في مدين} <sup>127</sup>. وبالجغرافية الحديثة يقع جبل سيناء وفقاً لرأي علماء اليهود في الناحية الشرقية من اللسان الشرقي للبحر الأحمر المسمى بخليج العقبة، أي في الحدود الشمالية الغربية للمملكة العربية السعودية الحالية، وهو جبل ناري لا ينبت يسمى أيضاً بجبل اللوز، وهو ليس جبل غربي بأيِّ حال من الأحوال، والقوم على كل حال في شكٍّ وخلافٍ عظيم من أمرهم بخصوص مسألة تحديد الجبل الذي تمت فيه أو قربه المناداة، وكذلك هم على خلاف في مسألة تحديد منطقة العبور، فتارة يقولون كان العبور من جهة خليج السويس وتارة يقولون كان العبور من جهة خليج العقبة <sup>128</sup>!

وهذا الخلاف العظيم قد كتبت عنه صحيفة "معاريف" الإسرائيلية إذ قالت: "إن هناك جدلاً واسعاً احتدم بين الباحثين حول تحديد المكان الحقيقي للجبل، حتى أصبح هناك خمسة أماكن على الأقل يحمل كل واحد منهم أسباباً وجيهة تجعل منه الجبل المنشود. تحقيق الصحيفة الإسرائيلية قال إن جزءاً كبيراً من النظريات اعتمدت على أبحاث ثرية أجريت بين أعوام 1967 و1973 عندما كانت سيناء تحت الاحتلال الإسرائيلي.

## سراييط الخادم

<sup>127</sup> التوراة، سفر الخروج الإصحاح الثالث، النص رقم 1

<sup>128</sup> مقال بعنوان: أحام إسرائيل: فرعون موسى لم يعرق في البحر الأحمر، موقع مصر العربية [www.mmasrafarabia.com](http://www.mmasrafarabia.com)

يرى الدكتور "تسفي إيلان" خبير الآثار الإسرائيلي أن مكان "جبل سيناء" هو سرابيط الخادم، ذلك الجبل الموجود في جنوب غرب شبه جزيرة سيناء بجوار مدينة أبو زنيمة، معتبرًا أنه يوافق مسار تيه بني إسرائيل في الصحراء والذي استمر 40 عامًا. وقال إن سرابيط الخادم هو الموقع الوحيد جنوب سيناء الذي عثر فيه على بقايا من الفترة القريبة لتيه بني إسرائيل، كما ظهرت فيه كتابات بلغة سامية قديمة، مشيرًا إلى أن الساميين اعتبروا هذا المكان مقدسًا وكذلك فعل المصريون بعد ذلك.

### جبل موسى

لكن التراث المسيحي يشير إلى مكان آخر هو جبل موسى الموجود جنوب سيناء أيضًا، ويقع ضمن كتلة جبلية من الجرانيت، ويصل ارتفاعه إلى 2285 مترًا. وهناك الكثير من الأسباب ترجح أن يكون جبل موسى هو المكان المقصود، لاسيما فيما يتعلق بالظروف التي تسمح بإقامة المعسكر الذي تقول التوراة أن بني إسرائيل أقاموه هناك ومكثوا فيه سنة كاملة، بما في ذلك حقيقة أن صخور الجبل مغطاة بالشحيرات والعشب الأخضر، فيما تحيط الجداول المائية وأشجار الفاكهة. ووفقًا للتراث المسيحي فإن الملكة "هلنا" والدة القيصر كونستانتينوس كانت أول من اكتشفت أن جبل الطور أو جبل سيناء هو نفسه جبل موسى. وقد دفع هذا الكشف القيصر يوستينيانوس الأول إلى بناء كنيسة بالمنطقة سميت "سانت كاترين" عام 527 ميلاديًا.

### ملتقى موآب وآدوم وكنعان

لكن الباحث الإسرائيلي "هزل هالبرين" كان له رأي آخر حيث زعم أن مكان الجبل يجب أن يكون في الملتقى الحدودي بين مناطق موآب وآدوم وكنعان القديمة، مشيرًا إلى الجبل الواقع في الضفة الجنوبية لوادي الحسا "وادي عفرا" جنوب الأردن، الذي يحده من

الغرب وادي عربة، هناك تحديدًا تلقى موسى التوراة وفقًا للباحث الإسرائيلي، الذي قال إنه استغرق عشرين عامًا كي يصل لتلك النتيجة. واستدل "هالبرين" بوجود مصادر مياه تكفي لشعب كامل، وقال إن الحديث في التوراة جرى عن جبل إلى الشرق من أدوم وجاء بالآية التي وردت في سفر التثنية "جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير". أي أن الشمس أشرقت على بني إسرائيل في الشرق، على إقليم أدوم والذي كان يطلق عليه "أرض سعير"، حيث تلقوا التوراة. كما استشهد بما قاله القاضي "يفتاح" في سفر القضاة، حيث قال القاضي إن موسى طلب من شعوب موآب وأيضًا من أدوم المرور عن طريق أرضهم حتى يصل إلى منطقة كنعان، عندما كان موسى في قادش والتي تسمى أيضًا تل النبي مندو، وهو المنطقة التي تقول التوراة في سفر المزامير إنها قريبة من جبل سيناء: "صوت الله يزلزل الصحراء، الله يزلزل صحراء قادش".

### جبل اللوز بالسعودية

هناك من يقول أيضًا أن جبل الطور هو جبل اللوز الذي يقع في أرض مدين القديمة، وهي السعودية حاليًا. تلك النظرية تعتمد على مزاعم المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس أو باسمه العبري الأصلي يوسف بن ماتيتياهو، وهو الجبل الأكثر ارتفاعًا في جبال مدين. ويرى باحثون أن هذا الطرح قد يمثل الحقيقة حيث يشكل الجبل أعلى نقطة شمال غرب السعودية، وهو جزء من سلسلة جبلية محاطة بالأودية والأخاديد الفادرة على استيعاب مئات الآلاف من البشر- الذين ربما خرجوا من مصر ووصلوا إلى المكان لتلقى التوراة. لكن السواد الأعظم من الباحثين استبعد ذلك نظرًا لغياب دلائل واضحة، وكذلك لأن المسافة بين أرض جوشان (محافظة الشرقية في مصر كما وردت في التوراة) وأرض مدين تبلغ 450

كيلومتر، وهي المسافة التي لا تناسب الوصف التوراتي الذي أشار إلى قرب المسافة بين جبل سيناء ومصر.

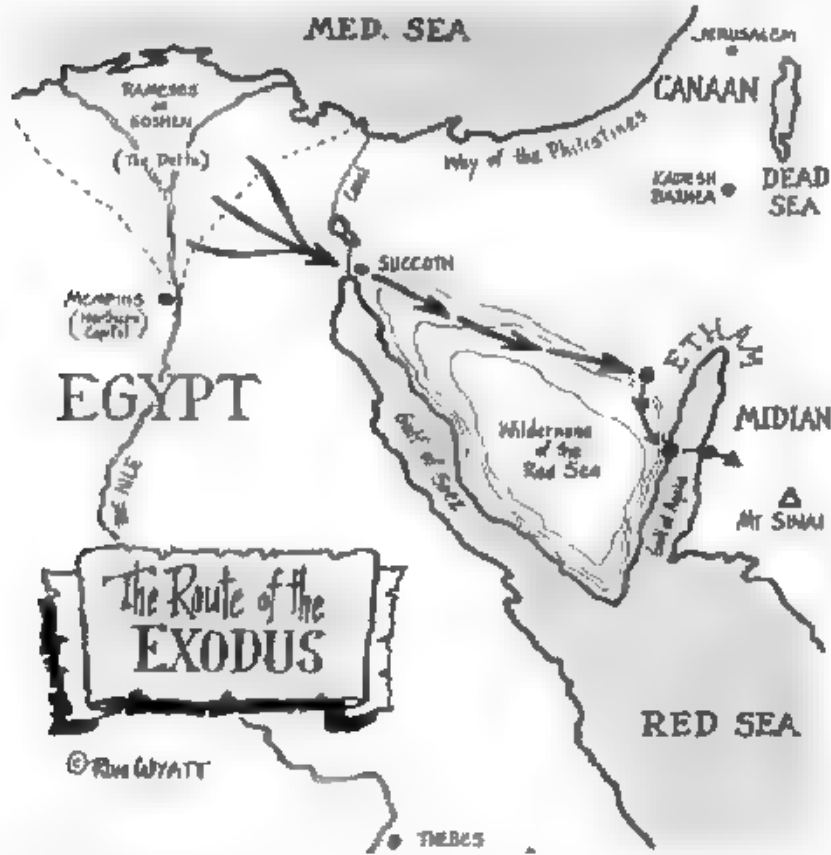
### جبل كركوم بالنقب الجنوبي

ويتنبى البروفيسور "عمونيل عناتي" تلك النظرية التي تقضي بأن هذا الجبل يقع داخل حدود فلسطين المحتلة. و"عناتي" خبير آثار إسرائيلي، زار الجبل في عام 1954 عندما كان طالبا للآثار. وقتها لفت نظره الرسوم الصخرية التي وجدها في المنطقة. عاد خبير الآثار الإسرائيلي إلى الجبل عام 1980 وبعد مرور ثلاث سنوات نشر دراسة تقول إن جبل كركوم هو نفسه جبل سيناء. وهذا الجبل بحسب "معاريف" لا يشبه أي جبال حوله، حيث يبقى وحيدا من نوعه في المنطقة، ويصل ارتفاعه إلى 1035 متراً عن مستوى سطح البحر. وقد عثر "عناتي" هناك على مجموعات محفورة من الحجارة التي ترتبط بقصص وردت في التوراة. كذلك زعم أنه عثر هناك على رسوم لألواح العهد التي تلقاها موسى من ربه، و12 من شواهد القبور التي أقيمت على سفح الجبل، والتي تمثل الأسباط الـ 12 على حد زعمه. كما عزز العثور على مواقع أثرية جوار الجبل من بينها مذابح ومعابد نظرية "عناتي".<sup>129</sup>

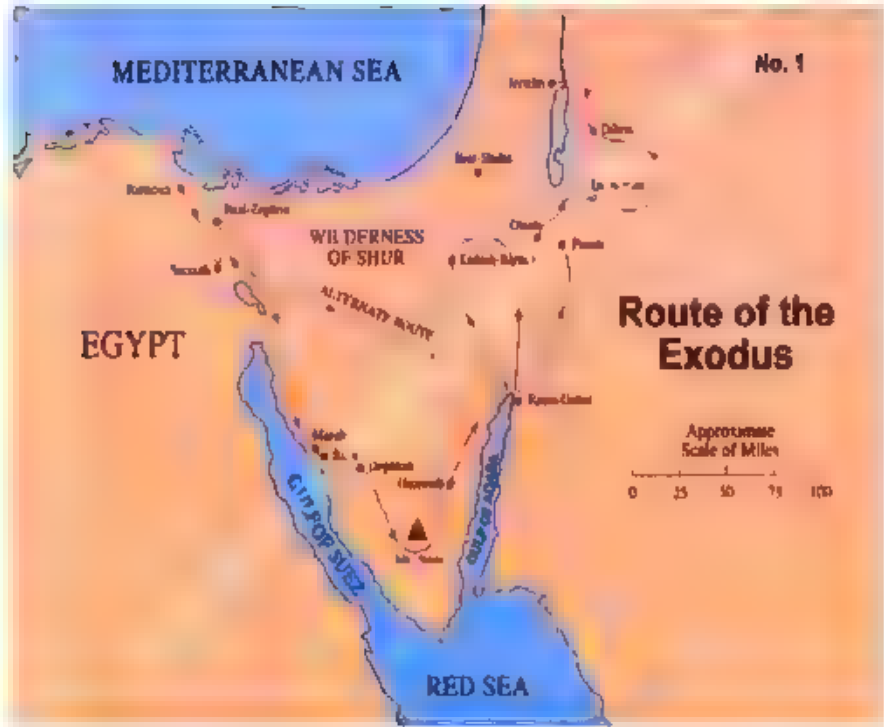
فإن ليس هناك أي دليل قطعي على جغرافية موقع جبل سيناء أو طور سيناء، وليس هناك أي دليل على وجوده فيما يعرف الآن بشبه جزيرة "سيناء" التي تتبع لمصر الحديثة، وجبل موسى الموجود في جنوب جزيرة سيناء والذي بنيت عليه دير القديسة كاترينا ليس هو جبل سيناء، وهذا الجبل قد حددته والدته الإمبراطور قسطنطين الأول التي تسمى هيلانة، وهذه المرأة امرأة مسيحية ولهذا بنت عليه تلك الدير، وكان ذلك في القرن الرابع الميلادي. فإذاً جبل موسى الذي بجنوب سيناء ليس هو جبل سيناء ولم يحدده

<sup>129</sup> مصر العربية على موقع الإنترنت <http://www.masralarabia.com>

علماء اليهود، ولم يشيروا إليه في كتبهم وأدبياتهم، وإنما هو رأي  
 رأته والدّة الإمبراطور المسيحي قسطنطين.



في هذه الخريطة يقع جبل سيناء شرق خليج العقّة وفي الخريطة  
 الثانية ستجده في جنوب صحراء سيناء!



في هذه الخريطة يقع جبل سيناء في جنوب صحراء سيناء (وفي الخريطة السابقة يقع جبل سيناء شرق خليج العقبة!) وسيناء تعتبر شبه جزيرة، وهي منطقة صحراوية مثلثة الشكل تبلغ مساحتها حوالي 60088 كيلو متر مربع، وقيل إن اسمها يعني "الحجر" لكثرة جبالها، وفيها طريق حربي قديم تسلمت منه الجيوش عبر التاريخ لغزو مصر ويسمى هذا الطريق بطريق "حورس" فسيناء كانت وما زالت تعد ذات أهمية إستراتيجية خطيرة وطرقها وشعابها معروفة وهي ليست منطقة توهان لأنها معالم الطرق فيها قديمة جداً.

وبما أن الأمر فيه اضطراب وخلاف واضح بين علماء اليهود، ففيه سعة اجتهد لنا. وبما أن موقع جبل سيناء غير محسوم يقيناً لعلماء التوراة والمؤرخين عموماً، فلا مانع إذن من طرح رؤية جديدة في هذه المسألة، فقد هداني تدبري للقرآن الكريم أن أنتهج نهجاً مخالفاً لعلماء اليهود في هذه القضية، ورأيي هو أن الجبل الذي ظهرت النار بالقرب منه، يقع على الضفة الشرقية لنهر الأردن في

المساحة التي تقع بين بحيرة طبريا شمالاً والبحر الميت جنوباً، وهو أقرب إلى البحر الميت موقعاً، وقد استنتجت هذا الاستنتاج من قوله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾<sup>130</sup> ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِءِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يُمُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>131</sup> فكلمة الطور في اللغة تعني الجبل المحاذي لشيء معلوم للناس، وكلمة الشاطئ التي وردت في الآية إذا أضفناها لكلمة البقعة المباركة سنصل لنتيجة حتمية هي أن موقع جبل سيناء ليس على خليج العقبة بل كان بالقرب من القدس محاذياً لنهر الأردن، والقدس قد عُرف عند جميع أهل الأديان السماوية بأنها أرض مقدسة، وما حولها بقعة مباركة. وإذا رجعنا للآية وتاملنا قوله تعالى: ﴿مِنْ شَاطِئِءِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ نعلم أن هذا الشاطئ الأيمن كان يقع في بقعة مباركة تشمل القدس الأرض المقدسة، وإذا رجعنا لنهر الأردن نجده يجري من الجنوب نحو الشمال، فلزم من ذلك أن يكون الجانب الشرقي لنهر الأردن هو شاطئ الوادي الأيمن، والبقعة المباركة هي المنطقة الكرى التي حول مدينة القدس التي وصفت تحديداً بالأرض المقدسة. وبمناسبة ذكر جبل سيناء فقد لاحظت أن القرآن لم يذكر جبل سيناء أبداً في سياق قصة سيدنا موسى، وإنما ذكره في سياق القسم فقال: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالتَّيْنِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾<sup>132</sup> وذكره أيضاً في سياق نعمة الماء والفاكهة والطعام فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقِيرُونَ \* فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نُجِيلٍ وَأَغْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوَاكِهِ

<sup>130</sup> القرآن الكريم، سورة القصص، آية 29

<sup>131</sup> القرآن الكريم، سورة القصص، آية 30

<sup>132</sup> القرآن الكريم، سورة التين، آيات 1-3

كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ  
وَصَبْنِجٍ لِّلْأَكْلَيْنِ<sup>133</sup>

ومدين هي القرية أو المنطقة التي قابل فيها سيدنا موسى (ع) يثرون كاهن مدين ابن أخ نبي الله شعيب عليه السلام، وهو والد الفتاتين اللتين تكلم معهما موسى من غير مترجم لأنه كان يشاركهما اللغة أصالةً أو تعلماً، وسقى لهما وتزوج إحداهما بعد أن خدم والدهما ثمانية أو عشر ججج وفقاً للعقد الذي بينهما. وقيل أن اسم البنت التي تزوجها موسى (ع) هو "صفورة"، وقال آخرون إن صفورة ليس هو اسمها، وإنما هو اسم زوجته الثانية من بلاد كوش. وبجانب جبل سيناء الواقع على الضفة الشرقية لنهر الأردن في البقعة المباركة تلقى موسى (ع) أمراً إلهياً ليخرج بني إسرائيل من مصر، ولم يرد نص في التوراة ولا في القرآن يحدد له الله تعالى فيه اتجاه الرحلة الأولى، وإنما أمره بالخروج بقومه فقط، فقال له في التوراة: {فَالآنَ هَلَمْ فَأَرْسَلْكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَتَخْرُجْ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ، فَأَخَذَ مُوسَى امْرَأَتَهُ وَبَنِيهِ وَأَرْكَبَهُمْ عَلَى الْخَمِيرِ وَرَجَعَ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ. وَأَخَذَ مُوسَى عَصَا اللَّهِ فِي يَدِهِ<sup>134</sup>. وعندما رجع موسى من مدين ومعه العصا أوحى الله تعالى لأخيه هارون قائلاً: {اذْهَبْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِمُتَقَابِلِ مُوسَى. فَذَهَبَ وَالتَّقَاءُ فِي جَبَلِ اللَّهِ وَقَبْلَهُ. فَأَخْبَرَ مُوسَى هَارُونَ بِكُلِّ كَلِمِ الرَّبِّ الَّذِي أَرْسَلَهُ، وَبِكُلِّ آيَاتِ الَّتِي أَوْصَاهُ بِهَا. <sup>29</sup>ثُمَّ مَضَى مُوسَى وَهَارُونَ وَجَمْعًا جَمِيعَ شُيُوخِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَتَكَلَّمَ هَارُونَ بِكُلِّ كَلِمِ الرَّبِّ الَّذِي كَلَّمَ الرَّبَّ مُوسَى بِهِ، وَصَنَعَ الْآيَاتِ أَمَامَ عُيُونِ الشَّعْبِ. فَأَمِنَ الشَّعْبُ. وَلَمَّا سَمِعُوا أَنَّ الرَّبَّ افْتَقَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَّهُ نَظَرَ مَذَلَّتَهُمْ، خَرُّوا وَسَجَدُوا<sup>135</sup>. ومن هذا النص نفهم أن "جبل الله" الذي تقابل فيه الأخوان موسى وهارون (عليهما السلام) لم يكن في البقعة

<sup>133</sup> القرآن الكريم، سورة المؤمنون، آيات 18 - 20

<sup>134</sup> التوراة، سفر الخروج الإصحاح الثالث. النص رقم 10

<sup>135</sup> التوراة، سفر الخروج الإصحاح الخامس، النصوص 30-37

المباركة التي حول بيت المقدس، بل هو جبل مقدس آخر بعيد من البقعة المباركة، وهو الوصف الذي ينطبق على جبل البركل لأن مصر ليس فيها جبلاً مقدساً، كما لا يوجد في كل منطقة شمال السودان وشرقه جبلاً أثبتت الدراسات التاريخية المتواترة قدسيته لأهل المنطقة ومعهم أهل مصر عدا جبل البركل. فإذن لزم من ذلك أن نقول قد التقى موسى (ع) أخاه هارون (ع) في جبل البركل الذي وصفه التوراة بأنه "جبل الله" في إشارة واضحة لقدسيته، هذا بالإضافة لموروث المنطقة التاريخي عن الجبل. ووفقاً للتوراة {فَفَعَلَ مُوسَى وَهَارُونُ كَمَا أَمَرَهُمَا الرَّبُّ. هَكَذَا فَعَلَا. وَكَانَ مُوسَى ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَهَارُونُ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً حِينَ كَلَّمَا فِرْعَوْنَ.} 138

وقد تحقق رجوع بني إسرائيل للبقعة 137 المباركة التي تحوي الأرض المقدسة في الخروج الثالث (كان الخروج الأول من مصر، والثاني من شمال السودان لصحراء التيه، والثالث من الشام بقيادة نبي الله داود عليه السلام لقتال الجبابرة). فقد كان الخروج الثالث الذي انطلق من منطقة شرق الأردن نحو القدس عبر نهر الأردن، بقيادة طالوت الذي أصبح ملكاً يساعده نبي الله داود الذي خلفه على الملك. والجدير بالذكر أن موسى عليه السلام قد أتمته المنية وهو في التيه وهو ابن 120 عاماً وفقاً لما أضافه أحبار اليهود للتوراة فقالوا: {وَكَانَ مُوسَى ابْنُ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ، وَلَمْ تَكَلَّ عَيْنُهُ وَلَا ذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ} 138، وبالتالي لم يتمكن هو وأخوه هارون (عليهما السلام)، ولا من معهما من كبار السن من قومه من الوصول لسيناء ودخول القدس أصلاً، فقد مات كثير منهم في فترة التيه في صحراء بيوضة التي تقع على الجهة الغربية من

136 التوراة، سفر الخروج الإصحاح السابع، النصوص 6 - 7

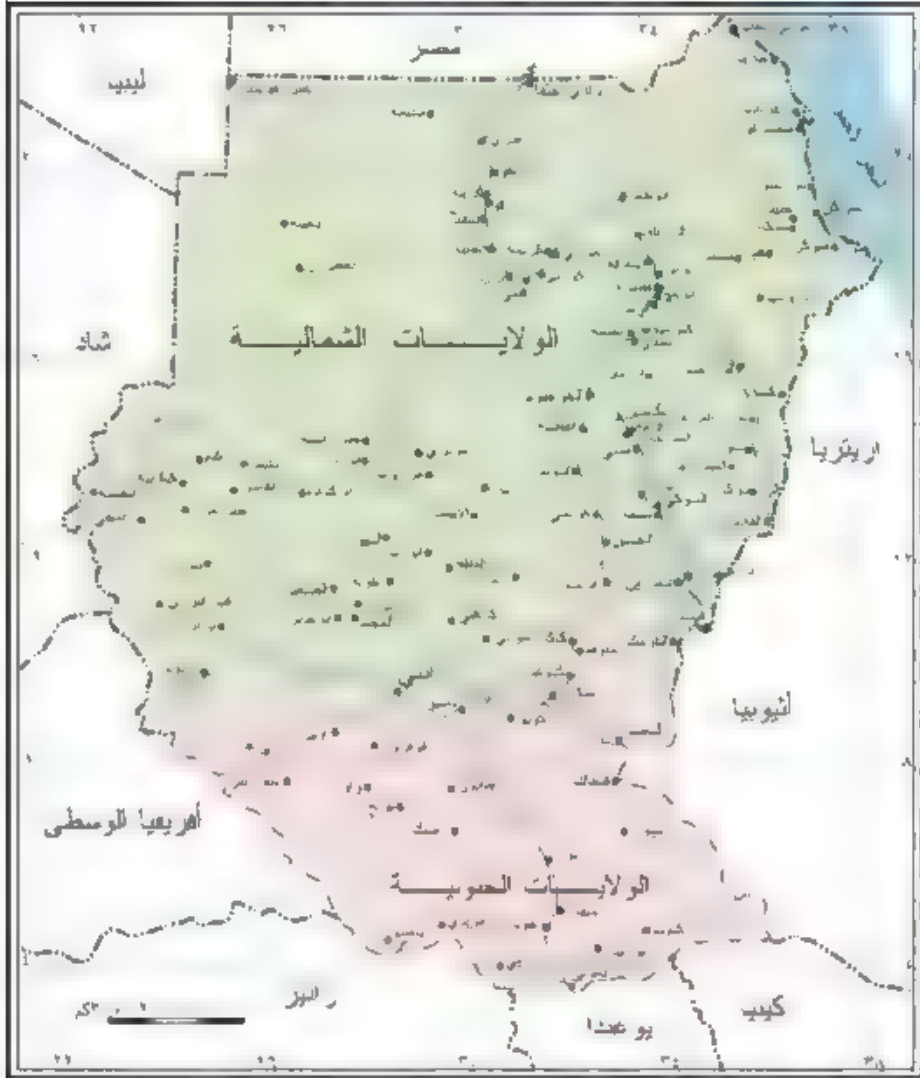
137 كلمة "بقعة" وفقاً لمعجم اللغة العربية المعاصرة تعني قطعة من الأرض متميزة

عما حولها

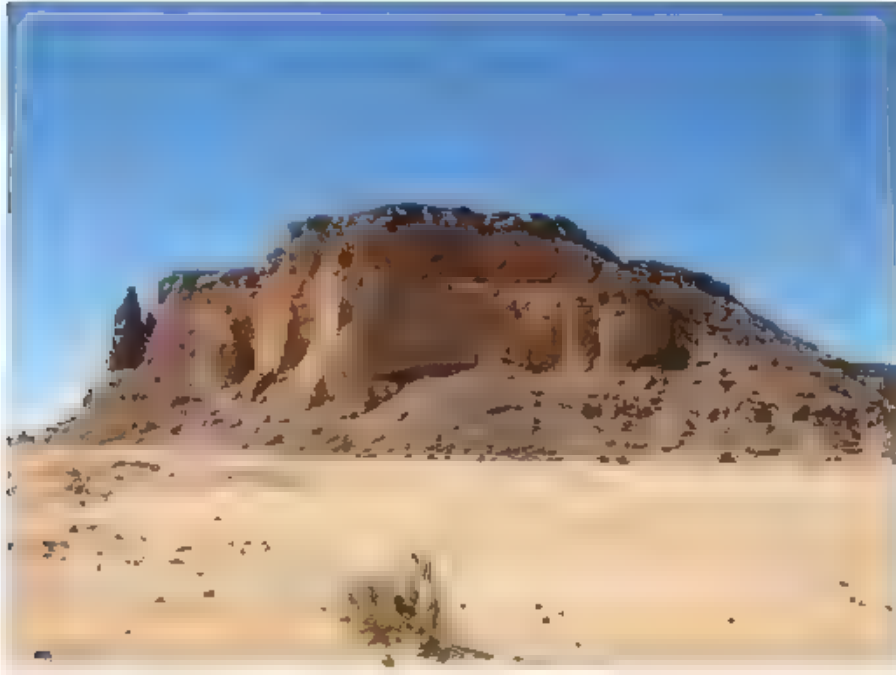
138 التوراة، سفر التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثون، النص رقم 7

البحر الأحمر وهي بقعة شاسعة تفتقر للظل والكهوف والمياه والطعام.

### جمهورية السودان



يقع جبل البركل في شمال السودان عند منحني النيل الغربي على الشاطئ الأيمن في مدينة كريمة الواقعة بين مدينة أبو حمد شرقاً ومدينة الدبة غرباً

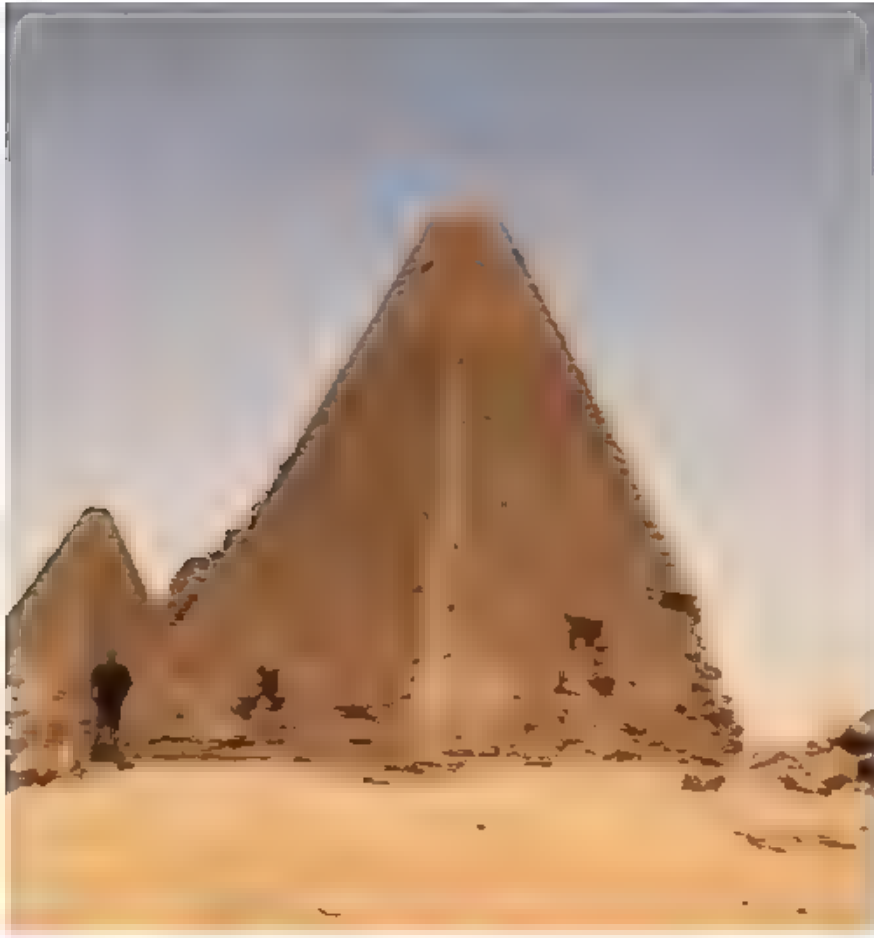


جبل البركل في مدينة كريمة

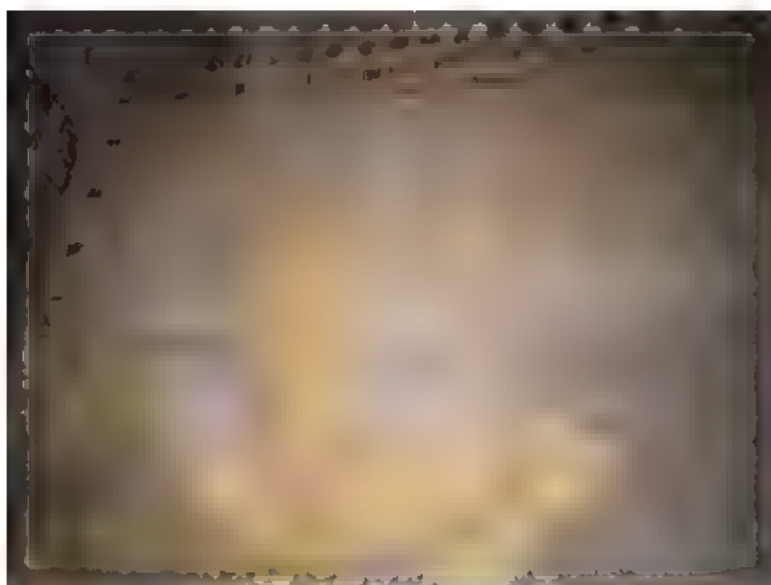
إنَّ معبد جبل البركل هو معبدٌ يختلف عن المعابد التي من حوله، فقد بدأت فيه العبادة حنيفيةً لله تعالى وليست لصنمٍ من الأصنام المنحوتة، وقد كان سجودهم على أبقانهم وفقاً للصور المنحوتة فيه<sup>139</sup>

---

<sup>139</sup> عباس أحمد الحاج، بحث عن سيدنا إدريس لم يُلَشر بعد



جزء من الإهرامات التي حول جبل البركل المقدس



صورة من رسومات المعبد التي بداخل جبل البركل



الملك نر هاقا في معبد جبل البركل

## من أين جاء بنو إسرائيل لمصر؟

تقول التوراة في الإصحاح الأول من سفر الخروج بخصوص وجود بني إسرائيل في مصر:

1- {وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاءوا الى مصر مع يعقوب جاء كل انسان وبيته

2- راوبين وشمعون ولاوي ويهوذا

3- ويساكر وزبولون وبنيامين

4- ودان ونفتالي وجاد واشير

5- وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين

نفساً ولكن يوسف كان في مصر

6- ومات يوسف وكل اخوته وجميع ذلك الجيل

7- واما بنو إسرائيل فاثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جدا

امتلات الارض منهم

8- ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف

9- فقال لشعبه هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا

10- هلم نحال لهم لنلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب انهم

ينضمون الى اعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الارض

11- فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم باثقالهم فبنوا

لعرعون مدينتي محازن فيثوم ورعمسيس

12- ولكن بحسبما اذلّوهم هكذا نموا وامتدوا فاخذتوا من بني

إسرائيل

13- فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف

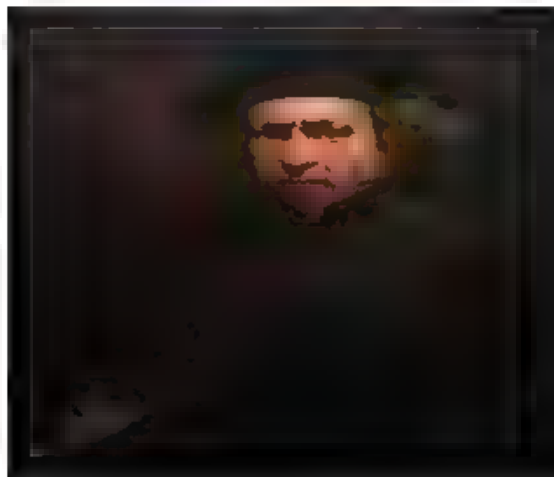
14- ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل

عمل في الحقل، كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفاً

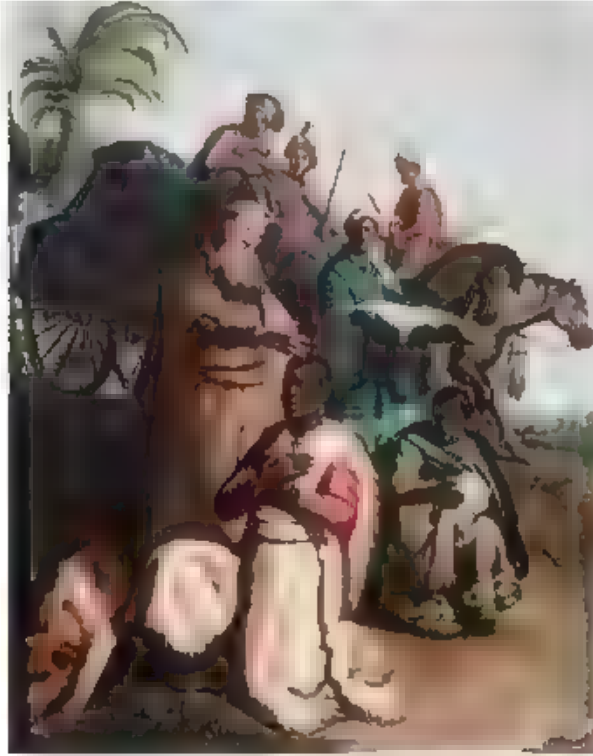
15- وكلم ملك مصر قابليتي العبرانيات اللتين اسم احدهما شفرة

واسم الاخرى فوغة

- 16- وقال حينما تولدان العبرانيات وتتنظرانهن على الكراسي ان كان ابنا فاقتلاه وان كان بنتا فتحيها
- 17- ولكن القابلتين خافتا الله ولم تفعلتا كما كلمهما ملك مصر بل استحيتا الاولاد
- 18- فدعا ملك مصر القابلتين وقال لهما لماذا فعلتما هذا الامر واستحييتما الاولاد
- 19- فقالت القابلتان لفرعون ان النساء العبرانيات لسن كالمصريات فانهن قويات يلدن قبل ان تاتيهن القابلة
- 20- فاحسن الله الى القابلتين ونما الشعب وكثر جدا
- 21- وكان اذ خافت القابلتان الله انه صنع لهما بيوتا
- 22- ثم امر فرعون جميع شعبه قائل كل ابن يولد تطرحونه في النهر لكن كل بنت تستحيونها
- من المعلوم تاريخياً أنَّ دولة كوش كانت تصرف على اليهود في اورشليم الأرض المقدسة، وكانت تربطها بالأرض المقدسة صلة وثيقة، ولذلك جاء ذكر كوش في التوراة حوالي 30 مرة، وقد وثّق الرسّام الهولندي اليهودي رامبرانت فان راين (1606م - 1669م)



للتك الرابطة الكوشية اليهودية برسومات خالدة<sup>140</sup>. والبحث في سر هذه العلاقة مهم جداً لأنه يساعدنا على إجابة بعض الأسئلة التي تتعلق بالمكان الذي تحرك منه سيدنا يعقوب (ع) ببنيه لمصر تلبية لنداء ابنه يوسف (ع)، وكذلك سيساعدنا في معرفة المكان الذي تحركوا منه نحو القدس بعد غرق فرعون. فإذا كان بني إسرائيل ليسوا مصريين ولا هكسوساً، فمن أين جاءوا لمصر؟ ومن أين تحركوا نحو القدس لقتال القوم الجبارين وأخذ القطس منهم عنوة؟



لوحة للرسم الهولندي اليهودي رامبرانت رسمها عام 1626 ميلادي، وقد رسم فيها القديس قليب الأنجيلي اثناء مباركته لحرس كنوز الكنداكة ملكة مملكة مروني الكوشية التي تصرف على أورشليم، وكان يزورها هذا الحرس كل عام محمل بالأموال والذهب والهدايا.

<sup>140</sup> وكينديا الموسوعة الحرة <https://ar.wikipedia.org/wiki>

تذكر التوراة أن .. إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر كانت أربع مئة وثلاثين سنة<sup>141</sup> وجاء فيها أيضاً: (هكذا يقول ابنك يوسف: قد جعلني الله سيِّداً لكل مصر. إنزل إلي لا تقف. فتسكن في أرض جاسان وتكون قريباً مني، أنت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرتك وكل ما لك. وأعوذك هناك، لأنه يكون أيضاً خمس سنين جوعاً. لنلاً تفتقر أنت وبيتك وكل ما لك)<sup>142</sup> ونصح يوسف عليه السلام إخوته قائلاً: {فيكون إذا دعاكم فرعون وقال ما صناعتكم أن تقولوا عبيدك أهل مواش منذ صبا إلى الآن نحن وابلونا جميعاً لكي تسكنوا في أرض جاسان}<sup>143</sup> فإذا حسب نص التوراة أن بني إسرائيل ليسوا مصريين وإنما هم مهاجرون من سلالة سيدنا يعقوب (ع) جاء بهم سيدنا يوسف (ع) عندما كان وزيراً لمالية العريز في مصر. وبالمناسبة إن سيدنا موسى (ع) هو: موسى بن عمران بن هافث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام)، وهذا يعني أن سيدنا يوسف هو جده الثاني لأنه شقيق لاوي الذي هو الجد الثاني المباشر لسيدنا موسى (ع)، وبالتالي يكون الفارق الزمني بين يوسف (ع) وموسى (ع) حوالي جيلين ونصف أي 150 عاماً تقريباً. وواضح أن اسم فرعون حُشر حشراً في هذا النص التوراتي، وهذا جزء من التحريف الواضح الذي أصاب التوراة بسبب الترجمة وفقدان الأصل المكتوب في الألواح، ويبدو أن الأحرار الذين أعادوا كتابة التوراة من بعد موسى (ع) بعد فترة طويلة، كانوا يظنون أن جميع ملوك مصر كان يطلق عليهم فراعنة، وهذا خطأ شيع قامت عليه فكرة أن كلمة "فرعون" تعني الملك، ولكن الحديقة التاريخية تقول إن كلمة "فرعون" هي اسم حقيقي لملك جاء بعد سيدنا يوسف (ع) بأكثر من قرن ونصف تقريباً، كما أن الحفريات قد أثبتت أن كل ملوك مصر والسودان قد

<sup>141</sup> التوراة، سفر التكوين، الإصحاح الثاني عشر، النص رقم 40

<sup>142</sup> التوراة، سفر التكوين، الإصحاح الخامس والأربعين، نصوص 9-10

<sup>143</sup> التوراة، الإصحاح السادس والأربعين، نصوص 33-34

ذكروا بأسمائهم الحقيقية، ولم تُحدثنا الحفريات والآثار المكتشفة عن وجود كلمة "فرعون" مقرونة باسم أيٍّ منهم لتثبت أنها كانت لقباً عاماً، ولذلك لا مجال لإقحام اسم فرعون في قصة سيدنا يوسف (ع)، وأيضاً لا مجال للحديث عن فرعونية مصر الحالية، وللأسف هذا وهمٌ وقعنا فيه كلنا وقد حان وقت تصحيحه. والقرآن الكريم أكثر دقةً في هذه المسألة من التوراة لأنه لم يذكر اسم فرعون أبداً في قصة سيدنا يوسف (ع)، وذلك لأنَّ الملك صاحب الرؤيا التي أولها له سيدنا يوسف (ع) كان من الموحدين، بينما كان فرعون من أعتى المشركين.

وقال بعض المؤرخين أنَّ الملك والعزير كانا من الهكسوس الموحدين<sup>144</sup> الذين حكموا مصر في عهد الإضمحلال الثاني لقرنٍ من الزمان، وهي الفترة التي نخل فيها سيدنا يوسف (ع) مصر. فقد بدأ الهكسوس يسيطرون على مصر منذ عام 1648 ق.م، وتمكنوا تدريجياً من حكم مصر من ساحل البحر الأبيض شمالاً وحتى حدود إمارة طيبة في الجنوب، لكن المصريين قد تمكنوا من هزيمتهم وطردهم من مصر بقيادة أحمر الأول بعد معارك شرسة في سنة 1575 ق.م تقريباً. ومنطقة جاسن التي نزل فيها يعقوب (ع) ببنيه حسب التوراة، هي المنطقة المعروفة الآن برعمسيس أو رمسيس في شمال مصر، وقد كانت جاسان قريبة جداً من عاصمة الهكسوس "أفرايس" التي كانت تعرف أيضاً باسم "زوان" أو "أورائس"، حيث كان يسكن الملك الهكسوسي، وذلك مستنتج من النص التوراتي الذي يقول فيه يوسف لأبيه: {هَكَذَا يَقُولُ ابْنُكَ يُوسُفُ: قَدْ جَعَلَنِي اللَّهُ سَيِّدًا لِكُلِّ مِصْرَ. إِنزِلْ إِلَيَّ لَا تَقِفْ. فَتَسْكُنْ فِي أَرْضِ جَاسَانَ وَتَكُونُ قَرِيبًا مِنِّي، أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَنُو بَنِيكَ وَغَنَمُكَ وَبِقَرِكَ وَكُلُّ مَا لَكَ. وَأَعُولُكَ هُنَاكَ، لِأَنَّهُ يَكُونُ أَيْضًا خَمْسُ سِنِينَ جُوعًا. لِيَلَّا تَقْتَفِرَ أَنْتَ وَبَيْتُكَ

<sup>144</sup> آيات قصه سيدنا يوسف يمتدح منها أن الملك والعزير وقومه كانوا أهل توحيد وتدين

وَكُلُّ مَا لَكَ<sup>145</sup> ومستنتج أيضاً من قول الله تعالى لموسى: {بَكَرَ فِي الصَّبَاحِ وَقَفَّ أَمَامَ فِرْعَوْنَ. إِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى الْمَاءِ. وَقُلْ لَهُ: هَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتُ لَا تُطْلِقُ شَعْبِي، هَا أَنَا أَرْسِلُ عَلَيْكَ وَعَلَى عبيدِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى بُيُوتِكَ الدُّبَانَ، فَتَمْتَلِئُ بُيُوتُ الْمِصْرِيِّينَ ثُبَانًا. وَأَيْضًا الْأَرْضُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا. وَلَكِنْ أَمِيزُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ شَعْبِي مُقِيمٌ حَتَّى لَا يَكُونَ هُنَاكَ دُبَانٌ}<sup>146</sup> ومستنتج من نص آخر يقول: {فَضْرَبَ الْبَرْدُ فِي كُلِّ أَرْضٍ مِصْرَ جَمِيعَ مَا فِي الْحَقْلِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَضْرَبَ الْبَرْدُ جَمِيعَ عُشْبِ الْحَقْلِ وَكَسَرَ جَمِيعَ شَجَرِ الْحَقْلِ.<sup>26</sup> إِلَّا أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا بَرْدٌ}<sup>147</sup> وظل بنو إسرائيل في مصر عموماً حوالي 430 عاماً وفقاً للتوراة، ويبدو أنهم ارتحلوا بعد هزيمة الهكسوس من منطقة جاسان (رمسيس) لجنوب مصر حيث عاصمة المصريين التي تعرف بطيبة أو مدينة الإله آمون ومن الواضح إن معظم عواصم مصر القديمة كانت في الجيوب علي شاطئ النيل بالقرب من حدود السودان الحالية. وفي طيبة وبعد تحرير البلاد من الهكسوس، حكم البلاد ملكاً جديداً اسمه الحقيقي فرعون، قام باضطهاد بني إسرائيل وقرر استعبادهم بعد أن كانوا في عزٍّ ورفعةٍ ونعيم أيام الهكسوس! ولقد ذكرت التوراة هذا التغير المفاجيء في حياة بني إسرائيل فقالت: {قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يَوْسُفَ}<sup>148</sup> وواضح أنَّ هذا الملك لم يكن هكسوسياً ولا مصرياً لأنَّ الهكسوس قد طردوا من مصر وكانوا يعرفون سيدنا يوسف حق المعرفة والمصريون أيضاً يعرفونه حق المعرفة، ويبدو أنَّ الزمان قد تباعد بالملك الجديد من عصر سيدنا يوسف (ع)، فجهل هذا الملك الغريب سيرة سيدنا يوسف كنبى،

<sup>145</sup> التوراة، سفر التكوين، الإصحاح الخامس والأربعين، النص رقم 9

<sup>146</sup> التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الثامن، النص رقم 20

<sup>147</sup> التوراة، سفر الخروج، الإصحاح التاسع، النص رقم 25

<sup>148</sup> التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الأول، النص رقم 8

وكذلك جهل مقام قومه كموحدين. واحتمال أن يكون فرعون اضطهدهم بسبب تكاثرهم في الأموال والأولاد، وبسبب مخالفتهم له ولفومه في العقيدة والجنس، وكأنه خاف من نفوذهم على سلطانه بعد أن عرف تاريخهم ومشاركتهم للهكسوس في الحكم. والجدير بالذكر أن الهكسوس من الشعوب السامية التي كانت تنتشر في منطقة العراق والشام وصحراء سيناء والنقب، وقد حكموا مصر لقرن من الزمان بمعاونة بني إسرائيل الذين ينحدرون من نفس الأصل السامي. وقد بدأت سيطرة الهكسوس على شمال مصر بنهاية حكم الأسرة الرابعة عشر وتمددوا جنوباً حتى حصروا المصريين في منطقة طيبة وماحولها، فأصبح المصريون في الوسط بين نار الهكسوس في الشمال ونار الكوشيين في الجنوب. واستمر الحال هكذا حتى قامت الحرب بين الهكسوس وإمارة طيبة بقيادة الملك "سقن رع"، واستمرت المعارك بينهم سجالاً حتى تغلب عليهم الملك المصري أحمس الأول حوالي 1575 ق.م في بداية حكم الأسرة الثامنة عشر في معارك شرسة، فطردهم من مصر إلى غير رجعة. وها هو القرآن يثبت لنا أن سيدنا يوسف كان وزيراً للملك الهكسوسي الذي حكم مصر، وقد يكون هناك عدد كبير من بني إسرائيل قد تبوأ مناصب كبيرة في ظل الحكومة الهكسوسية التي استعمرت مصر قرناً من الزمان، مما أثار حفيظة المصريين الانتقامية عليهم لاحقاً فاستعبدوهم وأذلّوهم. ونفس السياسة الانتقامية اتبعتها مصر في ظل الأسرة السابعة عشر بقيادة الملك كاموس بن سقن رع آخر ملوك الأسرة السابعة عشر مع دولة كوش بسبب تأمرها مع الهكسوس على إضعاف مصر. وفي ظل الأسرة الثامنة عشر قام الملك أحمس الأول بهجوم عنيف على دولة كوش بعد أن طرد الهكسوس من بلاده عام 1540 ق.م واستطاعت قواته التوغل في أرض كوش حتى وصلت الشلال الثاني في منطقة وادي حلفا بعد ثلاثة معارك ضارية كما ذكر المؤرخون.



لوحة تمثل أحمس الأول يقاتل الهكسوس في معركة.

والسؤال المهم هو أين كان بنو إسرائيل قبل أن ينزلوا جاسان (رعسيس) بأمر من سيدنا يوسف عليه السلام؟

ذكر الدكتور أحمد الياس حسين في كتابه المسمى "السودان الوعي بالذات وتأسيس الهوية" في معرض مناقشته لرأي ديودورس الصقلي وبلايني عن الأصول الأثيوبية (السودانية) للمصريين قائلًا: "أما ما ورد في النص عن رأي الأثيوبيين في أصل سكان مصر والذي يقول: "أن الأثيوبيين (أي السود، ويريد هنا السودان الحالي) يقولون إن مصر مستعمرة من مستعمراتنا على اعتناء أن سكانها القدماء جاءوا إليها منهم" فهو رأي مشهور بين الباحثين الذين يرون أن سكان مصر في الأساس نزحوا من جنوب الوادي. وأورد الباحثون الكثير من الأدلة على ذلك ليس من الناحية العرقية فحسب بل كذلك من ناحية حضارية. فتوحيد شطري مصر وبداية عصر الأسرات والحضارة المصرية بدأت في الأساس – كما يرى بعض الباحثين – في منطقة وادي حلفا الحالية ثم اتجهت شمالاً، وقد

أثبتت الأدلة الأثرية أن ثقافات وحضارات ما قبل عصر الأسرات في السودان أقدم منها في مصر<sup>149</sup>

وإجابة السؤال أعلاه في نظري هي أن أصول بني إسرائيل أصول كوشية بمعنى أنهم من القبائل التي سكنت الصحاري الشرقية لدولة كوش فترعرعوا فيها واختلطوا بأهلها وتأثروا بلغتها وثقافتها وإن كانوا مخالفين لأهل كوش في الجنس والأصل والدين، وعندما ذهبوا ليوسف عليه السلام في منطقة رمسيس نزحوا من الجنوب للشمال. وأقول ذلك بناءً على عدة ملاحظات:

أولاً: أوردت التوراة عن رحول يعقوب قائلة: {أما يعقوب فارتحل إلى سكوت وبني لنفسه بيتاً ووضع لمواشيه مظلات لذلك دعى اسم المكان سكوت}<sup>150</sup> وهذا يدل على رحول سيدنا يعقوب من مدين الشام لبادية شمال السودان قبل رحوله لمصر ببنيه لملاقاة ابنه يوسف.

- ثانياً: ذكرت التوراة أن سيدنا يوسف عليه السلام كان في حدود دولة كوش في أسوان وبعضهم قال بل كان في طيبة (الأقصر حالياً) حيث مقر الحكم بينما نزل أبوه وإخوته في منطقة جاسان لأنهم رعاة. وحدود كوش حددها النص التوراتي بأنها البلاد الواقعة جنوب أسوان. فقد جاء في التوراة: {... وأجعل أرض مصر خراباً مفقرة من مجد إلى أسوان إلى تخم كوش}<sup>151</sup> وقد كانت تخوم كوش عند أسوان وكانت طيبة جزء من كوش فإذن كان سيدنا يوسف في كوش بشهادة التوراة.

- ثالثاً: لقد أثبتنا أنهم فروا لمنطقة شمال السودان حيث منطقة السكوت، والإنسان في العادة يفر إلى موطنه الأصلي إذا لاقى عنفاً

149 أحمد الياس حسين، السودان الوعي بالذات وتأسيس الهوية، ص. 37

150 التوراة، سفر التكوين، الإصحاح الثالث والثلاثون، النص رقم 17

151 التوراة، سفر حزقيال، الإصحاح التاسع والعشرون، النص رقم 9

في غربته. فالإنسان لا يخاطر بالإغتراب مرة ثانية إذا فشل في اغترابه وكانت تجربته فيه مرة.

- رابعاً: لقد ثبت أن لون سيدنا موسى (ع) وقومه هو نفس لون أهل السودان الشمالي، وأوصاف سيدنا موسى (ع) هي نفس أوصافهم، فقد كان أجعد الشعر آدم اللون- أي كان لونه يميل للسواد. ومعجزة تغير لون يده للبياض من غير سوء دلالة على سواد لونه أو إخضرار لونه كما يقول أهل السودان. وقد بعث نبي الله عيسى بمعجزة شفاء الأبرص لأن البرص كان متفشياً فيهم وطاهر فيهم لأنهم سود.

- خامساً: إن لغة "التقري" التي تتحدث بها بعض قبائل البجة السودانية هي قريبة جداً للغة العبرية، وقد حكى لي أحد الإخوة الارتريين أنه يفهم كثيراً من كلام اليهود بالعبرية بالرغم من أنه لم يتعلم العبرية قط! وأعتقد أن هذا مجال بحث للمحتصين في مجال علم الألسن. والسؤال هو ما هو سر هذا الإشتراك اللغوي بين لغة البجة والعبرية وكيف حدث في الأصل؟ والجدير بالذكر أن على البحر الأحمر وادٍ يسمى "وادي هبرو" فهل يترى أن هذه دلالة مكانية على أن اللغة العبرية تولدت من تلك المنطقة البجاوية فجاء هذا التشابه الذي نعيشه الآن؟

- سادساً: ذكرت التوراة أن سيدنا موسى تزوج من بلاد كوش النني هي أرض السودان المعاصر، ولو لم تكن له صلات ومعارف ومعرفة بالمنطقة وأهلها لرفض أهل المنطقة تزويجه من الأساس! والمرأة التي تزوجها موسى (ع) قيل أن اسمها صفورة وتلقب بالكوشية وقد ذكرتها التوراة في مسألة الختان حيث قالت: **{فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها ومست رجله}** 152 وما زال أهل شمال السودان القصي يستخدمون هذا الاسم حتى يومنا هذا، ولعل في هذا دليل يعضد قول الذين رأوا أن صفورة هو اسم

152 التوراة، سفر الخروج، الإصحاح 4، النص رقم 34

زوجته الثانية وليس اسم زوجته الأولى من مدين كما جاء في التوراة عندما سأل يثرون الكاهن بناته عن موسى قائلاً: {واين هو لماذا تركتن الرجل ادعونه لياكل طعاماً \* فارتضى موسى ان يسكن مع الرجل فاعطى موسى صفورة ابنته \* فولدت ابناً فدعا اسمه جرشوم لانه قال كنت نزيلاً في ارض غريبة} 153. والثابت والمهم في بحثنا هذا هو حقيقة زواجه عليه السلام من أهل كوش وليس المهم الاسم.

- سابعاً: عندما عزم فرعون أن يتحدى موسى (ع) قال له قومه: {أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ \* يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ} 154. وفي آية أخرى (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ \* يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) 155. فقد كان السحرة على مستويين سحرة من صغار السحرة وعامتهم، وسحرة آخرين قد بلغوا مرتبة عالية في السحر وهؤلاء طلبهم من جزيرة (ناوا) في شمال السودان بالقرب من مدينة دنقلا، على الضفة الشرقية لنهر النيل، وقيل أن عددهم قد بلغ عدة آلاف، و(ناوا) تشتهر بالنخيل أيضاً، فلذلك هددهم فرعون عندما امنوا بموسى (ع) بأن يصلبهم على جزوع النخل {قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ جُلَافٍ وَأَصْلَبْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّكُمْ أَبْشَدُ عَذَاباً وَأَبْقَى} 156. فناوا كانت حوما تزال- تشتهر منذ القدم بالسحرة والنخيل، وما زالت القصص حتى وقتنا هذا تتحدث عن أن بعض أهلها يمارسون السحر بالرغم من إسلامهم! وقد ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره المطبوع ببירות في عام 1970م أن السحرة قد جاءوا من جزيرة (ناوا) من بلاد النوبة

153 التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الثاني، البصر رقم 20

154 القرآن الكريم، سورة الأعراف، آية 111-112

155 القرآن الكريم، سورة الشعراء، 36-37

156 القرآن الكريم، سورة طه، آية 71

تنتفي فكرة المَجْمَع لأنَّ كلمة "مَجْمَع" في اللغة العربية هي اسم مكان لحدوث الفعل، والفعل هنا هو تَجْمَع مياه النهرين في مكان واحد ليصنعا شيئاً ثالثاً. ونفس الكلام ينطبق على التقاء نهر عطبرة بالنيل، فهما لا يكونان شيئاً ثالثاً جديداً.

ثانياً: إنَّ قوله {أو أمضي حُقُباً} أي أمضي متجاوزاً المجمع بحثاً عن الرجل الصالح، وقال ابن عباس وقتادة أن الحُقُب هي أزمان غير محدودة.<sup>157</sup> ولا يمكن أن يكون مقصود الآية هو أن يبحر سيدنا موسى (ع) عميقاً في البحر الأبيض المتوسط ليجد الرجل الصالح واقفاً في منتصف البحر الأبيض المتوسط، ينتظر قدوم موسى (ع) في وسط البحر، أو قل ينتظره واقفاً على الساحل الأوروبي! هذا كلام لا يعقل وسخيف.

ونلاحظ أنَّ موسى (ع) قال لفتاه {لا أبرحُ حتَّى أبلغَ مَجْمَع البحرينِ أو أمضي حُقُباً}<sup>158</sup> أي "لا أبرح أسير حتَّى أبلغ مجمع البحرين"<sup>159</sup> وسياق الكلام يُوحى بأن موسى (ع) وفتاه كانا يعرفان جغرافية المنطقة جيداً، ولهذا لم يسألا عن مجمع البحرين أصلاً وإنما عزمَا السير قُدماً نحوه بصبر وجلد! وهنا أود أن أنبه القارئ للفرق بين "مجمع البحرين" في بحرٍ واحد، و"مفرق البحر" الواحد إلى بحرين أو أكثر. فالمجمع يجمع مياه بحرين مختلفين لهما منبعين مختلفين ويكونان بالضرورة العقلية شيئاً ثالثاً، والمفرق عكسه تماماً يقسّم البحر الواحد لأكثر من مجرى كما الحال في مياه البحر الأحمر التي تجري نحو الشمال فافتترقت لقسمين هما خليج العقبة وخليج السويس.

<sup>157</sup> ابن عطية، تفسير المحرر الوجيز، سورة الكهف، آية 60

<sup>158</sup> القرآن الكريم، سورة الكهف، آية 60

<sup>159</sup> الإمام الرمحشري، تفسير الكشاف، سورة الكهف، آية 60

تاسعاً: تقف صلة دولة كوش بيهود اورشليم دليلاً سادساً لعلاقة اليهود بأرض السودان. والجدير بالذكر أنَّ كلمة "أور" بلغة النوبة تعني "الملك" وقد سميت المدينة على اسم ملك يُدعى "شليم"!! فاللغة والرعاية الاقتصادية تثب أن للكوشيين صلة بأهل "اورشليم" وإلا فما هو الدافع للصرف عليهم ودعمهم مادياً من خزانة دولتهم كما ثبت ذلك تاريخياً؟ إنَّ التوراة تقول إنَّ يهود "اورشليم" تحركوا من منطقة السكوت في شمال السودان فتأهوا 40 سنة في صحارى البحر الأحمر الغربية التي تسميها التوراة "برية بحر سوف" ونسبها نحن بلغة اليوم "صحراء بيوضة وصحراء النوبة"، ثم دخلوا القدس بعد أكثر من أربعمئة وخمسين سنة (450) من انتهاء فترة التيه، وكان ذلك بعد وفاة سيدنا موسى عليه السلام على يد طالوت وسيدنا داوود عليه السلام وأسسوا دولتهم الأولى في المنطقة وكان ذلك حوالي 995 ق.م، وقد أكد القرآن تلك الحقائق في قوله تعالى: {أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ أَلا تَقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ} وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ \* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ

وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {، وقوله { مِنْ بَعْدِ مُوسَى } أي من بعد وفاته ويحتمل التعبير اتصال وقرب وتتابع الأحداث من الناحية الزمنية وكذلك يحتمل تباعدها وهو الراجح. والنبي المقصود في الآية هو داوود عليه السلام لأنه هو الوحيد المذكور في هذه القصة ولم يذكر القرآن شمويل أو شمعون بن بال وكذلك لا يمكن أن يكون يوشع بن نون بأي حال من الأحوال كما زعم أهل التفسير. والإشارة في قوله تعالى {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا} ترجع لداوود لأنه هو المحبر عن الله تعالى كما يوحى بذلك سياق القصة نفسها، فهو الذي عاصر طالوت وهو الذي قاتل حتى قتل جالوت في الوقت الذي تخاذل فيه القوم. والمسافة الزمنية بين داوود وموسى عليهما السلام حوالي 450 سنة

كما ذكرت التوراة، وهذا يعني أنهم قد استقروا في مكان ما بالقرب من القدس لمدة 450 عاماً ودخلوا في حروب مع الجبابرة الذين أخرجوهم من ديارهم كما فعل الفراعنة من قبل. وهنا ينتج سؤال مهم جداً وهو أين كان بنو إسرائيل لمد 450 عاماً قبل أن يدخلوا الأرض المقدسة؟! بعض المؤرخين يقولون كانوا شرق نهر الأردن لمدة طويلة ثم عبروا نهر الأردن ليستقروا في أريحا مما جعلهم يدخلون في حروب مستمرة مع الجبابرة الذين سكنوا القدس ومعظم فلسطين. ورجوعاً لموضوع صلة دولة كوش بيهود اورشليم ها هي التوراة تذكر رحولهم من منطقة السكوت في شمال السودان صراحة لا تلميحاً فنقول: "وارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام في طرف البرية"<sup>160</sup>. والمقصود أنهم خرجوا من منطقة السكوت في اتجاه الشمال الشرقي فتاهو في صحراء (برية) البحر الأحمر الغربية حيث صحراء بيوضة وصحراء النوبة التي تمتد حتى أطراف صحراء سيناء العربية - والمنطقتان متجاورتان جغرافياً - ثم دخلوا بعد فترة التيه ووفاة سيدنا موسى (ع) بعد 450 عاماً مدينة القدس المقدسة. هذا هو سر العلاقة بينهم وبين دولة كوش، فهم كانوا جزءاً من مكونات المنطقة التي هاجروا منها، ولهذا كان فراق النيل صعباً عليهم جداً، فترددوا وتعنتوا كثيراً قبل أن يستحيبوا لنداء الهجرة الثانية التي كانت قبلئها بيت المقدس، وقد وصل بهم التعنت حد الوقاحة فقالوا لموسى (ع): {إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون} <sup>161</sup>، وبسبب هذا التعنت والكلمات غير اللائقة في حق الله تعالى ورسوله الكريم موسى (ع) عاقبهم الله تعالى بالتيه في صحارى وجبال البحر الأحمر أربعين سنة بعد أن فارقوا النيل ونعيمه وخضرته. ولأن المنطقة قاحلة ينعدم فيها الظل والماء والطعام قامت رحمة المولى عز وجل ففجرت لهم عيون الماء في الصحراء من صحرة تتبعهم حيث ما ساروا، وكذلك كان يتبعهم الغمام بالظل في حلهم وترحالهم، وأنزلت عليهم المنّ

<sup>160</sup> التوراة، سفر الخروج: الإصحاح 13: النص رقم 30

<sup>161</sup> القرآن الكريم، سورة المائدة، آية 24

والسلوى من السماء طعاماً واحداً لا يتغير حتى لا يهلك جمعهم جوعاً وعطشاً وحرّاً، فصعب عليهم الإبتلاء الجديد فقالوا حسب رواية التوراة: "من يطمعنا لحمًا؟ قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والبقاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم. والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن" 162 وبلغه القرآن المبين: {وَإِذْ قُلْتُمْ يُمُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعْ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّانِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسُهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَسْتَيْدِلُونِ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِي مَنَ اللَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} 163، وهذا أمر مقصود به التعجيز لأنهم كانوا في التيه، والتيه هو عقوبة لهم حتى ينقصي وقته، ومن أمثال الأمر للتعجيز قوله تعالى للكافرين: {قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا} 164، ولذلك "مصرأ" في هذه الآية تعني أي مدينة من المدن، أو أي قرية من القرى كما ذكر أهل التفسير واللغة، فمن صترفها فقد أراد بها مصرأ من الأمصار غير معين، فقد قال كثير من المفسرين: لا يجوز أن يكون هو البلد الذي كانوا فيه مع فرعون واحتجوا عليه بقوله تعالى: {ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ} 165 وقوله: {وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ} أمر صريح في المنع من الرجوع عن اتجاه بيت المقدس. وفعل الأمر "اهبطوا" في الآية للتعجيز والتهكم، وهو ليس بأمر حقيقي لهم للذهاب للمدن والقرى بحثاً عن هذه البقوليات لأنهم في حالة تيه، والشخص عندما يكون في حالة تيه لا يعرف الاتجاه للمدن والقرى أصلاً، فلزم أن يكون الأمر للتعجيز والتهكم منهم، ولا يمكن أن تكون مصر هي

162 التوراة، سفر العدد، الإصحاح الحادي عشر، آيات 4-5

163 القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 61

164 القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية 50

165 القرآن الكريم، سورة المائدة، آية 21

بأنفسهم لدرجة الغلو، والتمسك الشديد بالعادات والتقاليد لدرجة تكيف وتحريف الدين ليتماشى مع موروثاتهم.

- ولعل من أهم الصفات الموجبة التي يشترك فيها الفريقان هي حدة الذكاء، والميل إلى التعارف والتكتل وإظهار خصوصياتهم الثقافية أينما حلوا متناسين خلافاتهم السياسية والعرقية وغيرها. ويختلف السودانيون عن اليهود خاصة وشعوب العالم الأخرى في صفات تفوقوا فيها على غيرهم من الشعوب، منها الترابط الأسري والاجتماعي، والكرم الفياض، والشهامة، والمرءوة، والشجاعة، والوفاء، والأمانة، يشهد لهم بها كل من خالطهم من الشعوب، ولعل أحدث دراسة علمية تؤكد هذا التفوق الأخلاقي قد صدرت من منظمة تمثل شعوب الأرض جميعاً وتتحدث بلسانها، ألا وهي منظمة الأمم المتحدة، فقد أصدرت هذه المنظمة في عام 2016 دراسة علمية حول النزاهة والأمانة الفردية، جاء فيها الإنسان السوداني في المرتبة الثانية محرراً نسبة 96% بعد الإنسان الأيرلندي الذي أحرز المرتبة الأولى بنسبة 97%، ولعل هذا الفارق البسيط في النسبة يُنسب للفارق بين الظروف الاقتصادية والسياسية بين البلدين مما ينعكس على تصرف الفرد فيهما، وهذا شيء معلوم لكل علماء الاجتماع. وهذه النتيجة العلمية بلا شك ترجمة عملية لقول الشاعر السوداني العملاق محمد سعيد العباسي الذي تحدث بلسان قومه قانلاً:

ولست أرضى من الدنيا وإن عظمت \*\*\*  
إلا الذي بجميل الذكرى يُرضيني  
وكيف أقبل أسباب الهوانِ ولي \*\*\*  
آباء صدق من الغر الميامين  
النارلين على حكم الغلا أبداً \*\*\*  
من زينوا الدهر منهم أيّ تزيين

## المحور الثامن: الأرض التي بارك الله فيها

في قصة سيدنا موسى ذكرت خمسة أنواع من الأراضي هي:

- 1- البقعة المباركة
- 2- الوادي المقدس طوى
- 3- الأرض المقدسة
- 4- الأرض التي بارك الله فيها
- 5- الوادي الأيمن

الآيات التي ذكرت أنواع الأراضي أعلاه:

1- {قَلَمَّا آتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (30) القصص

2- {قَلَمَّا آتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلُغْ نَعْلِكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى (12) طه

3- {يَقُومُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خُسِرِينَ} (المائدة 21)

4- {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَثَّلَ لَكُمْ رِبَّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَغْرِشُونَ.

ويقول الإمام الألوسي في تفسيره: "وإنما وصف الله البقعة بكونها مباركة لأنه حصل فيها ابتداء الرسالة وتكليم الله تعالى إياه" 168

وتمكنوا من نواحيها {التي باركنا فيها} بالخصب وسعة العيش، وهي أرض الشام. وزاد ابن جزي: ومصر".

ولكن الشهيد سيد قطب قال في تفسيره المسمى بظلال القرآن كلاماً يخالف هذه الآراء كلها! فقد قال سيد قطب إنَّ استخلاف المستضعفين من قوم موسى: "لم يكن في مصر، ولم يكن في مكان فرعون وآله، وإنما كان في أرض الشام، وبعد عشرات السنوات من حادث إغراق فرعون - بعد وفاة موسى عليه السلام وبعد النية أربعين سنة"

ويقول صاحب هذا الكتاب: إنَّ كل التفسير أعلاه مخطئة بما فيها رأي الشهيد سيد قطب، وذلك لأنَّ الأرض "المبارك فيها" لا يمكن أن تكون أرض الشام لأنَّ سياق الآية يتحدث عن عاقبة فرعون وقومه، وقد كان فرعون وقومه في أرض تسمى "مصر" ولم يكونوا في الشام. وإخراج الأرض من منطقتها الجغرافية الأساسية (أرض كوش) لمنطقة جغرافية أخرى خارجة من مشهد الحدث التاريخي (أرض الشام) هو تعسف في التفسير ومنهج عير صحيح بالمرّة وتزوير للتاريخ بقصد أو بدون قصد كما سنرى. أمّا مصر فهي أيضاً غير معنية بهذه الآية، وذلك لأنَّ الاستخلاف لا يعني بالضرورة عملية الحكم السياسي لأنَّ التاريخ يقول إنَّ موسى (ع) وقومه لم يحكموا مصر بعد غرق الملك فرعون كما قال سيد قطب استناداً على حقائق التاريخ. ولا يمكن لبني إسرائيل الرجوع لمصر لأنَّ الله تعالى حذرهم في التوراة قائلاً: {لَئِنْ بَدَأْتُ بِالشَّعْبِ إِذَا رَأَوْا حَرْباً وَيَرْجِعُوا إِلَيَّ مِصْرَ فَأَدَارَ اللَّهُ الشَّعْبَ فِي طَرِيقٍ بَرِّيَّةٍ بَحْرَ سَوْفٍ} 171. وفي القرآن أيضاً جاء التحذير واضحاً من الرجوع لمصر في قوله تعالى {ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ} 172 ولهذا قد يأتي الاستخلاف بمعنى

171 التوراة، سفر الخروج الإصحاح الثالث عشر، النص رقم 17

172 القرآن الكريم، سورة المائدة، آية 21

استخلاف الحرية للإستعباد، واستخلاف الإمتلاك للسُّخرة، واستخلاف القبض بزمام المبادرة للتبعية في اتخاذ القرار. وفي هذا المعنى قالت التوراة: ﴿وقال موسى للشعب أذكروا هذا اليوم الذي فيه خرجتم من مصر من بيت العبودية، فإنه بيد قوية أخرجكم الرب من هنا﴾<sup>173</sup> وهذا ما حدث بالفعل لبني إسرائيل في المنطقة التي هاجروا إليها على ضفاف النيل، الذي كان يجري تحت عرش سيدهم فرعون حين كانوا عبيداً يفلحون له الأرض ولا يملكونها، وقد أكدت التوراة تلك العبودية فقالت: ﴿فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِغَنَفٍ، وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ فِي الطِّينِ وَاللَّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْحَقْلِ. كُلَّ عَمَلِهِم الَّذِي عَمَلُوهُ بِوَاسِطَتِهِمْ غُنْفًا﴾<sup>174</sup> ولكن بعد هلاك فرعون وهجرتهم أصبح هؤلاء العبيد أحراراً وملاكاً يمتلكون الزرع والضرع ومصانع الذهب والمعادن في مشارق النيل ومغاريه، وقد جاء المشرق والمغرب بصيغة الجمع لأنَّ النيل عندما يتلوى في شمال السودان أو يلتحم بنهر آخر يخلق عدداً من المشارق والمغارب لا وجود لها في كل المنطق. والمقصود بالمشارق والمغارب الأراضي الواقعة شرق وغرب النيل أو رافده والحكم فيها جريان النيل أو الرافد وتعدد مناطق الإلتواء فيه. وفي العموم قد استفاد بنو إسرائيل من النيل وخيراته لأنفسهم لا لغيرهم كما كانوا يزرعون ويحصدون لمصلحة فرعون وقومه، وما زال الناس يذكرون بعض أحفادهم الذين جاءوا مرة أخرى مع الإستعمار في عام 1898 مثل أسرة نتينيا هو جد رئيس وزراء دولة إسرائيل حالياً، وما زالت بعض ممتلكات هؤلاء الأحفاد موجودة في منطقة كريمة ومروي حسب إفادة بعض كبار السن لي، فقد قابلت من كان يجاور جد نتينيا هو، وقد ذكر لي ذلك الشخص أنه قد درس مع جد نتينيا هو "الخلوة" لأنَّ المنطقة لم يكن فيها مدارس لتعليم القراءة

<sup>173</sup> التوراة، سفر الخروج الإصحاح الثالث عشر، النص رقم 3  
<sup>174</sup> التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الأول، لصوص 13-14

والكتابة فكان جميع الأطفال بغض النظر عن أديانهم يتعلمون الكتابة في الخلوة<sup>175</sup>. وبالتالي من المنطقي أن تفسر كلمة "الأرض" في هذا السياق بأنها أرض الهجرة في شمال السودان الحالي وليست أرض مصر التي أنقذهم الله منها ومن بعد ذلك دمرها تدميراً، وذلك واضح من قوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾<sup>176</sup>، والتوراة تقول: ﴿لَمَّا يَنْدِمُ الشَّعْبُ إِذَا رَأَوْا حَرْباً وَيَرْجِعُوا إِلَى مِصْرَ﴾<sup>177</sup> ووفقاً للنص القرآني إنَّ سلطان الملك فرعون قد انفرط عقده تماماً، ولمرت ممتلكاته وأثاره، وأنَّ بني إسرائيل الذين فروا من مصر لم يرجعوا إليها ليحكموها، وقد رأينا النص التوراتي ينههم صراحةً عن الرجوع لمصر، فكيف إذن استنتج بعض المفسرين أنَّ المقصود بالأرض المباركة هي مصر الحديثة؟ وهل مصر الحديثة هي كل مصر القديمة؟ وهل يا ترى قد مارس بنو إسرائيل الإستخلاف بجهاز التحكم من على البعد في أرض مُدمَّرة نهاهم الله تعالى في الكتابين من الرجوع إليها والاستفادة منها؟!

وبما أنَّ النصوص والمنطق وحقائق التاريخ قد أكدت أنَّ الإستخلاف لم يحدث في مصر، فالشام أيضاً لا يمكن أن تكون هي مقصود الآية لأنَّ موسى (ع) مات في التيه ولم يدخل الشام أبداً، وقد أكَّد القرآن الكريم في سورة البقرة آية 246 عدم دخوله القدس وعدم مقاتلته للجبابرة وذلك في قوله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ﴾. وسياق آية الإستخلاف يدل على أنَّ الإستخلاف كان لموسى وقومه الأحياء معاً، وليس لقومه من بعده ومن دونه! والإستخلاف بهذا المفهوم لا يمكن أن يكون قد حدث في الشام، لأنَّ الشام لم تكن

<sup>175</sup> الخلوة هي المكان الذي يدرس فيه القرآن الكريم للأصغار فيتعلمون فيها الكتابة ويحفظون

فيها القرآن

<sup>176</sup> القرآن الكريم، سورة الاعراف، آية 137

<sup>177</sup> التوراة، سفر الخروج الإصحاح الثالث عشر، النص رقم 17

داخلة في ملك فرعون حتى تشملها آية الإستخلاف، والدليل على عدم وقوعها تحت سيطرة الملك فرعون هو فرار سيدنا موسى (ع) لمدين هروباً من فرعون وقومه عندما قتل منهم رجلاً قبطياً بالخطأ. فلو كانت مدين داخلية في حكم فرعون لما هرب إليها موسى أصلاً ولما بشره الرجل الصالح بالأمن والأمان في قوله تعالى {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} 178. فلو تأملنا قول الرجل الصالح لموسى (ع): {لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}، لعلمنا أن هذه العبارة بمثابة شهادة ودليل على أن المنطقة التي كان يسكنها كاهن مدين بثرون، ليست جزءاً من مصر أو داخلية تحت سيطرة فرعون وجنوده. فإذن، قد ثبت لنا بنص القرآن الكريم أن الشام ليست داخلية في معادلة الإستخلاف إطلاقاً. وها هو الإمام ابن كثير يصرح بنفس المعنى فيقول: "**{قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}** يقول: طب نفساً، وقر عيناً، فقد خرجت من مملكتهم، فلا حكم لهم في بلادنا، ولهذا قال: **{نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}**" 179

ومن يستدل بدخول بني اسرائيل القدس وتأسيس ملكهم فيها على وقوع الاستخلاف لهم في الشام، نقول له إن ذلك استخلاف سياسي حدث بعد الخروج الثاني بقيادة يوشع بن نون، وقد وقع الإستخلاف الثاني في الأرض التي وصفت بأنها "مقدسة" ولم يقع في الأرض "المباركة"، وكان استخلاف الأرض المقدسة بعد فترة طويلة جداً من حادث الإغراق ووفاة موسى وهارون (عليهما السلام) مع كثير من قومهما في زمان ومكان التيه. وسياق آيات الإغراق يدل دلالة واضحة على أن الإستخلاف الأول قد حدث في الأرض "المباركة" التي هي أرض المهجر التي هي بلاد كوش (السودان حالياً) بعد

178 القرآن الكريم، سورة القصص، آية 25

179 ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، سورة القصص، آية 25

{الْيَسَّ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ}

وليس في شمال السودان عند الحدود المصرية حيث يقع قصره الأول سوى نهز واحد، وفروع نهر النيل عند الدلتا تسمى "فروعاً" و"ترعاً" ولا تسمى "أنهاراً" لأنَّ النهر ما له منبع ومصب ولم تثبت المسوحات الجيولوجية أنهار في مصر ترجع لقبل 7000 سنة، وإنما أثبتت المسوحات وحود أنهار صغيرة في الصحراء الغربية المحاذية للسودان عمرها يتراوح بين 17-50 مليون سنة أي قبل حكم فرعون ومقولاته بملايين السنين. وقد أخطأ المفسرون أيضاً في ذلك حين قالوا هي فروع النيل وترعه التي تُكوّن الدلتا كفرع دمياط وفرع الرشيد التي هي فروع للنيل وليست أنهار منفصلة. والآية تقول إنَّ فرعون قال لقومه: أفلا تبصرون أيُّها القوم هذه الأنهار وما أنا فيه من الملك الكبير والخير الوافر والنعمة المتعددة، وما فيه موسى من الفقر وقلة العدد! فكبر المملكة الذي أشارت إليه الآية قد يصلح دليلاً على أن مسرح الأحداث كان متحركاً، لأنَّ مساحة المملكة قد كانت كبيرة جداً تضم السودان ومصر، وكبر المملكة في بعض الأحيان يدفع الحاكم ليكون له في ملكه أكثر من مقر إداري أو قصر رئاسي يدير منه شئون البلاد.

### نبذة عن دولة كوش

عندما أغرق الله تعالى قوم نوح عليه السلام بالطوفان، ونجا نوح ومن معه من بنيه وغيرهم، توالد الأبناء وكثرت ذريتهم فهاجر أبناء سام بن نوح لقارة آسيا، وهاجر أبناء يافث بن نوح إلى قارة أوروبا، وهاجر أبناء حام بن نوح إلى قارة أفريقيا. ولحام بن نوح ولد يدعى كوش وهو والد النمرود الطاغية المعروف وهو الذي تنسب إليه دولة كوش الأفريقية التي نحن بصدد الكلام عنها. ولقد مرت دولة كوش الأفريقية بخمس مراحل بسطت فيها نفوذها على مدى عشرة قرون على وادي النيل، وذلك من عام 850 ق. م وحتى عام 350

ميلادي، على مساحة تقدر ب 750 ميلاً من سنار وحتى الشلال الأول شمالاً، وكانت حدودها هي مدينة أسوان في جنوب مصر المعاصرة، وكلمة "أسوان" هي كلمة نوبية وهي في الأصل "إسي وان" و"إسي" تعني بلغة النوبة الماء و"وان" تعني الحجر أو الحجارة، وهي ليست مشتقة من كلمة "الأسى" العربية التي تعني "الحزن" كما توهم البعض. وكان الملك في دولة كوش ينتقل من الأخ لأخيه خلافاً للنظام الملكي المصري، وتغير اسم كوش بمرور الزمن وتغيرت معه حدودها عدة مرات، وقد تغيرت أيضاً شخوص الحكام وسياساتهم تبعاً لتغير شخوصهم وأخلاقهم وأديانهم، ولكن الشيء الثابت الذي لم يتغير كثيراً هو المكان، فقد كانت أرض كوش هي نفس أرض السودان الحالي بعد أن فقدت منطقة أسوان وما حولها نهائياً لصالح المصريين في القرن التاسع عشر، ويمكن تقسيم تاريخ الدولة الكوشية للمراحل الآتية:

- **المرحلة الأولى** هي مرحلة تأسيس الدولة الكوشية الأولى التي كانت عاصمتها مدينة قِرْمَة وكان تأسيسها قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام في الفترة ما بين 2400 – 1500 ق. م. وفي هذه الفترة ظهرت كوش كقوة سياسية وحضارية أزعت وهددت من حولها من الممالك فأزحت لها الأسرة الثانية عشر من المملكة المصرية ووصفتها بالدولة الخاسنة وهذا وصف يدل على عداوة مستحكمة بين الدولتين!

- **المرحلة الثانية** هي المرحلة التي اتخذت فيها الدولة الكوشية من مدينة نبتة عاصمة لها لأول مرة وكان ذلك قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام في الفترة ما بين 300- 1000 ق. م.

- **المرحلة الثالثة** هي المرحلة التي اتخذت فيها الدولة الكوشية من مدينة مروي عاصمة لها للمرة الأولى، وكان ذلك قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام في الفترة ما بين 300 ق. م. – 300 ميلادي. وفي هذه الفترة حكم الملك الكوشي بعانخي دولة

4- المملكة المتحدة: وهي المملكة التي اتحدت فيها مملكتا النوبة والمقرة فيما بين عامي 650-710 وصارتا مملكة واحدة وصارت النوبة بهذا الاتحاد قوة مسيحية ضاربة بلغت أوجها في القرن العاشر الميلادي وكانت هي المدافع الأول عن بطريق الإسكندرية.

- المرحلة السابعة: هي المرحلة التي تحولت فيها الدولة الكوشية للإسلام، وقد شهدت هذه المرحلة قيام حلف الفونج والعبدلاب الذي أسس السلطنة الزرقاء التي اتخذت من سنار عاصمة لها (1504-1820م).

- المرحلة الثامنة: هي مرحلة استعمار أرض كوش وفي هذه المرحلة مرت البلاد بالمراحل الآتية:

1- مرحلة الاستعمار العثماني التركي بواسطة والي مصر الحديوي محمد علي باشا الذي كان ضابطاً في الجيش العثماني التركي (1820-1885م).

2- مرحلة تحرير أرض كوش من القبضة العثمانية بواسطة الثورة المهدية (1885-1898م).

3- مرحلة استعمار أرض كوش مرة أخرى بواسطة الإنجليز الذين استخدموا المصريين في إعادة استعمار السودان، وبعد معركة كرري في عام 1898 أشركوهم بصورة محدودة في إدارة البلاد.

- المرحلة التاسعة: مرحلة إبرال العلم الإنجليزي والعثماني (وليس المصري) واستقلال أرض كوش في عام 1956 وتكوين الدولة الحديثة التي اتخذت "السودان" اسماً جديداً يخلف الاسم القديم (كوش)، وفي هذه المرحلة استقر اسم السودان كاسم جديد لأرض كوش وما حلَّ محلها من أسماء الممالك والسلطات الكوشية القديمة. الأسماء الرئيسية التي أطلقت على الرقعة الجغرافية التي قامت عليها مملكة كوش هي الآتي:

كوش: وهو الجد الذي ينتمي له أهل المنطقة آنذاك وعُرفوا به بين الفترة 2400-1500 ق. م

- إثيوبيا: اسم أطلقه الأغريق بين الفترة 32 ق.م - وحتى دخول العرب مصر، وهو يعني عندهم كل الجنس الأسود، وكانوا يشيرون به لهذه المنطقة بالتحديد حتى أصبح علماء لها في كتب التاريخ القديمة.

- النوبة: اسم أطلقه المصريون بين الفترة 299 ق. م - 350 م، وتعني بلاد الذهب.

- السودان: اسم أطلقه الحديوي محمد علي باشا، وتبعه عليه الأتراك والأوروبيون في الفترة الواقعة بين 1820-1899 واستمر حتى هذه اللحظة. والسودان في اللغة يقابل البيصان وهو اسم جنس عام يشمل كل السود وصار علماء لبلادنا.

#### ضعف وتفتت كوش لدويلات كوشية:

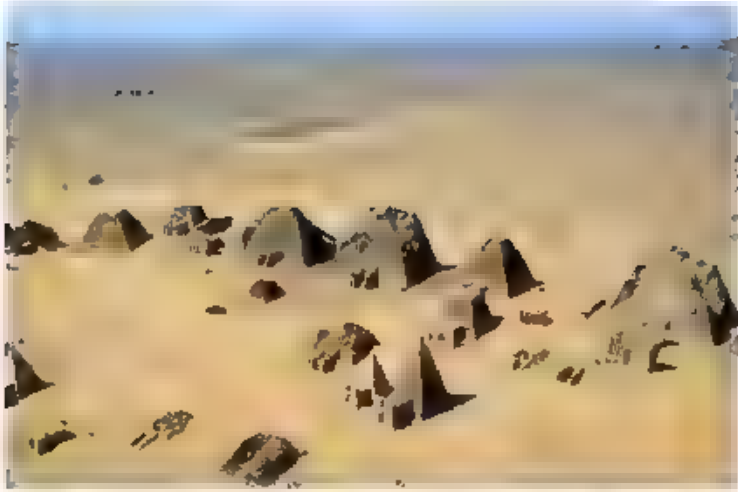
ضعفت كوش القديمة الموحدة في القرن الرابع الميلادي وصارت ممالك كوشية صغيرة تتقاسم الأرض الأم، وبدأت تتزحزح العواصم نحو الجنوب شيئاً فشيئاً حتى وصلت حدودها الجنوبية لمدينة سنار. وتقول بعض المصادر التاريخية أن دولة أكسوم الحبشية بقيادة الملك عيزانة الأكسومي هي التي أسقطت دولة كوش ولكن بعض علماء التاريخ ينفي ذلك ولا يجد عليه دليلاً، وقيل إن آخر ملوك كوش ذُفِنوا في البجراوية بالقرب من مدينة كوشية ومن أولئك الملوك الملكة أماني تيري والملكة أماني شخيئو.<sup>181</sup>

<sup>181</sup> ويكيديا الموسوعة الحرة، قنمة ملوك كوش

AMJID امجد  
NJJAR نجار



## العمارة والمهارة الكوشية:



الإهرامات الكوشية تعددها الكثيف وحجمها الصغير تقف شاهداً على تاريخ وأصالة هذا البلد



نقش فني بارز في المعبد الهرمي لأمتي تن موميده في مروي



فن العمارة في دولة كوش أصيلاً ومتميزاً وهذا في حد ذاته يثبت أصالة وعراقة الحضارة الكوشية ودورها في تقرير مصير وأحداث وادي النيل والمناطق المجاورة لها، وفي الحقيقة قد سبق الكوشيون المصريين في بناء الإهرامات والمعابد وتنقية وصناعة الذهب<sup>182</sup>.

وكلمة "نوبة" في اللغة المصرية القديمة تعني "بلاد الذهب"، فبنى الكوشيون أكثر من 240 هرمًا كمداًفٍ لملوكهم وملكاتهم، وتركوا نقوشاً ومنحوتاتٍ هائلة وكثيرة ومثيرة عكست بيئتهم ومعتقداتهم وحروبهم وعلاقاتهم الخارجية بالدول والحضارات الأخرى التي من حولهم. والجدير بالذكر أن كل ما عُرف عن الحضارة الكوشية تمت معرفته عن طريق الآثار التي اكتشفت حديثاً ومن الوثائق التاريخية المصرية القديمة، وكل ذلك ساعد في تكوين فكرة أوسع عن المجتمع والدولة الكوشية. وهذه الآثار وتلك الإهرامات والمعابد توجد في كلٍ من البجراوية "مروي" والكرو ونوري وجبل البركل وكبوشية وسواحل البحر الأحمر. وقد قام على بناء هذه الأهرامات والآثار مهندسون وفنيون وعمال كوشيون، ولم يثبت عكس ذلك قط. وللأسف قد سرق المستعمرون ومن جاء بهم جميع مقتنيات هذه الإهرامات في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، فقد حفر لصوص الآثار القبور الكوشية وسرقوا ما بها من مجوهرات، كما سرقوا التماثيل التي كانت على رأس الإهرامات الكوشية. والجدير بالذكر أن النقوش التي على جدران الإهرامات تثبت أن القوم كانوا يدفنون ملوكهم وملكاتهم بكامل مجوهراتهم. وهذه الإهرامات تختلف عن الإهرامات المصرية من ناحية الحجم ومن الناحية الهندسية أيضاً، فإن الإهرامات السودانية أكثر عدداً وأقل حجماً، ولكن آثار الحضارة لا تقاس بالحجم بقدر ما تقاس بالكم والأقدمية. وعن الآثار المصرية في منطقة كرمه يقول Walter B. Emery في كتابه: "إن ضرورة التنقيب في منطقة كرمه أمر حيوي لأنني أعتقد أنه يحتمل أنها لم تكن مستعمرة مصرية ولكن ربما كانت عاصمة القوة الكوشية. حقاً، لقد عثر فيها على كميات عديدة من الأدوات المصرية في أطلالها ومقابرها مثل التماثيل والأثاث والخرز والجعارين والأواني الحجرية. ولكن ليس من الجائز أن يكون الكوشيون قد سلبوا هذه الأشياء من أعدائهم

الشماليين؟<sup>183</sup>. إذن هناك تفسير آخر محتمل ومقبول لوجود بعض آثار مصرية في بلاد كوش، ومفاد هذا التفسير هو أن الكوشيين قد سلبوا هذه الأشياء من مصر! وقد مرّ بنا غزو الكوشيين للرومان في صعيد مصر، وفي تقديري الخاص أنّ هناك احتمال آخر هو وصولها لهم عبر التجارة بين البلدين، وليس من الضروري أن يكون وجودها نتيجة استعمار مصري لبلاد كوش كما قال "ولتر إمري" مع عدم نفيه أيضاً.



الحدود الحديثة بين السودان ومصر (الحدود القديمة كانت عند أسوان)

<sup>183</sup> مصر وبلاد النوبة، ص. 160

## هل غرق فرعون في منطقة السبلوقة؟

### الموقع الجغرافي لمنطقة السبلوقة

لقد ذكرت سابقاً في المحور الثامن من هذا الكتاب أنني أعتقد أن مسرح الأحداث كان متحركاً تبعاً لتحرك فرعون في قصوره الرئاسية، ويبدو أنه كان يمتلك أكثر من قصر رئاسي يحكم منه تلك المساحة الضخمة من البلاد. فإذا صححت هذه النظرية فقد تكون لنا دافعاً لتحديد منطقة السبلوق كمطقة مرشحة لغرق فرعون. فقد يكون قصر فرعون الثاني كان عند مقرن النيلين وقام بمطاردة موسى (ع) نحو الشمال فصرّب البحر في منطقة السبلوقة. وتقع منطقة السبلوقة شمال ولاية الخرطوم، وتمتد في الجزء الجنوبي من ولاية نهر النيل بين خطي عرض 16 درجة 12 دقيقة و 16 درجة 24 دقيقة شمالاً، وخطي طول 33 درجة و 33 درجة 36 دقيقة شرقاً. فهي تمتد لمسافة 40 كلم من الجيلي جنوباً حتى ود بانقا شمالاً في شكل بيضاوي. ويوجد في هذه المنطقة صدع جيولوجي على النيل عند الشلال السادس يسمى بصدع "أم حريكة"، وهو صدع يشق النيل عرضاً، وهو الشق الوحيد على طول نهر النيل في كل المنطقة حسب علمي. ومن المثير للإهتمام أن أهل المنطقة يتوارثون معتقداً مفاده أن رجلاً صالحاً قد ضرب البحر في هذه المنطقة فخلقت ضربته هذا الصدع!! فهل يا ترى أن هذا هو المكان الذي ضربه موسى (ع) بعصاه إذ أمره الله تعالى: ﴿.. أَنْ أَسْرِ بِعِيَادي فَأَضْرِبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾<sup>184</sup>. وجاء في التوراة: ﴿ارْفَعْ عَصَاكَ وَابْسُطْ يَدَكَ فَوْقَ الْبَحْرِ وَشَقَّهُ، فَيَجْتَازُ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابَسَةِ﴾<sup>185</sup> وفيها أيضاً: ﴿فصلى موسى بين يدي الرب فقال: مُرْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَظْهِنُوا وَأَنْتَ

<sup>184</sup> القرآن الكريم، سورة طه، آية 77

<sup>185</sup> التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الرابع عشر، لصوص 15 - 20

فأرفع عصاك واضرب ماء البحر، فيسير آل إسرائيل في البحر في  
اليبس<sup>186</sup> ومن سياق الآيات القرآنية والتوراتية نفهم أنَّ أثر  
الضربة قد تجاوز الماء والطين ليحدث طريقاً يبساً تحت الطين،  
وضربة كهذه لا بد من أن تحدث صدعاً في الأرض. وبالطبع لا  
نستطيع أن نجزم في القول حتى بشمر علماء الآثار السودانيون عن  
ساعد الجد ويقودوا حملة تنقيب تحت ماء النيل في هذا المكان أو  
غيره للبحث عن آثار جنود فرعون، فإن ثبت بالدليل المادي أنَّ  
فرعون قد غرق فعلاً في هذا المكان أو في غيره على طول النيل  
فحينها يكون لنا شرف السبق بالإشارة للموضع، وسيتغير التاريخ لا  
محالة وسينقلب رأساً على عقب، وسيكون للسودان شأناً آخر بين  
الأمم.



<sup>186</sup> التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الرابع عشر،



خريطة توضح مواقع الشلالات على النيل، ويظهر فيها الشلال السادس وهو شلال السبلوقة وهو أول شلال بعد اقتران النيل الأزرق بالنيل الأبيض، ويوجد في هذا الشلال صدع جيولوجي على عرض النيل يسمى صدع ام جريكة.

### علاقة كوش بمصر

من المؤكد تاريخياً أن دولة كوش حكمت كل منطقة مصر العالية حتى الإسكندرية لأكثر من قرن، وأثرت في المجتمع المصري كثيراً وتأثرت به أيضاً. وأول من حكم مصر وكوش معاً

من الملوك الكوشيين حسب كتب التاريخ هو الملك "شباكة" أو "شباكو" في عام 750 ق.م تقريباً. ثم تبعه في حكم مصر وكوش معاً كل من الملك ترهاقا الذي حارب الآشوريين فهزموه وطردوه من مصر فرجع أدباره يحكم كوش وحدها، وكان ذلك في القرن السابع قبل الميلاد. وعندما تحررت مصر من الهكسوس الأجانب في عام 1575 ق.م تقريباً، أصبحت مصر دولة قوية طمعت في أرض كوش فغزتها بالفعل طمعاً في خيراتها وانتقاماً منها لتعاونها مع ملوك الهكسوس الآسيويين الذين استعمروا مصر في عام 1720 ق.م تقريباً. وقد وصل التوسع المصري داخل حدود كوش حتى مدينة أبو حمد عند منحنى النيل، وقد رحعت للكوشيين حدودهم عندما ضعفت مصر للمرة الرابعة مع بداية الأسرة الحادية والعشرين وكان ذلك في عام 1050 ق.م. تقريباً. ولم يستطع المصريون تجاوز هذه المنطقة نحو الجنوب مرة ثانية أبداً في تاريخهم إلا في عهد الخديوى الألباني محمد علي باشا الذي أسقط الدولة السنارية نيابة عن الخلافة العثمانية في عام 1821م، وقد كان سقوط دولة سنار (أو دولة الفونج) أمراً متوقعاً لأنها كانت تعاني من الشيخوخة والانقسامات فأصبحت فريسة سهلة للخديوي الألباني الجنسية الذي كان والياً على مصر نيابة عن تركيا العثمانية، وقد قام الرجل بتأسيس جيش حديث جلب له أحدث الأسلحة الأوروبية وهاجم به السودان طمعاً في ذهبه وخيراته وتجنيده رجاله الأشاوس في جيشه الحديث.

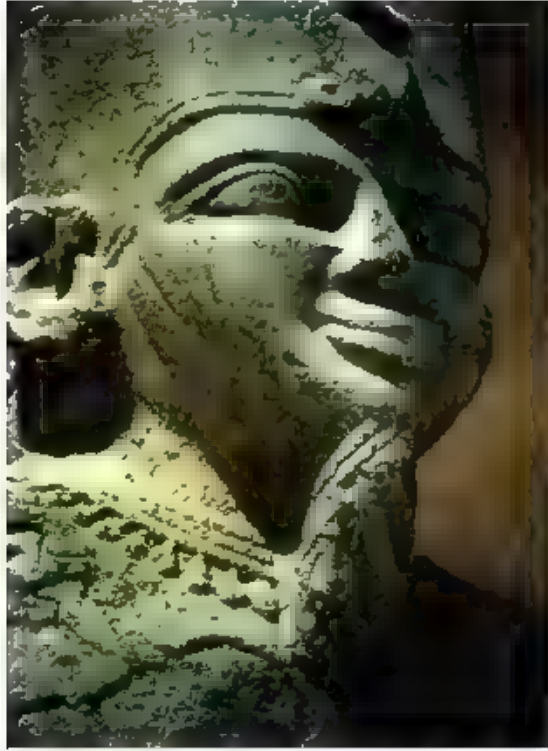
في عام 750 ق.م ظهرت القوة الكوشية الثانية بقيادة الملك "كاشتا" الذي حكم كوش ومصر معاً لأول مرة في التاريخ من عاصمته "نبته" في منطقة جبل البركل، وتبعه خليفته "بعانخي" الذي بدأت به الأسرة الخامسة والعشرون في تاريخ مصر وهي أسرة كوشية سودانية وليست أسرة مصرية ولذلك ذكر المؤرخ "مانيتون" أن الأسرة الخامسة والعشرين هي أسرة "اثيوبية" من

مدينة نبتة Napata التي أسسها الملك الكوشي كاشتا بالقرب من الشلال الرابع واصبحت فيما بعد مدينة دينية تقام فيها الشعائر الرسمية للإله آمون. وظهرت كوش التي عاصمتها نبتة في هذه المرحلة كقوة ضاربة يحسب لها ألف حساب، وكانت تجاورها من الجنوب مملكة مروي الكوشية. وحكمت هذه الأسرة كل من كوش ومصر لمدة نصف قرن تقريباً وأصبح لكل الأرض الممتدة من الأسكندرية إلى سنار ملكاً واحداً أصله كوشي يضع زوجاً من حية الكوبرا في مقدمة تاجه. وهذه الكوبرا لا شك أنها تشير لمعتقد في المنطقة قد يفسر سر تحول عصا موسى (ع) لثعبان بدلاً من أسد أو أي حيوان آخر مفترس.. ولقد ذكر بعض المؤرخين أن حدود دولة الملك الكوشي بعانخي شملت مصر وسوريا وفلسطين ولبنان وخاض حروباً طاحنة مع الرومان في تلك المناطق. وفي مصر بدأت الحروب بين الكوشيين والمصريين واشتدت في زمن الأسرة المصرية السادسة والعشرين المعروفة بالصاويين تحديداً وقام الملك الصاوي "بسماتيك" بطرد الكوشيين إلى جنوب مدينة أسوان وكان ذلك في عام 656 ق.م. وهكذا فقدت كوش منطقة أسوان وما حولها إلى يومنا هذا.

## المحور التاسع: دلالة قصة زواج سيدنا موسى من المرأة الكوشية

ذكرت التوراة أن سيدنا موسى عليه السلام بعد خروجه من مصر تزوج من بلاد كوش، من أسرة لا تنتمي لبني إسرائيل. ووفقاً للذين كتبوا التوراة أن هذا الزواج قد أثار احتجاجاً في أسرة سيدنا موسى (ع) - وأنا أشك في ذلك الاحتجاج لأن أهله يعلمون أنه رسول معصوم، ولا يمكن ولا يجوز لهم أن يعترضوا على قراراته في فعل أمر حلال، وعلى كل فقد ذكرت التوراة أن هارون ومريم قد احتجا على هذا الزواج. {وَتَكَلَّمْتُ مَرِيَمَ وَهَارُونَ عَلَى مُوسَى بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ الْكُوشِيَّةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ اتَّخَذَ امْرَأَةً كُوشِيَّةً. فَقَالَا: هَلْ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَخَذَهُ؟ أَلَمْ يَكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضًا؟ فَسَمِعَ الرَّبُّ. وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ خَلِيماً جِداً أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. فَقَالَ الرَّبُّ خَالاً لِمُوسَى وَهَارُونَ وَمَرِيَمَ: اخْرُجُوا أَنْتُمْ الثَّلَاثَةُ إِلَى خِيْمَةِ الْاجْتِمَاعِ} <sup>187</sup>. {فَخَرَجُوا هُمُ الثَّلَاثَةُ. فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي عَمُودٍ سَحَابٍ وَوَقَفَ فِي بَابِ الْخِيْمَةِ، وَدَعَا هَارُونَ وَمَرِيَمَ فَخَرَجَا كِلَاهُمَا. فَقَالَ: اسْمَعَا كَلَامِي. إِنْ كَانَ مِنْكُمْ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ، فَيُتَرَوِّدَانِ أَسْتَعْلِيَنَّ لَهُ. فِي الْخَطْمِ أَكَلِمُهُ. وَأَمَّا عَبْدِي مُوسَى فَلَيْسَ هَكَذَا، بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِي كُلِّ بَيْتِي. فَمَا إِلَى فِيمَ وَعَيَانًا أَتَكَلِّمُ مَعَهُ، لَا بِالْأَلْفَاظِ. وَشِبْهَ الرَّبِّ يُعَايَنُ. فَلِمَاذَا لَا تَخْشِيَانِ أَنْ تَتَكَلَّمَا عَلَى عَبْدِي مُوسَى؟ فَحَمَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْهِمَا وَمَضَى. فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الْخِيْمَةِ إِذَا مَرِيَمُ بَرِصَاءٌ كَالثَّلَاجِ. فَالْتَفَتَ هَارُونَ إِلَى مَرِيَمَ وَإِذَا هِيَ بَرِصَاءٌ. فَقَالَ هَارُونَ لِمُوسَى: أَسْأَلُكَ يَا سَيِّدِي، لَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا الْخَطِيئَةَ الَّتِي حَقَّقْنَا وَأَخْطَأْنَا بِهَا. فَلَا تَكُنْ كَالْمَيِّتِ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ رَحِمِ أُمِّهِ قَدْ أَكَلَ نَصْفَ لَحْمِهِ. فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ

<sup>187</sup> التوراة، سفر العدد، الإصحاح الثاني عشر، النص رقم 4



تمثال يقال إنه نتاكاماني يمثل أحد ملوك دولة مروي



الملك نهرافا أو طهارقة في المتحف البريطاني وهناك من يظن أنه هو  
فرعون موسى لأنه حكم بلاد الأنهار وامتد حكمه حتى البحر الأبيض المتوسط



قلادة من الذهب كتب عليها بالهيروغليفية تعكس تطور صناعة الذهب في  
كوش.

وبالرجوع لمقالة فرعون أعلاه، سنجد أن الحقيقة الجغرافية  
تقول إن مصر الحالية ليس فيها سوى نهر واحد يأتيها منحدرًا من  
جهة الجبل المقدس المسمى بالبركل، من حدودها الجنوبية حيث  
تكثر الأنهار والوديان والخيران والعيون، والروافد المائية العديدة

الضَّفَادِعَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ<sup>196</sup>. ولا شك أن الأسماء قد تغيرت ولكن هذه المحاري المائية تحري من قديم الزمان لم تتغير كثيراً، وفي الحفيرة من يرى أنهار السودان وأوديته وخيرانه تجري ويمشي على ضفافها وجوانبها يشعر بأنه يمشي على ضفاف ذهب مُذاب وثروة عظيمة! وقد ورد في التوراة: [أن شعب كوش الذي تشق الأنهار أرضه يثير الرعب في العالم ويعتلي جبل صهيون]<sup>197</sup>

وقوله: [يا أرض خفيف الأجنحة التي عبر أنهار كوش المرسلة رسلاً في البحر وفي قوارب من البردي على وجه المياه. أذهبوا أيها الرسل السريعون إلى أمة طويلة جرداء إلى شعب مخوف مذ كان فصاعداً أمة قوة وشدة ودوس قد خرقت الأنهار أرضها. يا جميع سكان المسكونة وقاطني الأرض، عندما ترتفع الراية على الجبال تنظرون، وعندما يضرب البوق تسمعون، لأنه هكذا قال لي الرب، أني أهدأ وانظر في مسكني كالحر الصافي على البقل. كغيم الندى في حر الحصاد. فإنه قبل الحصاد عند تمام الزهر وعندما يصير الزهر جصراً نضجاً، يقطع القضببان بالمناجل ويزرع الأفنان ويطرها. تترك معاً لجوارح الجبال ولوحوش الأرض، فتصيف عليها الجوارح وتشتهي عليها وحوش الأرض. في ذلك اليوم تقدم هدية لرب الجنود من شعب طويل أجرد وشعب مخوف منذ كان فصاعداً، من أمة ذات قوة وشدة ودوس، قد خرقت الأنهار أرضها، إلى موضع اسم رب الجنود جبل صهيون]<sup>198</sup>

ولغرض التحقق من مقالة فرعون نذكر كثرة وعظمة الأنهار والخيرات التي افتخر بها أمام سيدنا موسى عليه السلام، ومن تلك الخيرات والألاء الربانية التي حبا الله تعالى بها السودان هي الآتي:

196 التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الثامن، النص رقم 5

197 التوراة، سفر أشعيا، اصحاح الثامن عشر، النص رقم 7

198 التوراة، سفر أشعيا، الإصحاح الثامن عشر، النص رقم 7

### الأنهار الدائمة والموسمية في أرض كوش:

- 1- النيل العظيم ويمتد من توتي وحتى الحدود الشمالية لمصر.
- 2- النيل الأزرق من الحدود الحبشية وحتى الخرطوم.
- 3- النيل الأبيض من حدود جنوب السودان وحتى الخرطوم.
- 4- الأتبراوي من الحدود الحبشية وحتى عطبرة.
- 5- نهر السوبات في ولاية النيل الأبيض.
- 6- نهر ستيت في ولاية كسلا.
- 7- نهر الرهد في ولاية سنار.
- 8- نهر الدندر في ولاية سنار.
- 9- خور طوكر في ولاية البحر الأحمر (موسمي)
- 10- بحر الباسلام
- 11- نهر ديديسيا الذي يغذي النيل الأزرق
- 12- نهر دابوس الذي يغذي النيل الأزرق
- 13- نهر القاش في ولاية كسلا.
- 14- نهر عديرة
- 15- بحر العرب في الحدود مع دولة الجنوب

### الأودية الجافة:

تتجمع في هذه المجاري الموسمية وفي أودية السهول الوسطى من أرض كوش وعددها أكثر من ستين وادياً وكميتها السنوية من المياه حوالي 6.7 مليار متر مكعب ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الأودية الآتية.

- 1- وادي المقدم ويصب في النيل
- 2- وادي الملك ويصب في النيل
- 3- وادي هور في ولاية غرب دارفور وكان قديماً يصب في نهر النيل
- 4- وادي أزوم في دارفور

- 5- وادي السليك
- 6- وادي أبو جداد
- 7- وادي السفاي
- 8- وادي الميجا

الخيران التي تحمل مياه السيول للنيل العظيم في الخريف  
وعدها لا يحصى ونذكر منها للمثال لا الحصر الخيران الآتية:

- 1- خور العروس في ولاية نهر النيل
- 2- خور العوتيب في ولاية نهر النيل
- 3- خور عمر في امدرمان
- 4- خور ابو عنجة في امدرمان
- 5- خور شمبات في أم درمان
- 6- خور ويندي في ولاية البحر الأحمر
- 7- خور لانقيب في ولاية البحر الأحمر
- 8- خور قرقر بكسلا
- 9- خور ممان بكسلا
- 10- خور عرب في ولاية البحر الأحمر
- 11- خور أربعاء في ولاية البحر الأحمر
- 12- خور كاورة بدارفور
- 13- خور سرف غمرة بدارفور
- 14- خور الرويان بالبطانة
- 15- خور العطشان بالبطانة
- 16- خور الصفية بالبطانة
- 17- خور ابو حبل في ولاية دارفور
- 18- خور بركة في ولاية البحر الأحمر

قديمًا)، فإنها تتسع اتساعًا كبيرًا جنوب عطبرة لتشمل أرض البطانة الواقعة بين نهر عطبرة ونهر النيل والنيل الأزرق، وكذلك أرض الجزيرة بين النيلين الأزرق والأبيض، وغرب نهر النيل والنيل الأبيض. وتعد أرض البطانة مركز النقل لكوش، فقد اشتهرت في كتب اليونان والرومان المعاصرة للفترة المروية لكوش باسم "جزيرة مروى" ذلك لأن إحاطتها بالأنهار المذكورة من ثلاث جهات جعلت منها شبه جزيرة، وفُرنَت البطانة بمروى لوقوع مدينة مروى عاصمة كوش آنذاك على الضفة الشرقية لنهر النيل على بعد نحو 140 كم شمال الخرطوم. هذا ملخص للخيرات التي افتخر بها فرعون على موسى عليه السلام.

هل وعد الله تعالى بحفظ جثة فرعون إلى يوم

القيامة؟





صورة لمومياء رمسيس الثاني المتهم بأنه فرعون موسى بسبب وجود ملح في جثته!

بالرغم من رفض كثير من علماء الآثار في مصر وحارجها فكرة أن رمسيس الثاني هو فرعون موسى إلا أن هناك كثير من الرأسماليين المستثمرين في مجال السياحة يصرون ويروجون لمقولة العالم الفرنسي موريس بوكاي الذي قام بفحص وترميم جثة رمسيس الثاني ومعالجة أثر التعفن فيها في فرنسا عام 1970. فقد ادعى بوكاي وأشاع في الإعلام الغربي أن فرعون موسى هو رمسيس الثاني! وقال إن سبب اعتقاده ذلك هو اكتشاف نسبة عالية من الملح في جثته مما يثبت أن الرجل قد مات عرقاً مع أن نتيجة الفحص المعملية قد نفت ذلك تماماً! ويستكمل بوكاي كلامه المضحك العجيب فيقول: إنه قد أصيب بصدمة شديدة عندما علم أن القرآن الكريم قد تحدث عن امر غرق فرعون في البحر الأحمر وأن الله قد اخرج جسم فرعون لكي يكون اية لمن بعده! وتستمر القصة الساذجة السخيفة لتقول إن بوكاي قد اسلم في نهاية الامر نتيجة هذا الإكتشاف! وهذه كلها خرافات وأكاذيب لا أساس لها ولا اعتقد أن قصة الغرق التي حكاها سفر الخروج في الإصحاح الرابع

عشر في الآيات 126-131 كانت خافية على بوكاي.. فالرجل كان طبيباً فرنسياً يهودياً وكان جزءاً من مؤامرة كشفها د. مصطفى محمود وآخرون في برامج تلفزيونية ما زالت محفوظة على "اليوتيوب" على شبكة الإنترنت فاليرجع إليها من يطلب الإستزادة في أمر هذا الرجل المريب وقصته. (أبحث في اليوتيوب عن هذا العنوان "موريس بوكاي وقصة إسلامه الخرافية/خرافات وأكاذيب") والمؤامرة ببساطة تهدف لربط بني إسرائيل برمسيس الثاني ليتمكنوا من إقناع العالم أنهم هم الذين بنوا الهرم الأكبر وغيره من الآثار بتسخير واضطهاد من رمسيس الثاني الذي هو فرعون موسى حسب زعم بوكاي. ولو كان القوم بالفعل بناء حضارة لتركوا أثراً واحداً في الأرض المقدسة وما حولها بعد أن حكموها 70 عاماً.. ورمسيس الثاني لم يثبت أنه مات غرقاً واسمه رمسيس وليس فرعون. ولو حلل موريس بوكاي عدداً من الموميات الأخر فسيجد نفس الكمية من الملح بنفس النسبة لأنها ببساطة جزء من مكون الحنوط الذي حنطت به تلك الجثث فهل ماتوا كلهم غرقاً؟!.

إننا في الواقع المعاش نحمل في أذهاننا كثيراً من الأوهام ونبنى عليها كثيراً من الأحكام على أرض الواقع، وعندما نعرض ما نحمل من مسلمات على كتاب الله تعالى نتبين لنا هشاشة وحقيقة تلك المسلمات فتصبح هباءً منثوراً. عندما أدرك فرعون الغرق وقال: {آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ يَتَوَّأ إِسْرَائِيلُ} قال له الله تعالى {الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} 199.

اتفق المفسرون جميعاً على أن سبب إنقاذ فرعون بجسده بعد غرقه في نهر النيل "النيم" ليكون آية لقومه الذين لم يشملهم الغرق، أو ليكون تأكيداً لغرقه لمن شك في غرقه من بني إسرائيل. بمعنى

أَنَّ الله جعل جثته دليلاً على هلاكه، فأخرجه لهم آيةً ليُشاهدوه ميتاً ويشهدوا بأنفسهم على عزه وذله وكذبه من بعد كل تلك العظمة التي كان يدعيها ويرونها في سلوكه وجبروته. ومن الملاحظ أن الله لم يقل: {نُنَجِّيك} فقط وذلك حتى لا يتوهم الناس أنه لم يغرق، وإنما قال {نُنَجِّيك ببذنك}، والمعنى ننجي بدنك من هجمة الأسماك والتماسيح وتلاطم الأمواج العنيفة التي تجر الجثة للأسفل وغيرها من العوامل المؤثرة، ونلفظ بدنك في العراء سالماً لتكون آية لقومك من جهة، وأيضاً آية لقوم موسى على قدرة الله تعالى فيك وفي الطغاة من أمثالك.

وهنا نسجل ملاحظة مهمة وهي أَنَّ الله تعالى قال: {لَمَنْ خَلَّفَكَ آية} ولم يقل {للعالمين آية} ولا {للناس آية} ولا {للمن بعدك آية} ولا {لَمَنْ خَلَّفَكَ آية}، وإنما قال لمن خَلَّفَكَ (بسكون اللام)، والخلف في اللغة هو الورا، والخلف (بفتح اللام) هو الذي يأتي بعد السلف (أي الأموات). ومعنى الآية نجعلك آية لمن تركتهم وراء ظهرهم أحياء من قومك الذين لم يشملهم العرق لتكون آية لهم أنك لست ربهم الأعلى، فربهم الأعلى الذي هو أغرقك وجُنْدُكَ.

والآية كما هو واضح كانت آية مشاهدة لقوم فرعون الذين أطاعوه، وآية سماع لحكام مصر الذين يأتون من بعده، فبعد هلاك فرعون أراد الله تعالى أن يرسل رسالة تحذيرية واضحة لقومه ولقوم موسى على السواء لعلهم يهتدون. وليس في الآية أي نوع من الرحمة بفرعون بل فيها مزيد من الإهانة له باظهار ضعفه وكذبه على قومه. ولا توجد في الآية أي إشارة لحفظ جسده إلى يوم القيامة ليكون عبرة للعالمين كما شاع بين عامة الناس. فقد حفظ الله تعالى بدنه لفترة قليلة من الزمن حتى يتأكد قومه الذين تركهم خلفه أنه هو، وبعد أن تأكدوا من شخصه دفنوه ولا أحد يدري يقيناً أين قبر فرعون، ولا أحد يدري هل تم تحنيطه أم دفن من غير تحنيط! وفي الحقيقة مسألة تحنيطه مشكوك فيها بشدة لأنَّ العرق يفسد جلد

الإنسان وبطنه وبالتالي تصبح قابليته للتحنيط معدومة أو ضعيفة من الاحياء العلمية حتى ولو وُجد سالم الأعضاء. وإذا افترضنا حداً أن فرعون عرق في البحر الأحمر ووجد جسده على ساحل البحر فهل تم نقله من ساحل البحر لمنطقته الأصل ليتم تحنيطه أم حنط في مكانه وقد أخذوا معهم حنوطهم كنوع من الجاهزية؟! وهل يعقل أن تنقل جثة غريق غير محنطة من ساحل البحر لضفاف النيل ليتم تحنيطها هناك من غير أن يصيبها التعفن في الطريق؟ وإذا كان الكل يحنط وتحفظ جثته فأين المعجزة إذن وقد تساوى الجميع في الحفظ؟

في الحقيقة لا أحد يعلم يقيناً متى بدأت فكرة التحنيط أصلاً، هل بدأت قبل فرعون أم جاءت بعده؟ والمنطق يقول إذا كانت الفكرة موجودة ومعروفة في المنطقة فقد مات سيدنا موسى (ع) بعد أربعين سنة من حادثة الغرق، فلماذا لم يحنطه اليهود وهو نبيهم الأعظم وقد مات بين أيديهم؟ ولماذا لم يحنطوا أي نبي من أنبيائهم أو عظيم من عظمائهم؟ فإذا كانت فكرة التحنيط نفسها مكان نظري ومراجعة، فمن المرجح أن فكرة التحنيط قد ظهرت بعد هلاك فرعون الذي جعله الله تعالى آية لقومه خاصة عن طريق المعاينة واية للأمم اللاحقة إلى يوم القيامة عن طريق السماع واختفاء الملوك والأثر.

والمنطق يقول لو أن الله تعالى أراد أن يجعله آية لكل الخلق إلى يوم الدين لجعله معروفاً لا خلاف عليه، لأن الآية هي العلامة الواضحة التي لا خلاف عليها، وإن كان لا خلاف عليه لرائته الأمم السابقة من قبلنا وعلى رأسهم الأنبياء والرسل، ولكتب عنه الكتاب وعلماء التاريخ من جميع الأمم. ولكن الأمم السابقة لم تراه، وأقرب نبي لعصره هو عيسى عليه السلام لم يره، فحق لنا أن نشك في هذه "المومياءات" الكثيرة المحنطة التي يدعي المصريون أن إحداها هي فرعون الطاغية ويتكسبون من ورائه مليارات الدولارات كل عام!!



لوظيفة، وعلى الباحثين الآخرين المتخصصين في علم اللغات إثبات الأصل اللغوي لهذا الاسم.

ويمكن للفارئ الكريم أن يراجع مقال الدكتور عمرو عبد العزيز منير في الملاحق ففيه من المعلومات ما يكفي لدحض فرية أن فرعون كان مصرياً. وفي الحقيقة حتى الذين قالوا بمصريته وقالوا إن "فرعون" لقب لملوك مصر القدماء وليس اسماً لشخص بعينه، تخطبوا في القول وانحصر كلامهم في خمس شخصيات يظنون أن فرعون واحداً منها، والتحقيق يقول ليس من هذه الشخصيات شخصية واحدة تنطبق عليها صفات فرعون السلوكية والأخلاقية والأسرية، وليس من بين هذه الشخصيات الخمس ولا غيرها من وجدت الدراسات الحفرية أن اسمه وجد مسبقاً بكلمة "فرعون" كدلالة على التعظيم، وتوصيف لوظيفته حتى نفتنع بأن كلمة "فرعون" هي توصيفاً لوظيفة ولقباً ملكياً وليس اسماً لعلم بعينه. والشخصيات الخمس التي سوّقها المصريون للعالم هي:

1- أحمس الأول: وقد تزوج أحمس الأول من الملكة أحمس- نفرتاتي والتي ألهاها وعندها المصريون القدماء حسب معتقداتهم. وزوجة فرعون آسيا التي ذكرها القرآن لم تكن تُعبد بل كانت من عباد الله الصالحين الذين يعبدون الله وحده، وبالتالي لا يمكن أن يكون أحمس الأول هو فرعون لأن زوجته ليست هي آسيا. وبالإضافة لذلك فقد لعبت نفرتاتي دوراً بارزاً في المعركة التي انتهت بطرد الغزاة الهكسوس من مصر وكانت أول امرأة في التاريخ تتقلد منصب قيادة فرقة عسكرية كاملة، وقاتلت بكفاءة شديدة حسب ما ذكر المؤرخون، وكل هذه الصفات ليست صفات زوجة فرعون التي ذكرها القرآن الكريم. فالسيدة آسيا رضي الله عنها لم تكن ملكة، ولم تكن الها يُعبد، ولم يُعرف عنها أنها قادت الجيوش وخاضت الحروب، ولهذا لا يمكن أن يكون زوجها أحمس الأول هو فرعون. وفي خبر آسيا يقول ابن الأثير في الكامل في التاريخ "

وكانت آسية امرأة فرعون من بني إسرائيل، وقيل: كانت من غيرهم، وكانت مؤمنة تكتم إيمانها، فلما قُتلت الماشطة رأت آسية الملائكة تعرج بروحها، كشف الله عن بصيرتها، وكانت تنظر إليها (إلى الملائكة) وهي (أي آسية) تُعذب، فلما رأت الملائكة قوي إيمانها وازدادت يقيناً وتصديقاً لموسى، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها فرعون فأخبرها خبر الماشطة. قالت له آسية: الويل لك! ما أجراك على الله، فقال لها: لعلك اعتراك الجنون الذي اعتري الماشطة؟ فقالت: ما بي جنون، ولكني أمنت بالله تعالى ربي وربك ورب العالمين. فدعا فرعون أمها، وقال لها: إن ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة فأقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله موسى. فخلت بها أمها، وأرادتها على موافقة فرعون، فأبت وقالت: أما أن أكفر بالله فلا والله! فأمر فرعون حتى مدت بين يديه أربعة أوتاد وعذبت حتى ماتت، فلما عاينت الموت قالت: {رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين} . فكشف الله عن بصيرتها فראت الملائكة وما أعد لها من الكرامة، فضحكت فقال فرعون: انظروا إلى الجنون الذي بها! تضحك وهي في العذاب! ثم ماتت" (ح 1: ص 162).

2- تحتّمس الثاني: وزوجته هي الملكة حتشبوت التي مارست الحكم فعلاً وكما ذكرنا سابقاً أنّ آسية زوجة فرعون لم تكن ملكة وبالتالي لا يمكن أن يكون تحتّمس الثاني هو فرعون.

3- تحتّمس الثالث: فقد عرف هذا الفرعون بالذات بالتواضع وحسن الحلق خلافاً لفرعون موسى الطاغية المتجبر وبالتالي لا يمكن أن يكون تحتّمس الثالث هو فرعون موسى لأنه لم يقل أنا ربكم الأعلى ولم يكن جباراً في الأرض. قال تعالى يصف تجبر فرعون وأخلاقه: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِيعُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَذَّيْحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ

الْمُفْسِدِينَ»، فهل تحتمس الثالث الذي عرف بحسن الخلق هو  
فرعون الذي وصفته الآية بسوء الخلق؟!!!

4- توت عنخ آمون: كانت فترة حكمه قصيرة (10 سنوات)  
وكان توت عنخ آمون يؤمن برب السموات والأرض، وقد مات  
بالمalaria أو بسبب كسر وهو في عز شبابه لم يبلغ العشرين من  
العمر<sup>202</sup>، وعليه لا يمكن أن يكون هو فرعون موسى لسببين:  
أولهما هو أنّ موسى (ع) خرج من مصر لمدين لمدة عشرة سنوات  
وهو ابن أربعين عاماً، وكان فرعون حاكماً قبل ولادة موسى وبعده  
فإذن كانت فترة حكمه طويلة جداً. ثانياً، كان فرعون موسى كافراً  
برب السموات والأرض وأمر هامان أن يبني له صرحاً ليطلع على  
إله موسى فنادى: {يا هامان أبني لي صرحاً لأطلع على إله موسى}.

5- رمسيس الثاني: هو أهم وأقوى ملوك مصر وأكثر ملك قام  
ببناء عدد كبير من الإهرامات والآثار، وأثاره ما زالت باقية إلى  
يومنا هذا، وبالتالي لا يمكن أن يكون هو فرعون لعدة أسباب أولها  
الإسم، فالرجل اسمه رمسيس وليس فرعون، وثانياً إنّ الله تعالى  
ذكر في محكم تنزيله أنّه دمر آثار فرعون موسى وأثار رمسيس ما  
زالت باقية. ثالثاً لقد فُحصت موميا رمسيس الثاني في الثمانينات  
من القرن العشرين بفرنسا وثبت علمياً أنه لم يمّت غرقاً، رابعاً  
لرمسيس من الزوجات الكثير والمشهورة منهم نفرتاري وسيرتها  
بعيدة كل البعد عن سيرة أسيا عليها السلام وبالتالي لا يمكن أن  
يكون هو المقصود. خامساً، لرمسيس من الأبناء الكثير وليس  
لفرعون ابن كما ذكر القرآن الكريم. سادساً، لم تثبت الحفريات أن  
اسمه وجد مسبقاً بكلمة "فرعون" حتى نفتنع أنه فرعون موسى.

وخلاصة القول: كيف يعقل أن نقول إنّ الله تعالى أراد لجسد  
فرعون أن يكون آية للعالمين والناس غير متأكدين من شخصه  
أصلاً؟ وكيف يكون جسد الرجل آية للعالمين وجزء كبير من هؤلاء

العالمين قد قضى نحبهم ولم يروه رأي العين، وبالتالي لم يقفوا على تلك الآية التي تستهدفهم في الأساس؟ وبالرغم من رفض كثير من علماء الآثار في مصر وغيرها بالاعتراف بأن رمسيس الثاني هو فرعون الا ان هناك من يحاول تسويقه كما ذكرنا لمكاسب مادية بحتة، وحجتهم المضحكة هي أن مومياء رمسيس الثاني قد وُجد عليها آثار ملح مما يدل في ظنهم- على غرقه في البحر الأحمر ونسوا أن القرآن قال صراحة أنه أغرق في "اليم" أي نهر النيل حيث المياه العذبة، كما نسوا أن الملح هو أحد المواد التي يتم بها التحنيط ومادة الملح جزء من نبات العطرون الذي يستخدم كمادة أساسية في التحنيط.

للأسف لقد بيع لنا الترام في وسط الزحام واشتريناه بكل غباء! وحتى يطمئن قلب القاريء لما نقول، نسرد إليه بعض أقوال المفسرين الذين سبقوا اكتشاف جثث الفراعنة ليتفحصها جيداً ليخرج لنا قول مفسر واحد يقول في تفسيره إن الله حفظ جسد فرعون إلى يوم القيامة! وها هي تفاسيرهم لمعنى قوله تعالى: {لَتَكُونْ لِمَنْ خَلَقَ آيَةٌ} وتفسيرهم لمقصود كلمة "آية" وقالوا إنها آية سماع للأمم اللاحقة وآية مشاهدة لقومه ولمن حضر لحظة الغرق.

#### تفسير الفترة الزمنية التي سبقت اكتشاف المومياءات:

- قال الامام الطبري: "حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: {لَتَكُونْ لِمَنْ خَلَقَ آيَةٌ} قال: لما أغرق الله فرعون لم تصدق طائفة من الناس بذلك، فأحرجه الله آية وعظة."

- قال الإمام البيضاوي: "{لَتَكُونْ لِمَنْ خَلَقَ آيَةٌ} لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عطمنه ما خيل إليهم أنه لا يهلك، حتى كذبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطرحاً على ممرهم من الساحل، أو لمن يأتي

قال الإمام الرازي: " وأما قوله: {لَتَكُونُ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً} ففيه وجوه: الأول: أن قوماً ممن اعتقدوا فيه الإلهية لما لم يشاهدوا غرقه كذبوا بذلك وزعموا أن مثله لا يموت، فأظهر الله تعالى أمره بأن أخرجه من الماء بصورته حتى شاهدوه وزالت الشبهة عن قلوبهم. وقيل كان مطرحه على ممر بني إسرائيل. الثاني: لا يبعد أنه تعالى أراد أن يشاهده الحلق على ذلك الذل والمهانة بعد ما سمعوا منه قوله {أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى}، (لنازعات: 24) ليكون ذلك زجراً للخلق عن مثل طريقته، ويعرفوا أنه كان بالأمس في نهاية الجلالة والعظمة ثم آل أمره إلى ما يرون. الثالث: قرأ بعضهم {لِمَنْ خَلَقَكَ} بالقاف أي لتكون لخالقك آية كسائر آياته. الرابع: أنه تعالى لما أغرقه مع جميع قومه ثم إنه تعالى ما أخرج أحداً منهم من قعر البحر، بل خصه بالإخراج كان تخصيصه بهذه الحالة العجيبة دالاً على كمال قدرة الله تعالى وعلى صدق موسى عليه السلام في دعوى النبوة."

- قال الإمام الألوسي: "{لَتَكُونُ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً} أي لتكون لمن يأتي بعدك من الأمم إذا سمعوا حال أمرك ممن شاهد حالك وما عراك عبرة وبكالاً من الطغيان أو حجة تدلهم على أن الإنسان وإن بلغ الغاية القصوى من عظم الشأن وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الألوهية والربوبية، وقيل: المراد بمن خلفه من بقي بعده من بني إسرائيل فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الألوهية والربوبية، وقيل: المراد بمن حلفه من بقي بعده من بني إسرائيل أي لتكون لهم علامة على صدق موسى عليه السلام إذ كان في نفوسهم من عظمتهم ما خيل إليهم أنه لا يهلك فكذبوا لذلك خبر موسى عليه السلام بهلاكه حتى عاينوه على ممرهم من الساحل الأحمر قصيراً كأنه ثور وروي هذا عن مجاهد.

تفسير الفترة الزمنية التي عاصرت اكتشاف المومياوات في

عام 1898:

قال الشهيد سيّد قطب: " {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ} لا تأكله الأسماك، ولا يذهب منكراً مع التيار لا يُعرف للناس. ذلك ليذكر من وراءك من الجماهير كيف كان مصيرك {لتكون لمن خلقك آية} يتعظون بها ويعتبرون، ويرون عاقبة التصدي لقوة الله ووعيده بالتكذيب "

- قال الشيخ الشعراوي: " {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً.} [يونس: 92]. وبالله، لو لم يأمر الحق البحر بأن يلفظ جثمان فرعون، أما كان من الجائز أن يقولوا: إنه إله، وإنه سيرجع مرة أخرى؟ ولكن الحق سبحانه قد شاء أن يلفظ البحر جثمانه كما يلفظ جيفة أي حيوان غارق؛ حتى لا يكون هناك شك في أن هذا الفرعون قد غرق، وحتى ينظر من بقي من قومه إلى حقيقة، فيعرفوا أنه مجرد بشر، ويصبح عبرة للجميع، بعد أن كان جباراً مسرفاً طاعية يقول لهم: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} (القصر: 38).

- قال الشيخ طاهر ابن عاشور في تفسيره المسمى بالتحريير والتنوير: " و{لمن خلقك} أي من وراءك. والوراء: هنا مستعمل في معنى المتأخر والباقي، أي من ليسوا معك. والمراد بهم من يخلفه من الفراعنة ومن معهم من الكهنة والورراء، أي لتكون ذاته آية على أن الله غالب من أشركوا به، وأن الله أعظم وأقهر من فرعون وألّهه في اعتقاد القبط، إذ يرون فرعون الإله عندهم طريحاً على شاطئ البحر غريقاً. فتلك ميّة لا يستطيعون معها الدجل بأنّه رفع إلى السماء، أو أنه لم يزل يتابع بني إسرائيل، أو نحو ذلك من التكاذيب لأنهم كانوا يزعمون أن فرعون لا يُغلب، وأن الفراعنة حين يموتون إنما ينقلون إلى دار الخلود. ولذلك كانوا يموّهون على الناس فيبنون له البيوت في الأهرام ويودعون بها لباسه وطعامه ورياشه وأنفس الأشياء عنده، فموته بالغرق وهو يُتبع أعداءه ميّة لا تُؤوّل بشيء من ذلك، فلذلك جعل كونه آية لمن خلفه علة

لإخراجه من غمرة الماء ميتاً كاملاً، فهم مضطرون إلى الاعتراف بأنه غرق إذا نظروا في تلك الآية." ويقول أيضاً: "قال ابن خريج: كان فرعون هذا قصيراً أحمر فلا نشك في أن منقطاح الثاني مات غريقاً في البحر، وأنه خرجت جثته بعد الغرق فدفن في وادي الملوك في صعيد مصر. ووجود قبر له فذكر المنقبون عن الآثار أنه وحد قبره هناك، وذلك يومئذ إلى قوله تعالى: {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً}. إن صح بوجه محقق، لا ينافي أن يكون مات غريقاً،" وقال أي من دقائق القرآن قوله تعالى: {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً} وهي عبارة لم يأت مثلاً فيما كتب من أخبار فرعون، وإنها لمن الإعجاز العلمي في القرآن إذ كانت الآية منطبقة على الواقع التاريخي. والظاهر أن الأمواج ألقت جثته على الساحل الغربي من البحر الأحمر فعثر عليه الذين خرجوا ينقصون آثاره ممن بقوا بعده بمدينة مصر لما استبطأوا رجوعه ورجوع جيشه، فرفعوه إلى المدينة وكان عبرة لهم أيضاً".

- قال الشيخ محمد سيد طنطاوي في تفسيره المسمى بالتفسير الوسيط: "قوله سبحانه وتعالى: {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً..} إنما اليوم بعد أن حل بك الموت، تلقى بجسمك الذي خلا من الروح على مكان مرتفع من الأرض لتكون عبرة وعظة للأحياء الذين يعيشون من بعدك سواء أكانوا من بنى إسرائيل أم من غيرهم، حتى يعرف الجميع بالمشاهدة أو الإخبار، سوء عاقبة المكذبين، وأن الألوهية لا تكون إلا لله الواحد الأحد، الفرد الصمد."

والخلاصة هي أن كل التفسير التي كُتبت قبل اكتشاف جثث الفراعنة، وكذلك التفسير التي عاصرت الاكتشافات الحديثة لم تقل بحفظ جثة فرعون كأية مشاهدة عدا ما قاله الشيخان ابن عاشور التونسي وطنطاوي المصري في تفسيريهما ولم يقطعا الرأي في قولهما. وعليه يكون الرأي النهائي في المسألة أن جثة فرعون لم

تُحْنَطُ أصلاً، وقد تُفْنَت في مكانٍ ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ولعل قوله تعالى: {وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} تثبت أن ليس لفرعون أثر، والعقل يقول لو كان الله قد حفظ جثته للعالمين فالأنبياء والرسل والعلماء والمؤرخون من العالمين بلا خلاف وهم أحق العالمين بالمشاهدة، بل هم من أوعى وأهم طبقات العالمين، ومع ذلك لم يثبت عن نبي ولا رسول ولا صحابي ولا عالم ولا مؤرخ واحد جاء من بعد فرعون وادعى أنه رأى جثة فرعون إلا ما أشاعه الطبيب الفرنسي موريس بوكاي واتباعه بعض علماء الآثار في النصف الثاني للقرن العشرين وصدقهم للأسف الشيخان الجليلان المفسران للقران الكريم ابن عاشور وطنطاوي!.

## ملخص للخروج حسب رواية اليهود

### مكان التجمع مقابل قم الحبروث

{وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَزْجِعُوا وَيَتَجَمَّعُوا  
مُقَابِلَ قِمِّ الْحَبْرُوثِ بَيْنَ مَجْدَلٍ وَالْبَحْرِ أَمَامَ بَغْلٍ صَفُونَ مُبَاشَرَةً  
تُحَيِّمُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ، فَفَيُظَنُّ فِرْعَوْنُ أَنَّكُمْ هَائِمُونَ فِي الْأَرْضِ عَلَى  
غَيْرِ هُدًى، وَقَدْ اسْتَعْلَقَتْ عَلَيْكُمْ الصَّخْرَاءُ، فَأَقْسَى قَلْبُ فِرْعَوْنَ حَتَّى  
يَسْعَى وَرَاءَكُمْ فَاتَّعَظُمَ آتِنِي (بِالْقَضَاءِ) عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَى جَيْشِهِ،  
وَيَعْرِفُ الْمَصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. وَهَكَذَا فَعَلَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ} <sup>203</sup>

### فرعون يطارد بني إسرائيل

لَوْ قِيلَ لِمَلِكِ مِصْرَ: هُوَذَا الشَّعْبُ قَدْ هَرَبَ. فَتَحَوَّلَ قَلْبُ فِرْعَوْنَ  
وَقُلُوبُ خَاشِيَتِهِ ضِدَّهُمْ، وَقَالُوا: «مَاذَا ذَهَبْنَا حَتَّى أَطْلَقْنَا إِسْرَائِيلَ مِنْ  
خِذْمَتِنَا؟ فَأَعَدَّ مَرْكَبَتَهُ وَاصْطَلَحَ جَيْشَهُ مَعَهُ، فَأَعَدَّ سِتًّا مِائَةَ مَرْكَبَةً  
وَسَائِرَ مَرْكَبَاتِ مِصْرَ، وَحَمَلَ عَلَيْهَا قَادَةُ سِلَاحِ الْمَرْكَبَاتِ. وَقَسَّى  
الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، فَطَارَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ غَاضَرُوا  
مِصْرَ بِقُدْرَةِ طَاهِرَةٍ. وَسَعَى الْمَصْرِيُّونَ وَرَاءَهُمْ بِجَمِيعِ خَيْلِ فِرْعَوْنَ  
وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ وَجُيُوشِهِ، فَأَدْرَكُوهُمْ وَهُمْ مُتَجَمِّعُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ  
بِالْقُرْبِ مِنْ قِمِّ الْحَبْرُوثِ مُقَابِلَ بَغْلٍ صَفُونَ.} <sup>204</sup>

### الاستغاثة بالله تعالى

لَوْلَمَا اقْتَرَبَ فِرْعَوْنُ، نَظَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَإِذَا بِالْمَصْرِيِّينَ  
يَنْذِفِعُونَ نَحْوَهُمْ، فَارْتَعَبُوا وَاسْتَغَاثُوا بِالرَّبِّ، ثُمَّ قَالُوا لِمُوسَى: هَلْ  
لَا فِتْنَارَ مِصْرَ لِلْقُبُورِ أَخْرَجْنَا إِلَى الصَّخْرَاءِ لِنَمُوتَ فِيهَا؟ مَاذَا فَعَلْتَ

<sup>203</sup> التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الرابع عشر، لصوص 1 - 4

<sup>204</sup> التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الرابع عشر، لصوص 5 - 9

بْنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟ أَلَمْ نَقُلْ لَكَ فِي مِصْرَ: دَعْنَا وَشَانُنَا  
فَنَخْدُمُ الْمِصْرِيِّينَ، إِذْ كَانَ خَيْرًا لَنَا أَنْ نَخْدُمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ  
فِي الصَّخْرَاءِ. فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: لَا تَخَافُوا. قِفُوا وَانْظُرُوا خَلاصَ  
الرَّبِّ الَّذِي يُجْرِيهِ لَكُمْ الْيَوْمَ، لِأَنَّ الْمِصْرِيِّينَ الَّذِينَ رَأَيْتُمُوهُمْ الْيَوْمَ،  
لَنْ تَرَوْهُمْ فِيمَا بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ. فَالرَّبُّ يُحَارِبُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمَتُونَ} 205

### جبريل مع موسى يريه الطريق

لَوْ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَا بِكَ تَسْتَعِيبُ بِي؟ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ  
يَرْحَلُوا. ارْزُقْ عَصَاكَ وَابْسُطْ يَدَكَ فَوْقَ الْبَحْرِ وَشَقَّهُ، فَيَحْتَازَ بَنُو  
إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ. فَهَا أَنَا أَغْلُظُ قُلُوبَ الْمِصْرِيِّينَ  
فَيَسْغَوْنَ وَرَاءَكُمْ، فَأَتَعْظُمُ (بِالْقَضَاءِ) عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَى مَرْكَبَاتِهِ  
وَفُرْسَانِهِ، <sup>18</sup>فَيَذَرُكَ الْمِصْرِيُّونَ أَنْبِي أَنَا الرَّبُّ، عِنْدَمَا أَتَعْظُمُ  
(بِالْقَضَاءِ) عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ. وَانْتَقَلَ مَلَاكُ اللَّهِ الَّذِي  
كَانَ يَتَقَدَّمُ عَسْكَرَ إِسْرَائِيلَ إِلَى الْمُوحَّزَةِ خَلْفَهُمْ، وَكَذَلِكَ انْتَقَلَ عَمُودُ  
السَّحَابِ مِنْ أَمَامِهِمْ وَوَقَفَ وَرَاءَهُمْ. فَدَخَلَ بَيْنَ عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ  
وَعَسْكَرِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ، وَصَارَ عَمُودُ السَّحَابِ ظِلَامًا قَاتِمًا عَلَى  
الْمِصْرِيِّينَ، وَضِيَاءً عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يَقْتَرِبْ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ  
طَوَالَ اللَّيْلِ.} 206

### عبور النيل

لَوَبْسَطَ مُوسَى يَدَهُ فَوْقَ الْبَحْرِ، فَأَرْسَلَ الرَّبُّ طَوَالَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ  
رِيحًا شَرْقِيَّةً قَوِيَّةً رَدَّتْ الْبَحْرَ إِلَى الْوَرَاءِ، وَحَوَّلَتْهُ إِلَى يَابِسَةٍ. وَهَكَذَا  
انْشَقَّ الْبَحْرُ، فَاجْتَنَزَّ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ عَلَى أَرْضِ يَابِسَةٍ،  
فَكَانَ الْمَاءُ بِمَثَابَةِ سُورَيْنِ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ. وَلَجَّقَ بِهِمْ

205 التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الرابع عشر، لصوص 10 - 14

206 التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الرابع عشر، لصوص 15 - 20

الْمِصْرِيُّونَ وَتَخَلَّوْا وَرَأَوْهُم إِلَى وَسْطِ الْبَحْرِ، بِجَمِيعِ خَيْلِ فِرْعَوْنَ  
وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ. وَقَبْلَ طُلُوعِ الصَّبَاحِ أَشْرَفَ الرَّبُّ فِي عَمُودِ  
النَّارِ وَالسَّحَابِ عَلَى عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ وَأَرْبَكَهُمْ. فَجَعَلَ عَجَلَاتِ  
مَرْكَبَاتِهِمْ تَتَخَلَّعُ. فَطَفِقُوا يَجْرُونَهَا بِمَشَقَّةٍ حَتَّى قَالَ الْمِصْرِيُّونَ:  
لَنَهْرُبَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ، لِأَنَّ الرَّبَّ يُحَارِبُ عَنْهُمْ ضِدَّنَا<sup>207</sup>.

### هلاك فرعون وجيشه

لَوْ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: ابْسُطْ يَدَكَ فَوْقَ الْبَحْرِ لِيَزْتَدَّ الْمَاءُ عَلَى  
الْمِصْرِيِّينَ مَعَ مَرْكَبَاتِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ<sup>27</sup>. فَبَسَطَ مُوسَى يَدَهُ فَوْقَ الْبَحْرِ  
عِنْدَ انْتِثَاقِ الصَّبَاحِ، فَارْتَدَّتْ الْبَحْرُ إِلَى مَوْضِعِهِ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ  
الْهَارِبِينَ فِي اتِّجَاهِهِ، فَجَرَفَهُمُ الرَّبُّ نَحْوَ وَسْطِ الْبَحْرِ. وَارْتَدَّتِ الْمِيَاهُ  
وَأَغْرَقَتِ الْمَرْكَبَاتِ وَالْفُرْسَانَ وَكُلَّ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي لَحِقَ بِهِمْ إِلَى  
الْبَحْرِ، فَلَمْ يَقْلَبْ مِنْهُمْ نَاحٍ وَاحِدٌ. أَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَقَدْ سَارُوا فَوْقَ  
أَرْضٍ يَابِسَةٍ وَسَطَ مِيَاهِ الْبَحْرِ. وَكَانَتِ الْمِيَاهُ كَسُورَيْنِ عَنْ يَمِينِهِمْ  
وَعَنْ شِمَالِهِمْ. وَهَكَذَا أَنْقَذَ الرَّبُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ مِنْ يَدِ  
الْمِصْرِيِّينَ، وَشَاهَدُوا جُنُودَ الْمِصْرِيِّينَ مَطْرُوحَةً عَلَى سَاطِئِ الْبَحْرِ.  
وَعِنْدَمَا شَهِدَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ الْقُوَّةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي عَامَلَ بِهَا الرَّبُّ  
الْمِصْرِيِّينَ، خَافَ الشَّعْبُ الرَّبَّ وَآمَنُوا بِهِ وَبِمُوسَى عَبْدِهِ<sup>208</sup>.

<sup>207</sup> التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الرابع عشر، لصوص 21 - 25

<sup>208</sup> التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الرابع عشر، لصوص 26 - 31

## ملاحق: (بحوث لآخرين تتعلق بموضوع البحث)

تأملات في إشارات التوراة لكوش أرضاً وملوكاً  
الأستاذ/ عباس أحمد الحاج

### مقدمة

يقول الأديب السوري أدونيس: "إنَّ العصفور الذي يضرب بجناحيه لكي يطير، يتصور أنه لو لم يكن هناك هواء، لكان طيرانه أسهل! والحقيقة أنه لو لم يكن هناك هواء لما استطاع أن يطير".

وما قاله أدونيس ينطبق على مؤرخي وكتاب مصر، فمصر تنظن أنه لو لا تاريخ إهرامات مصر لما كان هناك تاريخ أصلاً! وتغفل وتتناسى أنه لو لا تاريخ السودان لما كان هناك تاريخ مصري أصلاً. فزيارة أميرة قطر سمو الشیخة موزا أخرجت كل الهواء الساخن من جوف المصريين وكان أمرها بيدهم يحددون لها أين تزور ومن تزور ومتى تزور!! ووصل بهم الاستخفاف الذي لا يليق بمقامها ليصفوها بأنها تحب أخذ الصور بجوار الإهرامات. وقال لها أحدهم: "تعالى يا شیخة وتصوري زى ما عایزة.. عندنا إهرامات مش زى مثلثات الجبنة"، ولا يعلم هذا المسكين أن الشیخة موزا مثقفة جداً وتعلم عن إهرامات وتاريخ وطنه أكثر منه.

ونحن في السودان نسدي للشیخة الشكر والتقدير والإحترام لأنها فتحت لنا آفاقاً جديدة لدراسة تاريخ السودان القديم. فاستفزاز الإعلام المصري لأهل السودان بعث في شباب السودان روحاً وطنية جديدة عانقت السحاب. فقد كنا نعلم أن تاريخ مصر جزء من تاريخنا، ولكننا كنا لا نأبه بذلك ولا بإظهار الحقيقة لأن مصر فى الأصل أخت بلادي وتوأمها كما تعلمنا فى مدارسنا وأدبنا السياسى والاجتماعى.. وما دام أن الإعلام المصرى قد وصلت به الوقاحة

ونحن عندما نتتبع سيرة سيدنا موسى عليه السلام ببني إسرائيل لا نبحث عن فخر، ولا يضيرنا إن كانت قصته قد وقعت في مصر أو السودان، ولكن ما يهمنا حقيقةً هو البحث العلمي عن حقيقة ذلك الخروج. فنحن في موسوعة سوداينديا نرفض أن نُخَمَّ خَمّاً ونتبع كل ناعق، فنحن لا نؤكد نتائج البحوث ولكن نضع على طاولة البحث جميع الاحتمالات والبحوث المؤسسة علمياً ولها من الشواهد ما يدعمها كبحوثٍ محترمة تستحق النشر لترى النور.

فالوقائع تشير إلى أن سيدنا موسى عليه السلام خرج بقومه جنوباً حيث موطنه وموطن الإسلام الأول! وهو ذات المكان الذي هاجر إليه سيدنا إبراهيم عليه السلام حين امن به أهله وأكرموه وأهدوا له جارية تسمى هاجر، في مصر العليا. ونقول الروايات الشفهية في السودان أن سحرة فرعون كانوا من منطقة ناوا وهي جزيرة في وسط النيل لا تبعد عن جبل البركل كثيراً، وإيمان سحرتها بموسى كان رجوعاً منهم للحق ودين التوحيد الأول الذي بدأه فيهم سيدنا إدريس عليه السلام. وأهل هذه المنطقة كان لهم معرفة بالسحر وعلم النجوم الذي قيل أنه كان جزءاً من الكتاب المكنون الذي نُزِّل على سيدنا إدريس عليه السلام.

أما بخصوص عبور سيدنا موسى للبحر فرواياتنا السودانية الشفهية تقول أن هناك ثلاثة أماكن محتملة للعبور:

الاحتمال الأول، هو منطقة عبري أو عجري في أقصى شمال السودان، وقد ورد في كتاب "قصص الأنبياء" لعبد الوهاب النجار عن معنى العبرية في اللغة فذكر أن الدكتور إسرائيل ليفستون قال: "إنَّ لفظ عبري يعني العبور" وهو نفس المعنى باللغة العربية باستقاقات مختلفة<sup>(212)</sup>.

والإحتمال الثاني الذي تحدده الروايات الشفهية هو منطقة دغا وهي داخل منطقة بربر الآن، وقد ذُكر أن فرعون كان يعبر منها

(212) د. عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص 7.

لجمع كتل الذهب التي يحملها على آلاف البغال من صحراء المنطقة التي ما زالت غنية بهذا المعدن الغالي.

الإحتمال الثالث هو أن يكون العبور في منطقة السبلوفة التي بها صدع جيولوجي بعرض النيل، وهذا الرأي رأي جديد أتى به الأستاذ محمود عثمان رزق استناداً على وجود الصدع الذي فتح للعابرين طريقاً في البحر يبساً، واستناداً على عقيدة أهل المنطقة التي تؤكد أن الصدع قد حدث نتيجة لضربة رجل صالح للبحر أراد العبور للضفة الأخرى!

وبالرغم من قوة الشواهد في هذه الاحتمالات الثلاثة إلا أننا نقف في حيرة من تحديد المكان يقيناً، فمكان فرعون على العموم بين عكشة حيث كان معبده أو بالقرب منه. أما اتجاه سيدنا موسى عليه السلام بعد العبور حيث ذكر في سفر الخروج (وارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام في طرق البرية، وكان الرب يسير أمامهم نهراً في عمود سحب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم. لكي يمشوا نهراً وليلاً لم يبرح عمود السحاب نهراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب) سفر الخروج (13-14) الإصحاح الثالث عشر (وسكوت موقعها بين صان الحجر والصالحية، ومنطقة صان الحجر قريبة من منطقة لها نفس الاسم تقريباً في بطن الحجر وهي منطقة شلال دال). وفي التوراة سفر العدد إصحاح 12 وجدنا تطابقاً غريباً بين أسماء مدننا وجبالنا وأوديتنا وبين الأسماء المذكورة في هذا السفر. ففي سفر العدد يذكر النص التوراتي أنه قد: {مات نبي الله هارون ودفن بجبل هور تجاه وادي حور} {وكان هارون ابن مئة وثلاثة وعشرين سنة حين كان في جبل هور} (213) وجنوباً من جبل البركل في اتجاه دارفور يوجد جبل هور ويوجد وادي اسمه "وادي هور"، ووادي هور قامت فيه حضارة قديمة

جعلت علماء السودان يتجادلون، أي الحضارتين سبقت الأخرى؟  
حضارة وادي هور أم حضارة كوش؟

وإذا كان ما أورده سفر العدد صحيح عن دفن نبي الله هارون في جبل هور، فمن هذا الاتجاه غرباً يوجد حزام الصمغ العربي، وقد أجمع علماء التفسير أن المن المذكور في القرآن الكريم هو الصمغ العربي! وبالتالي تصبح منطقة حزام الصمغ العربي مرشحة لأن تكون مكاناً للتيه، فهي منطقة توجذ وتنعدم فيها مياه الشرب على السواء! فالأمر عموماً ليس بالسهل، ونحن هنا نحاول البحث في القرآن والتوراة وكتب التاريخ القديم والحديث لشواهد وأدلة وحقائق علها تتقارب لتضيء لنا الطريق لفك طلاسم تلك القصة التاريخية وذلك الحدث العظيم.

نعود للأستاذ محمود عثمان رزق وكتابه "السودان: مهبط التوراة ومجمع البحرين" وقد استهل الرجل كتابه بعبارات في غاية الروعة، فقد ذكر أن الرعبة الصادقة للبحث عن الحقيقة لفهم أحداث التاريخ الديني المشترك كانت هي دليله، فلذلك قد اجتهد لإبعاد التحريف المتعمد وغير المتعمد من أجل الوصول لتلك الحقيقة. ويضيف الكاتب أنه غير متحامل في بحثه هذا على جهة من الجهات، ولا يهدف لتضخيم الذات الوطنية على باطل كما يفعل الكثيرون من حولنا، وهو لم يذكر مصر صراحة رغم أنه يقصدها ضمناً حرصاً منه على الابتعاد عن إثارة الجدل الذي يشوه الحقائق ويضيع موضوع البحث بالتراشق والهياج والسباب بدلاً من النقاش العلمي المثمر.

رغم وضوح الرؤية والهدف في ذهن ونصوص الكاتب، إلا أن التعصب أخذ من كتاب مصر وإعلامها مبلغاً عظيماً ضد الكتاب، فها هو الكاتب أحمد منصور يستدل بما كتبه الدكتور عبدالرحيم ريجان أن مصر مهبط التوراة ليفند بها أطروحة الكتاب وهو لم يقرأ الكتاب أصلاً!!

ولكن دعونا نبدأ البحث عن مصر المقصودة... هل هي مصر الحالية أم أن أرض السودان الحالي أو جزء منها كان يسمى بمصر السفلى؟! فمن استقراء النصوص القرآنية والتاريخية نستنتج أن أرض السودان الحالية هي مصر القديمة باعتراف علماء مصر وغيرهم في مراجع كثيرة. فمثلاً يقول اليعقوبي في كتابه أن سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) "مصر الأمصار وقال الأمصار سبعة: فامدينة مصر، والشام مصر، والجزيرة مصر، والكوفة مصر، والبصرة مصر" (214) ويقول الكاتب المصري د. نديم السيار: إن سيدنا إدريس عليه السلام نشأ وعاش في مصر العليا، وهي مملكة تاسيتي المذكورة في فجر التاريخ، ومملكة تاسيتي تعني بالفرعونية أرض حاملي الأقواس والمقصود هو أرض النوبة (215)، وقال المقرئزي نقلاً عن صاعد اللغوي من كتاب طبقات الأمم: "إن هرمس الساكن بصعيد مصر الأعلى هو إدريس عليه السلام" (216) واسم مصر الأعلى أو مصر العليا هي المعروفة في التاريخ القديم بأرض النوبة (جبل البركل).

وأرض النوبة هي أرض حاملي الأقواس وهم رماة الحق ومكان المعركة المشهورة معروف في منطقة دنقلا الحالية، وقد وصف أحد شعراء المسلمين المعركة قائلاً:

لم ترَ عيني مثل يوم دنقلة  
والخيل تعدو والدروع مُثقلة  
ترى الحماة حولها مُجدلة  
كان أرواح الجميع مُهملّة

وجاء عبدالله بن أبي السرح فحاصر عاصمة دولة المعروفة بدنقلا، فأحكم عليها الحصار ورمأها بالمنحنق فتداعت المدينة

214 ( أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، دار الفكر بيروت 1956م ص 107.

215 ( ليموا الهة ولكن ملائكة، الجزء الثاني، ص 11 ، ط2، 2003

216 ( أحمد أفندي، الأثر الجميل لقدماء وادي النيل، ط1300هـ، ص 230.

وخرج ملكم قليدوس سنة 31 هجرية الموافق 752 ميلادية<sup>(217)</sup>، وهاهو المؤرخ نعيم شقير يذكر المعركة ويقول: "قال ابن لهيعة وحدثني الحارث بن يزيد قال: إقتلوا قتلاً شديداً وأصيب يومئذ عين معاوية بن خديج وأبى شمر أبرهة الصباح، وجبريل بن ناشر، فسماهم المسلمون رماة الحق، لدقة تصويبهم ودقة التصويب إرت قديم لآلاف السنين"<sup>(218)</sup> ونقل أيضاً عن ديودوس الصقلي قوله: "كان الأثيوبيون ولاسيما سكان الصحراء الشرقية يجيدون رمي النبال، فقلما كانوا يخطئون الهدف، ويدربون أولادهم منذ الصغر على ذلك، ولا يسمحون لهم بتناول الطعام إذا أخطأوا التصويب"<sup>(219)</sup> ويقول الكاتب المصري أحمد صالح في كتابه نوبيات ثقافية: "قسمت النوبة التي تمتد من الشلال الأول إلى الشلال الرابع إلى قسمين إداريين، الأول هو النوبة السفلى، والثاني هو النوبة العليا بين الشلال الثاني والرابع وهي النوبة السودانية حالياً. وأطلقوا على النوبة السفلى اسم "واوات"، وعلى النوبة العليا اسم كوش"<sup>(220)</sup>.

ويقول ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان: "إن إدريس عليه السلام استدل من علمه بأحوال الكواكب على كون الطوفان قادم، فأمر ببنيان الإهرامات وإيداعها الأموال وصحائف العلوم إشفاقاً عليها من الذهاب والدروس وحفظاً عليها واحتياطاً عليها، وقد عاش في مصر العليا وهي كوش"<sup>(221)</sup> فأذن وفقاً لياقوت الحموي أن الإهرامات بناها قوم إدريس عليه السلام، وقد كان عالماً بعلوم الفلك فبنى الإهرامات كمخازن خوفاً من الطوفان الذي عرفه عن طريق الإرساد الفلكي.

<sup>217</sup> ( ربيع محمد القمر، المؤتمر العالمي حول عصر النفط، ط1، عام 2011م، ص 148.

<sup>218</sup> ( نعيم شقير، تاريخ وجغرافية السودان القديم والحديث، ج1، ط1، ص 38.

<sup>219</sup> ( نعيم شقير، تاريخ وجغرافية السودان القديم والحديث، ج1، ط1، ص 38-50.

<sup>220</sup> ( أحمد صالح، نوبيات ثقافية، المجموعة الثالثة، بتاريخ 2015/12/25م،

nubiat.blogspot.com

<sup>221</sup> ( ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ط1، بيروت، 1376هـ، 1956م

وبما أنَّ كل هؤلاء العلماء وغيرهم قد قالوا أن سيدنا إدريس قد عاش في مصر العليا في جبل البركل، فإذن الأهرامات في كل من مصر الحالية والسودان الحالي بناها قوم إدريس وهم أهل المنطقة قبل تأسيس دولة كوش. وهذا الكلام يسنده قول المؤرخ الإسلامي أبو الفداء الملك المؤيد حيث قال في كتابه إنَّ: "أمة السريان هي أقدم الأمم، وكلام آدم وبنيه بالسرياني، ومخلتهم هي ملّة الصابنين، ويذكرون أنَّهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس، ولهم كتاب يعزونه إلى شيث، ويسمونها صحف شيث، يُذكر فيها محاسن الأخلاق والصدق والشجاعة والتعصب للغريب واجتناب الرذائل، ويزعمون أنَّ إهرامات مصر (هي) قبر شيث بن آدم، والآخر قبر إدريس وهو أخنوخ، والآخر قبر صابي بن إدريس الذي ينتسبون إليه"(222).

وما ذكره أبو الفداء وياقوت الحموي يضغ إهرامات مصر الحالية كجزء من تاريخ السودان القديم واثاره بلا أدنى شك. والقول بتبعية الإهرامات للتاريخ السوداني لمّح به أيضاً العلامة جمال الدين بن أحمد القفطي في قوله إنَّ: "هنالك حضارة قديمة حكمت العالم وبنت الإهرامات"(223) ويضيف القفطي لقوله هذا أن إدريس عليه السلام حكم الأرض وقسمها إلى أربعة أقسام، وجعل على كل ربع ملكاً يسوس أمر مملكته، فإذن وفقاً للقفطي قد حكم إدريس العالم وكان إدريس في أرض السودان الحالي، وبالطبع لم يكن العالم واسعاً كما هو عليه الآن. وأضاف أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي الألوسي قائلاً: "كان إدريس قد ولد بمصر العليا

222 ( أبو الفداء الملك المؤيد عماد الدين، 672هـ الموافق 1273م، ص 86، المجلد الأول من

تاريخ أبو الفداء صاحب حماء

223 ( جمال الدين أبو الحسن القفطي، تاريخ الحكماء، 646هـ الموافق 1249م، طبعة

1919م، ص 4

(شمال ووسط السودان) وطاف الأرض كلها، فدعا الخلق إلى الله تعالى فأجابوه حتى عمّت ملته الأرض" (224).

وهذه الحقائق المنتثرة في كتب التاريخ القديمة والحديثة عن حصار السودان قد أثارت وأزعجت مؤرخي مصر المعاصرين فقاموا يطمسونها متناسين أخلاق البحث العلمي التي تستوجب الأمانة العلمية في النقل والتحليل وعرض الرأي المخالف.

وبعد أن أثبتنا أن مصر المقصودة هي السودان الآن وليس مصر الحالية، نعود إلى قصة سيدنا موسى عليه السلام أين عاش وأين ذهب في أطروحة الكاتب محمود عثمان رزق التي أودعها كتابه (السودن: مهبط التوراة ومجمع البحرين). فهو يقول: "إنّ مقالة فرعون التي قال فيها: {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ} جاءت بصيغة الجمع والقرب المكاني، فهين أنهار كثيرة وليس نهراً واحداً، وهي قريبة تجري من تحت مكاً وقوفه، أو قصره، أو تحت ظل سلطانه. وهذه المقالة أتت في معرض ذكر أدلته المادية على ربوبيته، فالبشارة توحى أنّه أول ملك يتسع حكمه ويمتد ليشمل مصر، ولذلك ذكرها كحقيقة ناصعة يستعرض بها قوته السياسية والاقتصادية لكثرة الأنهار في بلاده" (225) هذه المقالة تؤكد أنّ مصر المذكورة في التوراة والقرآن هي السودان الحالي حيث تكثر الأنهار. فمصر الحالية ليس فيها إلا نهراً واحداً يصلها متعب منهك، وهناك دليل آخر يؤكد صدق رؤية الأستاذ رزق في سفر أشعيا (يا أرض حفيف الأجنحة التي في عبر أنهار كوش المرسلّة رسلاً في البحر وفي قوارب من البردي على وجه المياه، اذهبوا أيها الرسل السريعون إلى أمة طويلة وجرداء إلى شعب مخوف منذ كان فصاعداً أمة قوة وشدة ودوس

224 (الأسوسي، روح المعاني، جزء 6، صفحة 30/1، ط1، المطبعة الكبرى الحيرية بولاق، سنة 1301هـ).

225 (محمود عثمان رزق، السودان مهبط التوراة ومجمع البحرين، ط1، مطبعة جامعة الخرطوم، ص 136).

قد فرقت الأنهار أرضها يا جميع سكان المسكونة وقاطني الأرض  
عندما ترتفع الراية على الجبال تنظرون وعندما يضرب بالبوق  
تسمعونني) التوراة، 1816م الإصحاح الثامن سفر أشعياء.

ويضيف الأستاذ رزق من التوراة حقيقة أخرى واضحة وجلية  
قالها سيدنا موسى لقومه عندما عبدوا العجل ليثبت بها أن القصة  
وقعت في السودان. قال موسى لقومه: {وأما خطيبتكم العجل الذي  
صنعتموه فأخذته وأحرقته بالنار ورضضته وطحنته حتى نغم  
كالغبار ثم طرحت غباره في النهر المنحدر من الجبل} (226)  
وبالتمعن في النص نجد أن مصر الحالية ليس فيها نهر منحدر من  
جبل لا حقيقة ولا وصفاً. والإنحدار عادة يأتي من الجهة العليا  
للجهة السفلى، ومصر الحالية أسفل الأرض والسودان أعلى  
الأرض!! وهذا النص إما أن يكون المقصود منه حقيقة اتجاه  
الجريان، وعليه نجد نهر النيل ينحدر من جهة جبل البركل متجهاً  
لمصر، أو يُعنى به حقيقة المنبع، وفي هذه الحالة يكون المقصود  
النيل الأزرق أو عطبرة أو الفاش أو الددر أو الرهد فكلها تنحدر  
حقيقةً من الجبال.

وفي ذات الاتجاه نقول أننا وجدنا في كتاب الأستاذ محمد صالح  
ضرار المسمى "سواكن وتاريخ لبحر الأحمر" اسم جزيرة تسمى  
جزيرة السامري!! فقد قال ضرار أنه وجد في كتاب رحلات العرب  
أسماء أربعة جزر هي: سواكن، ودهلك، والنعمان، والسامري (227).  
ولعل جزيرة السامري هي التي تُسبب إليها السامري الذي صنع  
العجل لبني إسرائيل، وربما تكون هي جزيرة ابن عباس أو جزيرة  
عبري وفقاً للأستاذ ضرار. وهذه المعلومة ستدفعنا إجراء المزيد  
من البحث بخصوص هذه الجزر لأن الأستاذ ضرار قد أكد أن

226 ( التوراة، سفر التثنية، الإصحاح التاسع، النصور رقم 21-22.

227 ( محمد صالح ضرار، سواكن وتاريخ البحر الأحمر، ص 25، الدار السودانية للكتب،  
الطبعة الثانية، 1408 هـ الموافق 1988م.

بعض هذه الجُزور كان مأهولاً بالسكان في قديم الزمان وما زالت بعض آثارهم باقية.

ويستدل الأستاذ رزق على أطروحته في صفحة 33 بنص من التوراة فيه ذكر لمناطق سودانية ما زالت موجودة. فالنصر: ﴿فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ رَعْمَيسَ إِلَى سَكُوتَ، نَحْوَ سِتِّ مِائَةِ أَلْفِ مِائَةٍ مِنَ الرِّجَالِ عِدَا الْأَوْلَادِ. وَصَعِدَ مِنْهُمْ ثَقِيفٌ كَثِيرٌ أَيْضاً مَعَ عَنَمٍ وَبَقَرٍ، مَوَاشٍ وَافِرَةٍ جَدًّا. وَخَبَزُوا الْعَجِينَ الَّذِي أَخْرَجُوهُ مِنْ مِصْرَ خُبْزَ مَلَّةٍ فَطِيرَاءُ، إِذْ كَانَ لَمْ يَخْتَمِرْ. لِأَنَّهُمْ طَرَدُوا مِنْ مِصْرَ وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَتَأَخَّرُوا، فَلَمْ يَصْنَعُوا لَأَنْفُسِهِمْ زَادًا﴾ (228) فإذا تأملنا النصر سنجد اسم منطقة السكوت ظاهراً بوضوح وهي منطقة من مناطق المحس بشمال السودان وهي الاسم الأصل الذي سمي به سيدنا يعقوب عليه السلام المنطقة بالسكوت وتعني المظلات. أمّا "خبز ملّة" فلي معه قصة شخصية عرّفتني به قبل أن أعرفه من التوراة! ففي رحلة من رحلاتنا في صحراء النوبة وجدنا قوماً من البدو يصنعون خبزاً على الرمال فطننا أنّ الرمل قد يلتصق به لا محالة، ولكن كانت دهشتنا كبيرة عندما رأينا أن الرمل لا يلتصق به!!! قالوا لنا إنّ اسم هذا الخبز "خبز ملّة" فكانت تلك هي المرة الأولى التي أسمع فيها بهذا الاسم وأراه وأذوقه. فهذه أدلة مادية واضحة تربط قصة سيدنا موسى بالسودان.

وفي التيه ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور. فساروا ثلاثة أيام في البرية ولم يجدوا ماءً، فجاءوا إلى (بنر) مائة فلم يقدرُوا أن يشربوا ماءً لأنّه مر. لذلك دُعِيَ اسمها مائة فتذمّر الشعب على موسى قائلين: ماذا نشرب؟ فصرح إلى الرب فأراه الرب شجرة فطرحها في الماء فصار الماء عذبا (229) وعند بحثنا عن الآبار القديمة في منطقة صحراء النوبة

228 ( التوراة، سفر الخروج، الإصحاح الثاني عشر، آيات 37-38.

229 ( التوراة، سفر الخروج 15، الإصحاح السادس عشر.

وجدنا أن المؤرخ نعيم شقير قد ذكر في كتابه جغرافية وتاريخ السودان: "أن هنالك آبار أثرية قديمة هي آبار المرات، وهندوب، وأوتاو، وهمبوك، ونس إبل، وهراتري، وكوكريب، وإحمير، والطرفاوي، والنجم"<sup>(230)</sup> وقد وقفنا على هذه الآبار فوجدنا أن بئر مارة أو المرات تقع على الطريق الصحراوي، وماؤها صالح للشرب إلا أنه مسهل لغير المتعود عليه، وهو مرط الطعم قليلاً، لذلك سميت بالمرات أو المر وما زال الاسم سارياً وهي آبار نبع إذا عُرف ماؤها عاد بعد ساعة. وبالإضافة لبئر المرات وجدنا منطقة في صحراء النوبة تسمى بالتيه! يقال عنها أن من يدخلها تختلط عليه الاتجاهات، والغريب أنها تثبت فيها أشجار الصمغ العربي الذي قال عنه المفسرون أنه المرن المذكور في القرآن. هذه الحقائق التي وقفنا عليها بأنفسنا تسند بشدة فرضية الأستاذ محمود عثمان رزق التي تقول إن التيه كان في صحراء بيوضة أو صحراء النوبة.

ومن الشواهد التي تثبت صحة الأطروحة أيضاً تلك الآية التي في سورة البقرة التي تقول: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظَّارِينَ﴾<sup>(69)</sup> <sup>(231)</sup> ومن المعلوم أن منطقة النوبة في شمال السودان كانت وما زالت تستخدم الأبقار في سفاية الحفول، والبقر في تلك المنطقة يكثر فيه اللون الأصفر عموماً واللون الأصفر فاقع اللون. وقد ذكر البروفيسور عبدالله الطيب - رحمه الله -: "أن الساقية لا يعرفها أهل مصر وأنهم يعرفون النواعير، وقد ذكر الرحالة المسيو كابو السانج الفرنسي الذي رافق إسماعيل باشا بن محمد علي باشا لفتح سنار عام 1821م سمع صوت الساقية لأول مرة في السودان ولم ينام لجمال صوتها"<sup>(232)</sup> ويقال أن جامعة Harvard

<sup>230</sup> ( نعيم شقير، تاريخ السودان القديم والحديث، الجزء الأول، ص22

<sup>231</sup> ( القرآن الكريم، سورة البقرة، آية (69)

<sup>232</sup> ( برنامج سير وأخبار، حلقة أصل أهل السودان، تلفزيون السودان، شريط ديجيتال

بالولايات المتحدة أرجعت أصول علم الميكانيكا لخمس اكتشافات قديمة كلها ترجع لدولة كوش (233) هي:

1- الشادوف

2- الساقية

3- بكرة البئر

4- المحراث

5- الميزان أبو كفتين

وقد ورد ذكر الساقية والأنهار في التوراة أيضاً في سفر الخروج 8 {فقال الرب لموسى قل لهرود مد يدك بعصاك على الأنهار والسواقي والآجام واصعد الضفادع على أرض مصر. فمد هرون يده على مياه مصر فصعدت الضفادع وغطت أرض مصر. وفعل كذلك العرافون بسحرهم واصعدوا الضفادع على أرض مصر} سفر الخروج الإصحاح السابع وأخيراً هناك إثبات آخر لا يأتيه الباطل من بين يديه، وهذا الإثبات يتعلق بذكر ملوك كوش في أسفار التوراة بكثافة دون غيرهم من الملوك. فقد جاء ذكرهم في سفر الخروج هكذا {... وبنو كوش وسبا وحويلة وسبتا ورعما وسبتكا وبنو رعما شبا وددان...} (234) تأملوا معي مرة أخرى هذه الأسماء. هذه الأسماء هي أسماء ملوك كوشيين حكموا دولة كوش بالترتيب، وبنو شبا سميت عليهم منطقة شبا في جبل نوري، والمنطقة ما زالت تحتفظ بالاسم منذ ذلك الزمان! أما كوش، فهو كوش بن حام بن نوح عليه السلام، وهو والد الطاغية النمروود الذي قالت عنه التوراة: {وكوش ولد نمروود الذي ابتدأ يكون جباراً في الأرض} (235)، وقيل أن النمروود هو أول من استخدم النمرور في الصيد فلُقّب بالنمرود. وهذا النص التوراتي يفتح لنا باباً لسؤال مهم،

233 ( إبراهيم ميرغني، تجارب سودانية، ط1، مطابع السودان للعملة، ص 30-31.

234 ( التوراة، سفر الأيام الأول، الإصحاح الأول، مطبعة مساحة استور، نيويورك، 1816م،

ترجم في مدينة بيروت

235 ( التوراة، سفر الأيام الأول، الإصحاح الأول، مطبعة مساحة استور، نيويورك، 1816م،

ترجم في مدينة بيروت.

وهو هل النمرود بن كنعان بن كوش هو نفس النمرود الذي حكم العراق؟ أم يا ترى هي تشابه أسماء فقط!!!

وفي سفر أشعياء نجد دليلاً آخر أكثر وضوحاً! فقد جاء النص في سفر أشعياء يخاطب أرض كوش هكذا: {يا أرض حفيف الأجنحة التي في عبر أنهار كوش} (236) وفي موضع آخر وُصفت بـ"حفيف أجنحة الملانكة"، وهذا وصف ينم عن تقديس للمنطقة، وهذا ما قال به واعتقده فلاسفة الإغريق فعلاً، وعندما فقد الإمبراطور الفارسي قمبيز حوالي 50 ألف جندي من جيشه الغازي، عزا الإغريق ذلك لقدسية أرض كوش التي تحفها الملانكة. فأرض كوش معلومة المكان وما زالت الأنهار تجري من تحتها، وهي خمسة عشر نهر منها النيل، والنيل الأزرق، والنيل الأبيض، ونهر عطبرة، ونهر القاش، ونهر النندر، ونهر الرهد... الخ.

وفي سفر أشعياء أيضاً ذكر الملك الكوشي المشهور ترهاقا {وسمع عن ترهاقة ملك كوش قولاً (قد خرج ليحاربك) فلما سمع أرسل إلى حزقيال قائلاً...} (237) فترهاقة معروف في التاريخ ومعلوم أنه هزم الآشوريين وحكم الشام واليمن والصومال وحتى جبل طارق وسيرته تحتاج لمجلد كامل منفرد:

أمّا سفر أرميا فسيقودنا إلى حقيقة تعري التاريخ المصري المزيّف وتوضّح حقيقة صادمة مجهولة. فهذا السفر يتكلم عن سيدنا يوسف قائلاً: {... خرج عبد ملك من بيت الملك وكلم الملك قائلاً يا سيدي قد أساء هؤلاء الرجال في كل ما فعلوا بأرميا النبي الذي طرحوه في الحب فإنه يموت في مكانه بسبب الجوع لأنه ليس بعد خبز في المدينة فلما سمع عبد ملك كوشي، رجلاً خصياً وهو في بيت الملك، أنهم جعلوا أرميا في الحب، والملك جالس في باب

<sup>236</sup> (التوراة، سفر أشعياء، الإصحاح الثامن عشر، مطبعة ساحة استور، نيويورك، 1816م،

ترجم في مدينة بيروت

<sup>237</sup> (التوراة، سفر أشعياء، إصحاح 37، مطبعة ساحة استور بنيويورك، 1816م، ترجم في مدينة بيروت.

بنيامين...} (238) فأرميا هنا هو سيدنا يوسف عليه السلام، وبنيامين هو أخاه الذي قرّبه إليه. وهذا النص بالرغم من أنه يحتوي على بعض الإضطراب إلا أنه يثبت أن القصة التي كانت في بلاد الملك الكوشي حيث أصبح يوسف وزيراً لمالئته فيما بعد. والجدير بالذكر أن عالم الآثار السويسري شارلي بونيه قد اكتشف حديثاً في مدينة كرمة قصرأ منيفاً مدفوناً بالرمال ذو أعمدة متعددة وله أبواباً كثيرة، ولعل هذا القصر هو ذات القصر لذي دارت فيه قصة سيدنا يوسف عليه السلام لأنه يتطابق مع القصة.

وفي الختام نقول هذه هي براهيننا نثبت بها علاقة قصة سيدنا موسى بأرضنا وتاريخنا، برهاناً جزءاً منه نصوص من التوراة، وجزءاً منه نصوص من كتب المؤرخين، وجزءاً منه آثار باقية للعيان! ومع ذلك كله نترك الباب مفتوحاً واسعاً للباحثين والأثاريين علّنا نجد مزيداً من الإيضاح ونفتح باباً واسعاً للإجتهد لمعرفة الحقيقة من غير تعصب ولا تحيز، ولا تزوير للتاريخ سعياً لمنفعة شخصية أو عائد مادي أو تضخيماً للذات الوطنية بالباطل.

---

238 } التوراة، سفر ارميا، الإصحاح الثامن والثلاثون، مطبعة ساحة استور بنيويورك، 1816م، ترجم في مدينة بيروت

## اللغة النوبية الكوشية «المروية»: أول اهتمام لمبدأ الأبجدية في أفريقيا جنوب الصحراء

بقلم: بروفييسور عبد الرحيم محمد

شهد السودان القديم «كوش» ظهور العديد من الحضارات التي أدت أدواراً جد مهمة في مسار الحضارة الإنسانية منذ فجر ما قبل التاريخ في وادي النيل والعالم القديم. وعرف السودان الدولة كبنية سياسية مؤسسية ومشروعية سلطة منذ ما يربو على أربعة آلاف عام بظهور دولة كوش الأولى «مملكة كرمة» التي بسطت ظل سلطتها على شمال السودان الحالي وكل منطقة النوبة «2500-1500 ق.م.» وفي عهد دولة كوش الثانية «مملكة مروية» «900 ق.م-350م» بلغت الدولة السودانية أقصى اتساع لها حيث كانت تمتد في أوج ازدهارها من شواطئ البحر الأبيض المتوسط «مصر» شمالاً إلى ضفاف النيل الأبيض «الكوة» والنيل الأزرق «جبل موية» جنوباً. ورفدتنا المكتشفات الأثرية بمعلومات ثرة عن المنجزات الحضارية التي اجتريها السودانيون والتي شملت تقنيات الفخار والمعادن «النحاس والحديد» وفنون النحت والعمارة والموسيقى وغيرها. وتوجت هذه المساهمات الحضارية بالمعرفة الباكورة لنظام متقدم في الكتابة الأبجدية «الخط المروي الاختزالي». ابتدع قداماء النوبيين (الكوشيين) السودانيون الأبجدية المروية «الخط الاختزالي- Cursive» التي تعتبر أحد الأشكال المتطورة للكتابة في الشرق الأدنى القديم. ولا يعرف على وجه الدقة متى كتب السودانيون باللغة المروية لأول مرة ذلك لعدم توفر المادة المكتوبة بصورة متصلة خلال أحقاب مختلفة للعهد المروي «900 ق.م-350م». وثمة إشارة هنا وهي أن المعلومات المتوفرة لدينا عن الفترة ما بين القرنين الرابع والثاني قبل الميلاد تقل فيها

المخطوطات المروية بشكل واضح رغم أنها تعتبر من أهم مراحل تاريخ السودان الثقافي لأنها الفترة التي ظهر فيها الخط المروي وشهدت تغيرات ثقافية مهمة، ولا يعرف ماهية هذه التغيرات وتطوراتها رغم معرفة حدوثها من نتائجها وأهمها الكتابة المروية بخطيها الهيروغليفي والمختزل. ونلاحظ أن أقدم شيء مكتوب باللغة المروية هو اسم الملكة شناكداخيتي- «180-Shanakdakhete 170 ق.م.»، أما أحدث النصوص المروية- الهيروغليفية فيرجع إلى زمن الملك تاركينوال- «103-85 Tarekeniwal م» والتي عثر عليها على بوابة المقصورة المتصلة بهرمه «رقم 19» في مروي القديمة «البجراوية». أما أقدم نص كتب بالخط المروي- المختزل هو نقش الملك تنبيدمني «120-100 ق.م.» وهو نقش طويل يتكون من 160 سطراً عثر عليه في معبد آمون «850» عند جبل البركل. ويجدر التنويه إلى أن أسماء بعض الأعلام المروية تحتوي على مكونات مروية في تركيب نحوي مروي مثل اسم «كوشنو» أول ملوك الأسرة السودانية الحاكمة في مروي، فضلاً عن أسماء أخرى مثل تن-امن وقورخن-امن. وهذه الحقيقة دفعت بعض الباحثين إلى الزعم بأن اللغة المروية ربما كانت لغة السودانين منذ عهد مملكة كوش الأولى كرمة «2500-1500 ق.م.»، وإن لم يتمكن السودانيون من كتابة هذه اللغة إلا في الفترة المتأخرة لدولة كوش الثانية- مروي «منتصف القرن الثاني قبل الميلاد». ويبدو أن الضعف المضطرد الذي اعتري التواصل الثقافي بين مملكة مروي ومصر الفرعونية منذ أن تفهقر السودانيون عن مصر عام 663 ق.م، فضلاً عن فترات الحكم الأجنبي على مصر منذ ذلك الحين «الأشوريون والفرس والإغريق والرومان» والتي أضعفت مكانة اللغة الهيروغليفية، كانت كلها عوامل أدت في نهاية المطاف «منتصف القرن الثاني قبل الميلاد»

إلى ابتداء الأبجدية المروية بدلاً من الاعتماد الوحيد على اللغة المصرية القديمة «الهيروغليفية».

وتتوزع المخطوطات المروية على امتداد مناطق انتشار الحضارة المروية ما بين جزيرة فيلة «قرب أسوان» وحتى سوبا قرب الخرطوم. ففي النوبة السودانية «النوبة العليا» عُثر على العديد من النصوص الدينية والمدنية في جبل البركل، صلب، الكوة، صادنقا، جزيرة صاي، عمارة وبوهين في أقصى شمال السودان. ووجدت أيضاً العديد من النصوص في مروي «البحراوية» والنقعة وود بانقا في أواسط البلاد. أما في النوبة المصرية «النوبة السفلى» فقد عُثر على النصوص المروية في كل من شبلول، كرنوق، بلانة وقسطل وأبو سمبل ووادي السبوع ودوطة وعينية وكلاشة.

وقد كانت اللغة المروية هي لغة العامة اليومية. بيد أن السودانيين الذين أقاموا في النوبة السفلى في مناطق الحصون الفرعونية المصرية كانوا يتكلمون إلى جانب لغتهم المحلية «المروية» اللغة المصرية القديمة. هذا بوجه عام، ومن حيث الخصوص فإنه من شبه المؤكد أن بعض السودانيين ذوي الجاه والذين تأثروا بالثقافة المصرية كانوا، يتكلمون اللغة المصرية القديمة وربما يقرءونها ويكتبونها. أما الملوك المرويون فقد كانوا إلى جانب مخاطبتهم بلغتهم المحلية «المروية» على دراية كبيرة باللغة المصرية والخط الهيروغليفي ابتداءً من الملك المؤسس لدولة كوش الثانية «مروي»، كوشتو وخلفائه بعنخي وشباكو وشبتكو وتهراقا وتانوت-أماني ورصفانهم الذين كونوا الأسرة المعروفة في التاريخ المصري بالأسرة الخامسة والعشرين. وقد ترك لنا هؤلاء الملوك نقوشاً كثيرة مكتوبة بالخط الهيروغليفي في معظمها، في عاية الجودة والدقة من حيث المفردات والقواعد النحوية والأسلوب وهي أقرب إلى لغة المملكة المصرية الوسطى «1991-1600 ق.م.».

وتفريعاً على ما تقدم، فإن المرويين قد ابتدعوا نوعين من الخط أحدهما هيروغليفى «برموز مصورة» والآخر يسمى المختزل اصطلاحاً «Cursive» وكلاهما منحدران عن أصول مصرية، فالأول منحدر عن الكتابة الهيروغليفية والثاني منحدر عن الكتابتين الهيروغليفية والديموطيقية.

ويتضح مما أوردناه أنفاً أن اللغة المروية كانت لغة التخاطب لعامة الناس الذين تسموا بالأسماء المروية وتخاطبوا بها فيما بينهم. أما اللغة الرسمية، لغة التوثيق والتدوين فهي اللغة المصرية القديمة بخطها الهيروغليفى، فقد تخاطب بها أفراد الأسرة الحاكمة وموظفو الدولة وبعض المتعلمين المرويين. وتجدر الإشارة إلى أن الشواهد اللغوية المتواترة تشير إلى وضع لغوي مركب إبان العهد المروي. ومن المؤكد أنه برغم أن اللغة الأكثر تداولاً كانت هي اللغة المروية، فهناك أيضاً لغات ولهجات عديدة خلافاً للمروية، فكانت للبجة بشرق السودان لغتهم وهم من رعايا الدولة المروية، ثم النوبيون وغيرهم من القبائل الأخرى لهم لغاتهم الخاصة، وكانوا جميعاً يعيشون مع المرويين ويختلطون بهم في مناطق المملكة المروية المترامية الأطراف كما هو جلي من المدونات والرسومات وغيرها...»

نستفيد من هذا المقال الآتى:

- 1- كانت البجة بشرق السودان حزة لا يتجزأ من الدولة الكوشية وكانت لهم لغتهم الخاصة التي مازالت حية إلى يومنا هذا.
- 2- أن الشواهد اللغوية المتواترة تشير إلى وضع لغوي مركب إبان العهد الكوشي.
- 3- كانت اللغة المروية هي لغة العامة اليومية، أما اللغة الرسمية - لغة التوثيق والتدوين - فهي اللغة المصرية القديمة بخطها الهيروغليفى.

والإجحاف ومجانبة المنطق في حق قوم إحتضنوا الأنبياء وكرمواهم  
وتركوا لهم الحرية الكاملة في تصريف شؤون البلاد والعباد....!!

### الهكسوس: أصل التسمية:

(هك - سوس) = (هك = حق؛ سوس = حصان) = (حق  
الحصان) = (مالك الحصان) = (ملوك الخيل). الهكسوس عرب  
جاءوا من فلسطين وبلاد الشام وتوجهوا إلى مصر وتغلّبوا على  
الفراعنة وهزمواهم وكونوا أسر حاكمة امتد حكمها لما يقارب  
الثلاثمائة عام (وخلال فترة حكمهم كانت رحلة سيدنا يوسف إلى  
مصر بعد بيعه).

كان الهكسوس متفوقون جداً على الفراعنة في كل شيء وخاصة  
إستخدام الحديد... والأخطر صناعة العربة التي يجرها الحصان  
وهي تساوي في وقتنا الحاضر ناقلة الجند أو الدبابة...!! لمعرفة  
الهكسوس بأسرار الحديد سجلوا لأنفسهم براءات إختراع كثيرة لم  
تكن معروفة حتى وقتهم... فصنعوا لأول مرة في التاريخ عربة  
يجرها الحصان تحمل رجلان مقاتلان أو أكثر... يتفرغ أحدهم  
لقيادة الحصان رغم كونه مقاتل ويتفرغ الثاني للقتال تماماً... وبهذه  
الطريقة إستطاعوا هزيمة الفراعنة والتغلب عليهم.  
لقد أرشدنا القرآن الكريم للتمايز الواضح والفرق بين الفراعنة  
والهكسوس في كثير من آياته المعجزة. فالقرآن الكريم عندما  
يتحدث عن الفراعنة وخاصة الحكام منهم يتحدث عنهم بلقب  
(فرعون) دائماً وأبداً؛ وحينما يتحدث عن حكام مصر من الهكسوس  
يتحدث عنهم بلقب (ملك) وهذا واضح في قصة سيدنا يوسف عليه  
السلام.

كان الفراعنة يحكمون مصر لفترة طويلة ثم جاء الهكسوس من  
فلسطين والشام وحكموا مصر ثلاثمائة عام ؛ فكانوا بذلك يحكمون  
الشام ومصر ؛ ولأن سيدنا يعقوب عليه السلام وأسرته بما فيهم

دون أن يتمكن الفراعنة من إستعبادهم والإنتقام منهم والتنكيل بهم والتشفي منهم ؛ فقد صب الفراعنة حام غضبهم على بني إسرائيل ونكلوا بهم وإستعبدوهم وتركوا نساءهم على قيد الحياة وقتلوا كل طفل يولد لهم مستندين في ذلك على نبوءة تقول بأن أحد مواليد بني إسرائيل سيقتل الفرعون... وبعدها كان ما نعرفه من قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون ثم هروب بني إسرائيل من مصر متجهين صوب فلسطين حيث يقيم حلفاءهم الهكسوس!! ما الدليل على كون الهكسوس ليسوا فراعنة وعلى أن بني إسرائيل لم يعيشوا مع الفراعنة في هناء وتصالح؟

ينقسم تاريخ بني إسرائيل في مصر إلى قسمين أو عهدين: العهد الأول: في كنف الهكسوس ؛ منذ دخول سيدنا يوسف عليه السلام إلى مصر ثم لحاق أهله به حتى ما قبل عهد سيدنا موسى عليه السلام ؛ وقد كانوا في هذا العهد في قمة الطمأنينة والحظوة. العهد الثاني: في كنف الفراعنة ؛ من هزيمة الهكسوس وخروجهم من مصر حتى عهد فرعون الخروج الذي تم في عهده ذروة الإضطهاد لبني إسرائيل وهروبهم تجاه فلسطين دولة الهكسوس. كل آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن فترة وجود سيدنا يوسف عليه السلام في مصر تطلق على حاكم مصر لقب (الملك)

{وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان...} يوسف 43

{وقال الملك إئتوني به؛ فلما جاءه الرسول...} يوسف 50

{وقال الملك إئتوني به أستخلصه لنفسي...} يوسف 54

{ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله...} يوسف 76

فكل هذه الآيات توضح لنا أن لقب حاكم مصر في عهد سيدنا

يوسف عليه السلام هو (الملك)

أما وقت سيدنا موسى عليه السلام بعد أن إسترد الفراعنة الحكم فنجد القرآن الكريم يطلق على حاكم مصر لقب (الفرعون)

## الهكسوس وإبراهيم عليه السلام

### بقلم: عمر محمد أبو العطا

يضطر مؤرخو العصور القديمة في كثير من الأحيان إلى إطلاق العنان لخيالهم، للربط بين بعض الشواهد الأثرية التي تنطق بها بعض الحفائر المكتشفة، وذلك لصبط إيقاع تسلسل الأحداث في فترة زمنية بالتاريخ القديم، هادفين إلى أن تنسجم حركة هذه الأحداث مع ماورد في كتبهم وأسفارهم، وأن تتوافق مع أهوائهم وعقائدهم... والراى عندى أنه لا يوجد تاريخا صحيحا للماضى القديم بالمفهوم العلمى لعلم التاريخ.. بل يوجد مايمكن أن نسميه جوازا علم تفسير الآثار والحفائر والبرديات.. وعلى هذا الأساس فهو علم متغير بطبيعته، ويعتمد على ما قد يتم كشفه تباعا من اثار وحفائر قد تؤدى إلى تصويب ماكان مستقرا من قبل من معلومات أثرية تشير إلى بعض الدلائل التاريخية.

وعندما يلجأ مؤرخوا هذا الماضى البعيد إلى سلسلة من الافتراضات والتحمينات لملئ ثغرات أو فراغات الأزمان القديمة، وربط أحداثها بتسلسل معين يقله منطقهم وعقيدتهم، فهم مضطرون إلى ذلك لإضافة خلفية حية تزيد من حيوية المشاهد والأحداث بحيث تتفق مع أهدافهم السياسية والعقائدية. وأقول إنه على الرغم من أن آثار قدماء المصريين وبردياتهم، وعلى الرغم من دقتهم واهتمامهم بتسجيل وتدوين الأحداث، فإننا نجد أن كل ماتركوه لنا حتى الآن لم يشر من قريب أو بعيد إلى زيارة إبراهيم عليه السلام لمصر، أو يشر إلى يوسف وموسى عليهما السلام، فلا يوجد من بين ماتركوه من آثار مايؤيد تلك الأحداث الهامة من سير الأنبياء.

كما نجد أن لفظ "الهكسوس" - على سبيل المثال - على ماله من أهمية، وخاصة بعد أن ربطه الكثير من المؤرخين بالعبرانيين وبنى إسرائيل، ومنهم من قال أن الساميين هم العنصر الهام لقوم

مخالفة في زمن دخول إبراهيم عليه السلام لمصر. وتقول الموسوعة العربية الميسرة (الناشر: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر 1953): أن اللفظ "هكسوس" هو إسم أطلقه المصريون على أولئك الغزاة الذين اجتاحوا بلادهم من أخلاط سامية اسيوية مختلفة حوالي عام 1730 ق.م. فأذوهم في دينهم وأذلّوهم، وظلّوا يحكمون البلاد قرناً ونصف قرن.

ويقول المؤرخ فيليب فاراداي Phillip R. Varaday Sr <http://www.prvsr.com/median.htm>: أن الهكسوس والعبرانيين تربطهم صلات نسب ومصاهرة، كما أنه يتفق أيضاً مع بعض المؤرخين من أن هناك علاقة وثيقة بين حكام الهكسوس وتسهيل دخول العبرانيين إلى مصر واستقرارهم فيها، كما يتفق مع ماورد في كتاب نايت ولوماس Knight & Lomas من أن إبراهيم عليه السلام كان من الهكسوس، وأنه وصل لمصر عام 1780 ق.م.، حيث سهّلت زوجته سارة (كما يقول) دخوله لقصر فرعون بعد أن رغب الفرعون الإختلاء بها، وأن طمع فرعون مصر في سارة ورغبته الإختلاء بها جعله يحسن معاملة إبراهيم عليه السلام، ويمنحه الكثير من العطايا والهدايا، ومن هذه العطايا كانت السيدة هاجر وهي أميرة أسيرة عنده.. وقد كذب إبراهيم عليه السلام حين أعلن لفرعون مصر أن سارة هي أخته وليست زوجته لكي لا يصطدم مع رغبة الفرعون بها معتقداً أن الله كفيل بحمايتها.... ويعلم الله أن نفسى تتأفف من هذه القرية الدنيئة التي اخترعها كاتب سفر التكوين وبعض المؤرخين اليهود.. ويقول الدكتور محمد بيومي مهران هي شأن تلك القرية في كتابه (دراسات تاريخية من القرآن الكريم جزء 1 ص 136): أن تلك الفعلة لايقبلها إبراهيم عليه السلام على نفسه، كما لايرتضيها لعرضه أحط الناس، فضلاً أن يكون ذلك نبي الله وخليله العظيم..

وإني والله أتعجب أشد العجب عندما يسمح علماء المسلمين لأنفسهم نقل هذه الفرية الحقيرة عن سيدنا إبراهيم وزوجته سارة ويسجلوها بلا وعى فى مؤلفاتهم عن قصص الأنبياء.. وكأنها حفيضة مسلم بها لمجرد أن التوراة هى مرجعها.. هذا رغم علمهم أن التوراة الأصلية قد ضاعت عند السبى البابلى، فأعاد أحبار اليهود كتابتها وتأليفها من خيالهم وذاكرتهم المريضة، فزادوا عليها كما أنقصوا منها على مر العصور والأيام لكي تتوافق مع أطماعهم وأهوائهم. واعترف الكثير من اليهود بذلك، وكفينا نحن المسلمون ماأكده الله تعالى لنا فى تنزيله الحكيم، حيث أكد تحريف التوراة "يحرّفون الكلم عن مواضعه"، كما أكد النسيان "ونسوا حظا مما نكروا به" (المائدة 13)، كما أكد الله إغفال اليهود ذكر بعض الأحداث واصطناعهم للبعض الآخر من خيالهم المريض لكي تتفق مع ضلالتهم "فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم...." (البقرة 79). ومع ذلك، فقد اقتبس المؤرخون الإسلاميون وكتاب التفاسير من التوراة دون حذر، فعصت للأسف كتب التفاسير وكتب التاريخ الإسلامى بالإسرائيليات والأساطير التى نسها أدباء اليهود على التوراة الأصلية.

ما نستفيده من هذه المقال هو الاتي:

- 1- أن اللفظ "هكسوس" هو إسم أطلقه المصريون على أولئك الغزاة الذين اجتأحوا بلادهم.
- 2- أن الهكسوس والعبرانيين تربطهم صلات نسب ومصاهرة.
- 3- أكد القرآن الكريم نسيان اليهود لحظ من كتابهم وتاريخهم فنتج عن ذلك تحريف التوراة سهواً وعمداً عندما أراد أحبارهم إعادة كتابتها بعد ضياع التوراة الأصلية أيام السلب البابلي.
- 4- فقد اقتبس المؤرخون الإسلاميون وكتاب التفاسير من التوراة دون حذر، فعصت للأسف كتب التفاسير وكتب التاريخ

الإسلامى بالإسرائيليات والأساطير التى دسها أدباء اليهود على  
التوراة الأصلية.

## فرعون مصر في كتابات المؤرخين المسلمين<sup>239</sup>: رؤية جديدة

د. عمرو عبد العزيز منير - مصر

moneeraziz@hotmail.com

- مَنْ يكون فرعون مصر هذا الذي شغل فكر العالم كله ، وشغل فكر التاريخ بجملته؟
  - مَنْ يكون هذا الفرعون الذي لم نكتشفه عندما بزغ فوق جسر التاريخ فقط، ولكن سمعنا عنه قبل أن يكتب التاريخ سطوراً من حياته؟
  - مَنْ يكون هذا الفرعون الذي قال: "ليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي" الزخرف/51؟
  - من يكون هذا الفرعون الذي راه الوجدان الشعبي للناس بصورة معاصرة عما رآه المفسرون في القرآن والقصص الديني؟
- \*\* حين اندثرت الحضارة المصرية القديمة، وحلت محلها حضارات أخرى، فإن الآثار المبهرة التي خلفتها تلك الحضارة الزائلة دفينة في الرمال وبطون الجبال وبين طبقات الطمي المتراكمة، ما زالت تكتشف يوماً بعد يوم، وما زالت حتى الآن ذات قدرة سحرية فائقة على إبهار المؤرخين والذين سجلوا وذكروا قصصاً كثيرة عن الفراعنة الذين كانوا يحكمون مصر، وعن حياة وعادات وتقاليد المصريين التي كانوا يعتبرونها غريبة عن تقاليدهم وما اعتادوا عليه، كما ذكروا أيضاً الكثير من الأساطير والحرافات التي لا تصدق عن مصر وحضارتها التي ارتبطت بالفراعنة، وهم ملوكها القدماء، الذين توارث شخصيتهم بين الأسطورة والتاريخ.**
- وكانت كثيرة هي الجهود التي بذلت من جانب المؤرخين؛ للتعرف على فراعنة مصر القديمة، فكانت جهودهم أقرب إلى

<sup>239</sup> رابطة أدباء الشام <http://www.odabasham.net>

تلقب به رجلاً عربياً كان يعرف بـ "الوليد بن مصعب" كما خلعت أسماء عربية على معظم فراعنة مصر، وهو ما يكشف لنا عن أن الوجدان الشعبي العربي قد شغل بقصص فرعون حيث كان معروفاً لدى العرب قبل الإسلام، حين كان القصص أحد مكونات التاريخ الشفاهي العربي، وكانت قصص فرعون وعاد وئمود تنتقل بينهم بالتواتر، وعندما لم تشبع روايات الإخباريين حاجات وجدانهم، راحوا يضيفون من تصوراتهم ومورثاتهم إلى هذه الأخبار متأثرين بالروح العربية ونزوعها لتعريب الكلمات والأسماء والأحداث.

أشار ابن زولاق إلى الارتباط فيما يتعلق باللقب فقال: "واختلف فيه، فقيل: كان من العماليق، وقيل: كان من القبط ويكنى أبا مرة، وهو الوليد بن مصعب، وهو أول من خضب بالسواد لما شاب، دله عليه إبليس، ولعظم شأنه وعتوه ذكره الله في خمس وعشرين سورة من القرآن..." [12]. هذا التشويش والارتباك فيما يتعلق بلقب فرعون شمل أيضاً الحديث عن أصول هؤلاء الفراعنة وعددهم وكان ذلك مرتعاً لخيالات المؤرخين وتحميناتهم كقول المسعودي: "والذي اتفقت عليه التواريخ - مع تباين ما فيها - أن عدة ملوك مصر من الفراعنة، وغيرها؛ اثنان وثلاثون فرعوناً..." [13] أما صاحب الاستبصار فيشير إلى أن: "الفراعنة سبعة وهو كان أولهم - يقصد فرعون إبراهيم - وقيل إنما سمي فرعون لأنه أكثر القتل" [14]. واتفق معه الإسحاقى بقوله: "وقد ملك مصر سبعة من الكهنة ولهم الأعمال العجيبة والأمور الغريبة" [15].

وأورد ابن إياس نقلاً عن وهب بن منبه: "أن الفراعنة الذين ملكوا مصر كانوا ستة؛ فأولهم فرعون إبراهيم الخليل، كان اسمه طوطيس" [16].

أما التلمساني فقد اختص الفراعنة من الملوك بالأنبياء فقط. وجعل الفراعنة وقفاً عليهم بقوله: "الفراعنة ثلاثة؛ أولهم: سنان الأشل صاحب سارة، كان في زمن الخليل بمصر. الثاني: الريان بن

الوليد، وهو فرعون يوسف U، الثالث: الوليد بن مصعب، وهو فرعون موسى U... [17].

حاول المؤرخون والرحالة الإيغال في زمن فراعنة الأنبياء، والاعتماد على حقائق ملموسة بشأن تلك الفترة، ولكن كانت تعوزهم الأدلة والحجج، فاعتمد فكرهم على النقل من الأقدمين، ثم على الأخبار المتواترة في المجتمع، فإذا بالأسطورة فتتسرب فتزيد وتبالغ، وتصور ما تعرض له الأنبياء، وتاريخ نضالهم مع قوى الشر والإكثار فجاءت صياغة هذا الموروث؛ صياغة قصصية في زمن لم يكن القصص فيه قد انفصل عن التاريخ، فامتزجت الأسطورة بالتاريخ وتوارى فراعنة مصر بين ركام الخرافة.

من هؤلاء الفراعنة الذين شغلوا فكر المؤرخين في سياق حديثهم عن مصر "فرعون إبراهيم" حيث نسج الخيال الشعبي حوله أساطير جمّة تصوره في الطور الأول من حياته بالملك العاتي والظالم، ثم تحوله في الطور الثاني من حياته؛ ملكاً صالحاً عادلاً وواصباً لرحمه، تقول الروايات: "حكى أن إبراهيم U؛ كان قادماً مع (سارة) إلى مصر، حدثت النفس الأمانة بالسوء، الملك الجبار (طوطيس)، بأن يمد يده إلى (سارة)، ويرادها عن نفسها، فسل الله سبحانه وتعالى يده في الحال. ودعا إبراهيم U أخيراً أن يعيد الحياة إلى يده، فاستجاب الرب دعاءه، ولكن نفسه الأمانة بالسوء، حملته مرة أخرى على اغتصاب (سارة) ومحاولة التعدي عليها، فشلت بداه مرة أخرى، وقد عفا عنه إبراهيم U هذه المرة، ودعا له بالشفاء، فبرئت بداه، وهنا اعترف الملك طوطيس بنبوة إبراهيم الخليل ناطقاً بالشهادة (لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله) فصار مسلماً". [18]

وتمضي الرواية التاريخية لتقول أن فرعون إبراهيم قد وهب إبراهيم U السيدة هاجر، التي ولد له إسماعيل U، وحباً في لقاء إبراهيم وسارة: "عمد إلى فتح لجبال تجاء بني سويف، وتمهيد الطريق إلى مسافة ثلاثة أيام، حتى بحر السويس، حيث أجرى النيل

أعلم... [23]. وأمدنا الموروث الشعبي برواية منسوبة إلى عائشة ٧:  
"قالت عائشة ٧: أقام فرعون بمصر أربعمائة سنة. ولم يكن من أولاد  
الملوك وإنما أخذ ملك مصر بحيلة" [24]. وعلى لسان عمرو بن  
العاص أورد المؤرخون رواية تقول: "اختلف أولاد الملوك بمصر  
فيمن يكون الملك، فرضوا بمن يحكم بينهم، وأن يكون من يطلع من  
الفج، فطلع فرعون راكباً.. وسألوه الحكم بينهم.. فقال لهم: "قد اخترت  
نفسي أن أجلس وأوطئ لكم الأمر..." [25]. وقيل أن: "فرعون كان  
عطاراً بإصبهان، فركبه الدُّيْنُ وأفلس، فخرج منها هارباً.. فأتى  
مصر.. ثم سار في الناس سيرة سنة، وكان عادلاً سخيّاً، يقضي بالحق  
ولو على نفسه، فأحبه الناس فتوفي الملك فولوه عليهم" [26].

ما يهمنا في الروايات السابقة؛ هو أن صعوبة الوصول والإحاطة  
بحقيقة فرعون مصر وأصله، جعلت المؤرخين والرواة في حيرة  
دفعتهم إلى الهروب من المأزق، بمقولة "والله أعلم" واختلق الموروث  
الشعبي بعض الروايات ونسبوها إلى كبار الصحاب لإضفاء  
المصداقية على ما يقولونه، كما أوضحت لنا رؤية الناس لفراعنة  
مصر، وما يجول بخاطرهم فجاء فرعون في المخيلة الشعبية بصورة  
مغايرة عما جاء به في النصوص الدينية. حيث وجدناه ملكاً عادلاً جاء  
بإرادة الناس ولم يكن جباراً شقيّاً، استعارت بعض الروايات ملامحها  
من نسيج السيرة النبوية في تلميح إلى قصة احتكام سادة العرب في  
أمر وضع الحجر الأسود عند بناء الكعبة فاحتكموا إلى الرسول  
الأكرم R، كذلك الأمر مع فرعون واحتكام الناس إليه، وكيف أن  
الخيال الشعبي قد استعار هيكل السيرة النبوية دون المضمون فيما  
يتعلق بتلك الحادثة. مما يدلنا إلى أي مدى تأثر الوجدان الجمعي بسيرة  
النبى R التي ظلت سيرته R أبرز شخصية أساسية في الأدب الشعبية  
العربية لكونه البؤرة النورانية المباركة، التي يلتقي عندها العديد من  
فنون الأدب الشعبي، والواضح أن الكثير من الروايات التي صاغها  
الوجدان الشعبي حول فرعون مصر، في بعضها صدي لسيرة

وكرامات الأنبياء أو محملة بإشارات من قصصهم التي لم تزدهر وتنمو وتنضج إلا في ظلال القرآن الكريم.

وحلق الخيال الشعبي بعيداً فيما يتعلق بحادثة غرق فرعون موسى والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم فيقول ابن عبد الحكم نقلاً عن عدة رواه: "أقبل فرعون حتى انتهى إلى الموضع الذي عبر منه موسى وطرقه علي حالها.. وكان فرعون يومئذ علي حصان وأقبل جبريل علي فرس أثني في ثلاثة وثلاثين من الملائكة، فنفروا في الناس، وتقدم جبريل فسار بين يدي فرعون وتبعه فرعون وصاحت الملائكة في الناس الحقوا الملك، حتى إذا دخل آخرهم ولم يخرج أولهم النقي البحر عليهم فغرقوا فسمع بنو إسرائيل وجبة حين النقي. فقالوا: ما هذا؟ قال موسى: غرق فرعون وأصحابه فرجعوا ينظرون فالتقاهم البحر علي الساحل" [27]. فحين أشار القرآن الكريم إلي فرعون موسى وقومه وما حاق بهم من عذاب بسبب عصيائهم وإنكارهم للحق أشار إلي ذلك بصفة إجمالية، دون اللجوء إلي تفاصيل حقيقة، كان الهدف من ذلك استخلاص الحكمة والموعظة لتقوية الإيمان وتعميقه في قلوب الناس.

ولكن الرواة تزيدوا وأضافوا ولجأوا إلي تفاصيل لم يشر إليها القرآن ومثال ذلك حين: "أجم فرعون الغرق، قال: أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل، فجعل جبريل يدس في فيه من طين البحر، ويقول: الآن وقد عصيت، وقيل وكتب من المفسدين" [28].

وظلت الذهنية الشعبية تبحث عن السطور المفقودة في حياة فرعون موسى وتنقب عن الشخصيات الثانوية كي تكتمل الحكمة الفنية لديها مثال ذلك قولهم أن: "من حكمة الله وحسن تقديره، أن كان والد سيدنا موسى هذا بواب قصر فرعون كما أن والدته كانت من جملة نساء الحرم الخاص" [30].

وهكذا؛ فإن القراءة الشعبية لتاريخ فراعنة مصر، كانت تحتوي في عناصرها على مسائل أخرى شغلت الضمير الجمعي ووجدتها فرصة

لأن تطرحها في إطار رؤيتها الشعبية للأحداث في سياق بحثها المسميت عن العناصر المنسية والناقصة في الحدث التاريخي. على جانب آخر لعب الحلم دوراً بارزاً في التأريخ لحياة الفراعنة، وما يتعلق بأحداث حاسمة في تاريخ مصر، فالحلم كان ولم يزل منبعاً فياضاً للأسطورة طوال تاريخه، ومصدراً ثرياً للإلهاماته المتواترة على مستوى الشرق والغرب، رغم اختلاف منطق استخدامه من قبل كلٍّ منهما. فضلاً عما كان للأحلام من دور - كقوالب فنية - في تشكيل القصص الشعبي المرتبط بفراعنة مصر القدامى مع تفاعل المؤثرات الدينية على الأخبار التاريخية التي وجدت طريقها إلى كتابات المؤرخين بعد تحويرها وإعادة صياغتها.

يقول ابن إياس وغيره من المؤرخين: "أن فرعون رأى ثلاثة أحلام في الليلة الأولى؛ سمع في الحلم هاتفاً يقول له: "ويلك يا فرعون، قد قرب زوال ملكك، ويكون على يد فتى من بني إسرائيل". وفي الليلة الثانية؛ رأى في منامه وكان شاباً دخل عليه وهو يركب أسداً عظيمًا، ويده عصا يضرب بها رأس فرعون، وفي الليلة الثالثة؛ رأى نفس حلم الليلة الثانية، ولما جمع الكهنة، أخبروه بولادة مولود لبني إسرائيل، يسلب ملكه، وأشار عليه وزراؤه بأن يحضر إلى قصره كل امرأة أوشكت على الولادة تلد هناك، فإن كان المولود أنثى استحيها، وإن كان ذكراً قتله." [30]. وقد ذكر الإخباريون المسلمون هذا الحديث على خلاف طفيف فيما بينهم والتي لم تكن تلك الأخبار سوى تنويعات على قصة التوراة إذ يعد العهد القديم المصدر المبكر الوحيد الذي ورد فيه ذكر موسى وفرعون، أما المأثورات المتأخرة حول شخصية فرعون موسى والتي وردت في أعمال المؤرخين، فيبدو أنها لم تكن سوى مجموعة كبيرة من الأساطير التي أعادت كتابة التاريخ الذي قدمه العهد القديم والإشارات الواردة بالقصص الديني، فقد ورد في الأساطير اليهودية - خارج العهد القديم - وتسربت إلى كتب التاريخ: "رأى فرعون في منامه؛ أنه بينما كان

جالساً على عرشه دخل عليه كهل، في يده ميزان، فعلقه أمام فرعون، وأتى بكل شيوخ مصر، وأمرانها وكبرانها ووضعهم في كفة الميزان الأولى، ثم أخذ كبشاً أبيض اللون، ووضعته في الكفة الأخرى، فرجحهم الكبش، واندھش فرعون لهذا المشهد. وتساءل عن السبب وعندما استيقظ، دعا جميع عبيده، وقص عليهم حلمه فخافوا، لكن أحد خصيائه أخبره بأن شراً عظيماً يتربص بمصر، حيث يولد في إسرائيل ولد يخرّب جميع أرض مصر، وأشار على فرعون بأن يصدر أمراً بقتل كل مولود ذكر يولد في بني إسرائيل" [31].

وبالمقارنة بين ما كتبه المؤرخون فيما يخص فرعون موسى نجد أنه قد ورد عنصر النبوة - كأحد سمات الأسطورة - في العديد من قصص الإخباريين المسلمين وفي بعض الأساطير الإسرائيلية، وقد اتخذت النبوة في هذه القصص والأساطير شكلين: إما إخبار الكهنة والسحرة والعرافين فرعون بولادة مولود في بني إسرائيل، وإما الأحلام [32]. فيذكر المسعودي: "أن أهل الكهانة والنجوم والسحر أخبروا فرعون أن مولوداً سيولد في بني إسرائيل ويُرّزّل ملكه ويحدث ببلاد مصر أموراً عظيمة.." [33]. ويذكر المقرئزي: "أيضاً، أنه عندما أخبر العرافون فرعون بميلاد ذلك الطفل، منع بني إسرائيل من المماحكة لمدة ثلاث سنين..." [34]. ويذكر ابن كثير: "أن فرعون رأى في منامه وكان ناراً أقبلت من ناحية بيت المقدس فأحرقت دور مصر وأهلها ولم تضر بني إسرائيل.. فأمر فرعون بقتل الغلمان.." [35].

جدير بالذكر. أن الخيال الشعبي قد استعار هيكل تلك الروايات ووظفها في سيرة إبراهيم الخليل U، حيث كان مولد إبراهيم U في عصر الملك النمرود، الذي عُرف بكفره وعصيانته، وحذره المنجمون من أنه سيولد في بلده هذا العام؛ غلام يغير دين أهل الأرض وأن النمرود: "رأى في منامه كوكباً طلع فذهب منه نور الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء، فقال الكهنة: هو مولود يولد في هذه السنة

يكون هلاك أهل بيتك على يديه..". [36]. لتستعين الرواية في سرد سيرة إبراهيم U بالأحداث التاريخية، التي يدعمها النص الديني، تملأ ما تجده من فراغ تاريخي بروايات خيالية أو قصص تعليمية تكشف عن رؤية الجماعة الإنسانية لتاريخها وذاتها، خاصة مع ميل الشعوب عامة إلى قصص حكايات المعجزات والاستماع إليها. فلا غرابة أن تنتزع من سير الأقدمين تلك الأخبار التي تشير إلى المعجزات والنبوءات فينميها القصص الشعبي ويفرد لها قصصاً مستقلة.

المزج التاريخي المشوق، والتداخل بين التصور الديني والتصور الأسطوري لشخصية فرعون مصر. استمر في كتابات المؤرخين المسلمين في إفلات مثير من قيود الزمان والمكان، حيث يبدو هذا واضحاً فيما رواه المؤرخون عن فرعون مصر المدعو "كلكن الجبار" الذي كان يعقد التاج على رأسه، وكانت دار مملكته منف.. وكان نمرود حباراً شديداً البأس، وكان ملكه بالعراق، وكان قد أوتي قوة وبطشاً، فعلم على أكثر الأرض فأراد أن يستوزر كلكن الملك، وبعث إليه في ذلك، فخافه كلكن وأجابه إلى ذلك، ووجه إليه أنه يريد أن يلقاه منفرداً من أهله وحشمه؛ ليريه من حكمته وسحره، فسار النمرود إلى موضع يلقاه فيه كلكن فأقبل كلكن، تحمله أربع أفراس ذوات أجنحة، وقد أحاط به نور كبار، وهو في صورة مهيبة، فدخل بها وهو متوشح تنيناً عظيماً والتنين فاغر فاه، ومعه قضيب أس، فكلما رفع التنين رأسه ضربه بالقضيب الذي بيده، فلما رأى النمرود هالة ما رآه، واعترف له بجليل حكمته، وسأله أن يكون له ظهيراً فعلم..". [37].

هذه القصة الخيالية تحمل ظلاً من الفرضية القائلة: أن الحاكم الذي كان يجمع ما بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية في المجتمع يمارس السحر، يتراءى لعامة الناس كمتبر في أسرارهِ وطوقسه، ليخلق حول شخصه أسطورية سحرية تضيف عليها صفات بطولية أو

- على الأقل - نجعله شخصية مبرزة مرغوبة ويخشى بأسها [38].  
ونجد أن شخصية فرعون مصر ظلت تشغل حيزاً لا بأس به في  
الكتابات التاريخية التي تناولت فضائل وتاريخ مصر القديم. كما أن  
الرواية السابقة قدمت لنا الصورة التي شاعت في المجتمع المصري  
عن فكرة "المخلوقات العجيبة من طير السماء أو وحش الأرض أو  
الماء" والتي تكشف لنا كيف ربط الخيال الشعبي بين هذه المخلوقات  
وبين الحاكم الديني والسحر، فالحاكم الديني أو الساحر يستطيعان  
بحكم قواهما السحرية والدينية أن يستدعيا "التنين الوحش" لتدمير من  
يريدان ، أو لإخافته شخصاً كان أو ربما مدينة.. وهذا يبدو طبيعياً  
طالما ربط الخيال الشعبي بين هذه المخلوقات وبين الحاكم الديني  
الذي يمتلك قوى سحرية ومعجزات أو كرامات يسخر بها قوى ما  
فوق الطبيعة أو يسخر بها المخلوقات الضارة المدمرة والتي ترعب  
الإنسان وتذهب بلبه وتنال منه ومن شجاعته ومن وجوده كله والتي  
تصبح حدماً لمن يملك الطلسم الذي يتحكم فيهم أو من يعرف الاسم  
الذي مكن لسيدنا سليمان أن يتحكم في قوى الطبيعة من رياح  
وأماطار ، وعلى قوة المعرفة التي جعلته يعرف كل اللغات بما فيها  
لغات الطير والحيوان والهوام أيضاً. وحين سرق كتاب السحر من  
تحت إيوانه تعلم منه السحرة والكهنة الكثير من الأسرار وامتلكوا  
الكثير من القوى التي أعارتهم في كثير من الحكايات - القدرة على  
التحكم في الطبيعة والجان والحيوان كـ (التنين). هذا الحيوان  
الأسطوري بما مثله من شخصية هامة في الحكايات الفولكلورية،  
والأساطير التي صاغت فيها الأجيال؛ معتقداتها وصنوف رعبها  
وتشويقها وتصوراتها عن الكائنات القوية والقوى الخفية الكامنة وراء  
ظواهر العالم المرئي وغير المرئي، ومن النسيج المترابط والمتشابك  
المتداخل من الحكى الفولكلوري، والإبداع الأسطوري الذي ظل  
يتناقل شفاهاً من جيل إلى جيل.

### ونستفيد من هذا المقال الآتي:

- 1- كانت كثيرة هي الجهود التي بذلت من جانب المؤرخين؛ للتعرف على فراعنة مصر القديمة، فكانت جهودهم أقرب إلى الأساطير منها إلى التاريخ في بعض موضوعاتها.
- 2- الموروث الشعبي المتعلق بفرعون مصر - الموسوم بالكفر والطغيان في القرآن - يتعاطف كثيراً مع فرعون، ويضفي عليه بعض الصفات المحببة لنفوس العامة في مصر.
- 3- الرواة تزيّدوا وأضافوا ولجأوا إلى تفاصيل لم يشر إليها القرآن.
- 4- إن الكثير من الروايات التي صاغها الوجدان الشعبي حول فرعون مصر، في بعضها صدي لسيرة وكرامات الأنبياء أو محملة بإشارات من قصصهم.
- 5- اختلق الموروث الشعبي بعض الروايات ونسبها إلى كبار الصحاب لإضفاء المصداقية على ما يقولونه، فجاء فرعون في المحيلة الشعبية المصرية بصورة مغايرة عما جاء به في النصوص الدينية.

مصادر بحث د. عمرو عبد العزيز منير سيجدها القاريء في موقع المقال على الإنترنت

## جبل البركل.. دجو والاب.. الجبل المقدس

Posted on August 20, 2015 by civicegypt

### خالد زكي

كما نعلم جميعاً أنَّ (الدولة) الكيميائية ممتدة من منابع النيل الى المصب، وسوف بصعد سوياً في هذا المقال الى إقليم هام جداً لدى الحضارة الكمتية العظيمة وهو إقليم كمت العليا (السودان حالياً)، بالتحديد منطقة نبتة بالقرب من الشلال الخامس. كما وضحنا من قبل إنَّ الانسان المصري يتناغم دائماً مع الكون ويتأخذ ماتحتويه الطبيعة مصداقاً لالهامه فهو دائماً في محاكاة مع الطبيعة..

### أهمية نبتة الاستراتيجية:

لم تكن نبتة في الغالب، بموقعها على الضفة اليمنى للنيل بحوالى 40 كيلومتر أسفل الشلال الرابع، ذات أهمية مبياء نهرياً ذلك ان التيار هناك كان سريعاً للغاية بحيث يجعل الإبحار غير عملي. يبدو ان أهميتها تجسدت في موقعها عند نقطة العبور النهرية للطريق البري الذي يربط منطقة الشلال السادس بالشلال الثالث. كانت ولا شك معبراً نهرياً ومحطة جمركية هامة، تجمعت فيها وحربت البضائع الأفريقية المختلفة قبل الإرتحال شمالاً الى كمت السفلى (مصر)

مع الوقت، أخذت أهمية نبتة الإستراتيجية في التراجع أمام أهميتها الطقوسية، المشتقة من جبل البركل.. سمي المصريون الصخرة دجو – والاب {الجبل الطاهر او المقدس} وحدوده بوصفه مكان الإقامة للهيئة البدئية للنتر أمن. آمن إجدادنا بأن جبل البركل هو مقر تقديس آمن مانح السلطة الملكية.. الناظر الى (جبل البركل) يجده ينتصب في قعر انحناء النيل العظيم.. حيث يبقى نهر النيل محيطاً به من جهات ثلاث:

### اهمية النتر آمن وتجلياته:

سمة لافتة للإنتباه في طبيعة آمن – أو أمون- كانت هي قدرته على إمتصاص هويات وكيونات النترو الآخرين في كينونته، التي كانت مختلفة.. لاسم امن {المخفى}... فاعتبر اجدادنا العظماء ان كل نتر من النترو هو تجلية من تجليات آمن. مع الوقت، بالتالى، نال أمون هوية وكيونة آمن \_ رع الخالق البدنى ونتر الشمس الهليوبولسى. جعله هذا أبا للنترو... انه كان الشمس في كافة أشكاله الأخرى؛ رع، وهور أختى، وخبرى. امتزج أمون أيضا مع مين وأوزير، نتر الخصوبة والفيضان، واستولى على وظائفهما. كان أمون في ذات المظهر التناسلى، معروف باسم كاموتف، ثور والدته، مما يلح الى قدرته في إعادة خلق ذاته أبنا لنفسه الملك {الذى كان هو الثور {كا} والذات الإلهية الثنائية {كا}. عندما يموت الملك، يمتزج مع النتر ليصبح بالتالى أبا لذاته {كا = فالوس = جداً أعلى}، تحبل به النتر موت {الأم}، التي كانت زوجة للنتر الى جانب كونها والدة الملك المقدسة

### أهمية مقدسة بجبل البركل نسبة لشكله الشاذ:

لم يكن التل منعزلاً فحسب في وسط صحراء مسطحة وتميز بمنحدر صخري شاهق، يبلغ ارتفاعه 90 متراً و 200 متراً في الطول، ولكن ركنه الجنوبي الغربى علم ببرج هائل يقف منفصلاً، يبلغ حوالى 75 متراً في الإرتفاع هذا الحجر الضخم الواقف على شكل عمود أو مسلة يحمل مظهر تمثال، لكن بلا شكل محدد، وقد يجوز تخيل أنه بالفعل كذلك. من جانب، يمكن النظر اليه بوصفه تمثالا لملك أو إله واقف، يلبس التاج الأبيض. ويمكن النظر اليه عضوا تناسليا منتصباً، ويمكن أيضا النظر اليه كوبرا منتصبه عموديا يضع التاج الأبيض على رأسه. تكشف الوثائق القديمة، المكتوب منها والمصور، ان الصخرة قد تم تخيلها بكل تلك الصور

الأزمان ما قبل التاريخية. ولا بد وان اجداننا كانوا قد تقبلوا أولوية الموقع وأقدميته، ذلك أنهم جعلوا أمن هذا المكان النتر العظيم لكل العصور، الواحد البدني..

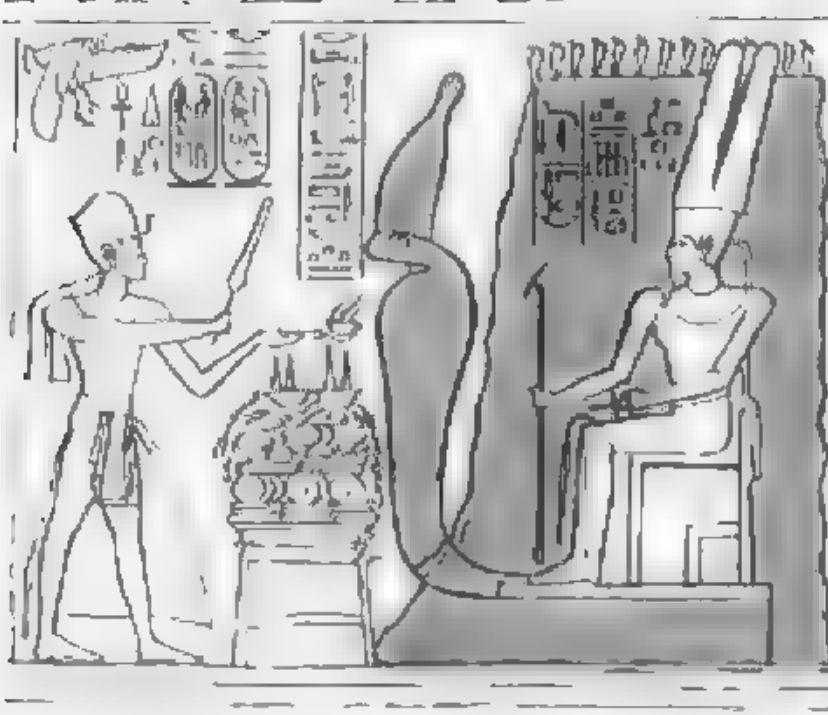
### اسطورة متداولة عن هذا الجبل المقدس:

وقصة هذا الجبل طبقا للأبحاث المتداولة هي عبارة عن اسطورة معقدة تحكي تاريخ المنطقة الممتدة من مدينة اسوان جنوبي مصر وحتى البركل حيث كان قدماء المصريين يعتقدون بأن الجبل هو نهاية الدنيا أو عالمهم الروحي، والآثار الموجودة على الجبل تدل انه كان قبلة رئيسية لتقديس امن رع ويعتقد الناس ان (الإله) أمن هذا هو جبل البركل نفسه.

وتشير اسطورة متداولة إلى ان إحدى ملكات (بلاد) كمت قصبتها قوة شر وحاولت قتلها ونجت الملكة بنفسها وهاجرت إلى الجنوب لتستقر في منطقة الجبل وأتى أحد ملوك كمت يدعى امليتو لإرضائها وإرجاعها إلى مصر ورضيت ورجعت لكنها عادت مرة أخرى إلى الجبل وهذه تعرف حسب المؤرخين بأسطورة الرأس المقدس.

ويتشكل الجبل من مجموعة كتل تمثل ثلاثة مقرات ضخمة كانت عبارة عن معابد، أكبرها خاص بالملك أو النتر، والأخريات خاصات بزوجاته، وعلى قمة الجبل توجد كتلة صخرية أشبه بالإبرة وتتمتع بأهمية كبيرة وهي عبرة عن رمز للمليكة المقدسة، بالإضافة إلى معبد آخر بعيد يعرف بمعبد دوت، وهو كان قد خُصص لولادة الملكات ليفمن داخله طوال فترة الحمل فيضعن بداخله.

وهناك رموز أخرى على الجبل من الحجر في شكل ثعبان يعرف بثعبان الكوبرا، وصورة لإنسان يعرف بقرص الشمس على رأسه تاج وكوبرا، أما هذه الآثار من حيث الأهمية فأهمها هو معبد



الإله آمون جالس بجبل البركل

اعتقد المصريون بأن أمن النبتى سكن فى داخل الجبل، خلف المنحدر الصحرى الشاهق، محفياً عن الرؤية القاتلة. شيدوا كذلك بربابى (معابده) وأيضاً معابد النترى الآخرين المرتبطين به مباشرة أمام المنحدر الصحرى الشاهق، مع محاورها متجهة الى الجبل. فى الأزمان اللاحقة سيكون هناك معبدان كبيران شُيدا أمام جبل البركل، الأول مكرس للهيئة الجنوبية لأمن والأحر لهيئته الشمالية. الوضع نفسه يصح بالنسبة لطيبة، مع معبد الكرنك مكرساً للهيئة الشمالية، ومعبد الأقصر للهيئة الجنوبية.

### جبل البركل وتتويج الاحرار (الملوك):

يبدو ان جبل البركل كان المركز الرئيسى للتتويج الملكى والطقوس الملوكية. لقرون حضر كل ملك جديد الى جبل البركل لتعزيز شرعيته وتتويجه عن طريق النتر الذى يسكن داخل الجبل،

كما فعل بالتحديد الملوك فى عصر المملكة الحديثة. على امتداد فترة حكمهم قام كل ملك باستشارة الوحي الإلهى فى شئون الدولة وإدارة الحرب. حتى وقت مبكر من القرن الثالث ق.م. يقال بأن الوحي نفسه كان يقوم بإخطار الملك عن طريق رسالة بموعد إنتهاء فترة حكمه! سافر الملوك مسافة 230 كيلومتر من مروي الى نبتة ليدفنوا فى أهرام شيدت لهم عبر النهر بمواجه جبل البركل فى نوري، آخذين فى الحسبان وجود معبد فى الوادي، غالباً لغرض التحنيط. يجوز للمرء ان يفترض ان معظم الملوك قاموا بالرحلة الى الجبانة وهم لازالوا أحياء.

### حكاية نقش:

تصور المصري القديم ان جبل البركل بمملكة نبتة هو موطن (الإله) آمون المُقَدَّس، فنجد فيه نقشاً يصور الملك رعمس الثاني وهو يحرق البخور وهو يمسك بعصا الخرب او السخم حتى يتمتع المقدم له القرابين بالقرابين المقدمة له، وامامه مائدة قرابين وجد الالهة نخبث على شكل الرخمة ويتدلى من مخالبتها رمز الشن لحماية الملك، وهذه القرابين مقدمة للاله آمون وهو جالس على عرشه داخل جبل البركل- جبل آمون المقدس - ويمسك بيديه علامات الواس والعنخ رموز السلطة، ويَزيّنُ الجبل من اعلى حيات الكوبرا للحماية، وتخرج من عرش آمون حيّة كوبرا عملاقة وتلبس تاج الوجه القبلى. (انظر فى اليوم الصور)

### تأثر الكوشيين بأمن او أمان او أمانى:

كانت (بلاد) كمت هى الام وهى الشمس، وكل اقليم مصري يسبح فى فلکها. تأثر الكوشيين بالنثرو وأصبحوا يتناغمو مع الطبيعة مثل اجدادهم فى كل (بلاد) كمت. ففي الاسر الحديثة أتخذ النثر الرئيس لدى المرويين هو آمون أو أمان او أمانى. قدّس

الكوشيون (الإله) أمان منذ عهد أسرة كريمة. تقديس أمان (المدة) طويلة الأمد في كوش قد تفسر وضعه العالي على امتداد (المملكة) المروية. قد يفسر هذا تأسيس معابد ضخمة لأمان في كل من جبل البركل ومروي.

(هذا وقد) كان مركز تقديس أمان في نبتة. ارتبط أمان الإله المخفي بالملكية المروية وكننتيجة (لذلك) وجدت معابد له في مدينة مروي، ونبتة، وكوة.

### من أشهر المواقع الأثرية في محيط وداخل الجبل المقدس

مدينة الملك بعانخي القديمة بر عنخ امن رع - معبد امون رع - والكهف الموجود في الجبل يحمل على سفحه وفي جوفه أساطير وحقائق واسراراً صامتة وغامضة تماماً بنقوش هيروغليفية.... ويوجد بها معابد متعددة وأهرامات نصبت على الطراز الكمي، ومحاكاة مع النترو المعروفين لدى طيبة... تحاصرها الرمال من كل جانب، كما يوجد معبد للنتر موت بجرنه المنحوت في باطن الجبل، فضلاً عن قصور أشهرها قصر الملك نتكامني.

حدث في عام 24 قبل الميلاد أن هوجمت نبتة، ودُمرت، وسُويت بالأرض عن طريق الجيش الروماني. يبدو أن هذا الحدث هو الذي حث على آخر عملية ترميم لمعابد البركل عن طريق الثنائي الملكي المروي نتكاماني وأمانى تاري في القرن الميلادي الأول.

المؤسف أنه بعد حكمهما الثنائي، فإننا لا نعرف شيئاً عن الموقع أو استخدامه المستمر. تاريخ الموقع في العصرين المروي المتأخر وما بعد المروي (حوالي 100-600 ميلادية) غامض. بعد تأسيس المملكة الدنقلاوية المسيحية المغرة، ضُمت نبتة القديمة ومعابد جبل البركل إلى قرية مسيحية...

## يستفاد من هذه المقالة الآتي:

- 1- كان المصريون القدماء يسمون جبل البركل باسم "تاج الأرضين".
- 2- تاريخ هذا الجبل عبارة عن حقائق واساطير معقدة تحكي تاريخ المنطقة الممتدة من مدينة اسوان جنوبي مصر وحتى البركل حيث كان قدماء المصريين يعتقدون بأن الجبل هو عالمهم الروحي ونهاية الدنيا.
- 3- ما زال جبل البركل والكهف الموجودة فيه تحمل أساطير وحقائق واسراراً صامتة وغامضة تماماً بنقوش هيروغليفية تحتاج لفك طلاسمها.
- 4- حدث في عام 24 قبل الميلاد أن هوجمت نبتة، ودُمرت، وسُويت بالأرض عن طريق الجيش الروماني.
- 5- كانت بلاد السودان القديم هي الام وهي الشمس، وكل اقليم مصري يسبح في فلکها.
- 6- تصور الإنسان المصري القديم أن جبل البركل بمملكة نبتة هو موطن الإله آمون المُقَسَّس عندهم.
- 7- كان جبل البركل هو المركز الرئيسي للتتويج الملكي والطقوس الملوكية في المنطقة لعدة قرون.
- 8- تصور المصريون القدماء أن جبل البركل امتداداً بعيداً للكرنك واعتقدوا أن كلا الموقعين: البركل والكرنك، كانا بمثابة تحليلين أحدهما للآخر.
- 9- يوجد على الجبل حث من الحجر في شكل ثعبان يعرف بثعبان الكوبرا، وأيضاً توجد صورة لإنسان يعرف بقرص الشمس على رأسه تاج وثعبان الكوبرا.

## الختم

وفي الختم نردد مع الإمام الزمخشري دعاءه الذي يقول فيه:

يا من يرى مد البعوض جناحها \*\*\*

في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى مناط عروقها في نحرها \*\*\*

والمخ من تلك العظام النحل

ويرى خريز الدم في أوداجها \*\*\*

متنقلاً من مفصل في مفصل

ويرى الجنين ببطنها \*\*\*

في ظلمة الأحشاء بغير تمقل

ويرى مكان الوطة من أقدامها \*\*\*

في سيرها وحثيثها المستعجل

ويرى ويسمّع حس ما هو دونها \*\*\*

في قاع بحر مظلم متهول

امنن عليّ بتوبة تمحو بها \*\*\*

ما كان مني في الزمان الأول

{وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا جِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} {وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} <sup>240</sup> فاشهد ألا إله إلا الله شهادة ألقى بها ربي، ويغفر بها نبي رحمة من عنده الواحد الأحد، الفرد الصمد، والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات، وقل ربي زدني علماً.

<sup>240</sup> القرآن الكريم، سورة المؤمنين، آية 117-118

## المؤلف في سطور



تاريخ ومكان الميلاد:

10 رمضان 1380 هـ الموافق الأحد فبراير 1961م بمدينة

شندي

المؤهلات العلمية:

ماجستير في ادارة مؤسسات التعليم العالي من جامعة كابلن

بالولايات المتحدة الأمريكية.

بكلوريوس علوم سياسية من جامعة أيوا Iowa بالولايات المتحدة

الأمريكية

بكلوريوس صحافة واعلام من جامعة أيوا Iowa بالولايات

المتحدة الأمريكية

خبرات العمل العام:

- رئيس اتحاد الطلبة المسلمين بجامعة أيوا بالولايات المتحدة

- شارك في تأسيس عدد من المراكز الإسلامية بالولايات

المتحدة

- أسس وأدار عدداً من المؤسسات التعليمية بالولايات المتحدة
- شارك في تأسيس عددٍ من منظمات المجتمع المدني

#### بالمسودان

- أحد مهندسي مبادرة أهل الله لاصلاح ذات البين في دارفور التي أصبحت مخرجاتها أساساً لإتفاقية الدوحة.
- قدم في عام 1995 مشروعاً لمعهد الدراسات الاستراتيجية يدعو فيه لتأسيس مكتبة وطنية، ومكتبات ولائية، ومكتبات عامة، ومكتبات رئاسية.

#### الخبرات العملية:

- تقلب في عددٍ من الوظائف الإدارية غير الحكومية
- يعمل في القطاع الخاص رجل أعمال.

#### النشاط الفكري:

- له كتاب "الحساب الفلكي وتحديد بداية ونهاية الشهور العربية".

- له كتاب "الدستور الدائم: مقترح ومفاهيم"
- له عدد من المخطوطات التي لم تنشر بعد.
- نشر مقالات وبحوث متنوعة تجاوزت ال 130 في الصحف السودانية وشبكة الإنترنت.

- لا ينتمي سياسياً لأي حزب، ولا جماعة، ولا مذهب من المذاهب.

- له اجتهادات ونظرات خاصة في مجال السياسية والفقه.

## مراجع الكتاب

- 1- القرآن الكريم
- 2- التوراة
- 3- تفسير الطبري
- 4- تفسير الزمخشري
- 5- تفسير ابن كثير
- 6- تفسير ابن عطية
- 7- تفسير البيضاوي
- 8- تفسير القرطبي
- 9- تفسير السيوطي
- 10- تفسير مقاتل بن سليمان
- 11- تفسير الشوكاني
- 12- تفسير الرازي
- 13- تفسير الألوسي
- 14- تفسير ابن عاشور
- 15- تفسير ظلال القرآن
- 16- تفسير الشيخ الشعراوي
- 17- تفسير الشيخ طنطاوي
- 18- تفسير الشيخ حسن الترابي
- 19- تفسير الكتاب المقدس
- 20- السودان الوعي بالذات وتأسيس الهوية، د. أحمد الياس حسين
- 21- مقالات منقولة من شبكة الإنترنت لأصحابها
- 22- الاكتشاف العظيم: الشواهد والدلالات البجاوية والفرعونية، عبد الله أوبشار
- 23- الأصل الأفريقي للحضارة: أسطورة أم حقيقة، Sheikh Anna Diop
- ترجمة محمد السيد علي.
- 24- لسان العرب لابن منظور
- 25- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي
- 26- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي

- 27- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة
- 28- تاريخ قبائل البجة بشرق السودان، أ. بول ترجمة د. أوشيك آدم علي
- 29- الإكتشاف العظيم: الشواهد والدلالات الجاوية والفرعونية، عبد الله أوبشار
- 30- اليعقوبي، فتوح البلدان
- 31- تفسير القرآن الكريم، إذاعة أم درمان، د. عبد الله الطيب، سورة الكهف
- 32- مسائل الممالك، أبو اسحاق الإصطخري
- 33- وكبيديا الموسوعة الحرة <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- 34- صفحة الباحثون المصريون على شبكة الإنترنت [egyres.com](http://egyres.com)
- 35- مصر العربية على الإنترنت <http://www.masralarabia.com>
- 36- صحيفة الراكوبة الإلكترونية <https://www.alrakoba.net/news>
- 37- موقع المعرفة <http://www.marefa.org>
- 38- دأثره المعارف الكتابية المسيحية
- 39- عبد الله سليم عمارة- القدس: التسمية والتاريخ والتراث
- 40- Chancellor Williams, The Destruction of Black Civilization, Third World Press, 1987

## **E-KUTUB**

Publisher of publishers

**Amazon & Google Books Partner**

No 1 in the Arab world

Registered with Companies House in England  
under Number: 07513024

Email: [ekutub.info@gmail.com](mailto:ekutub.info@gmail.com)

Website: [www.e-kutub.com](http://www.e-kutub.com)

**Germany Office: In der Gass 10,  
55758 Niederwörresbach,**

**Rhineland-Palatinate**

UK Registered Office:

28 Lings Coppice,

London, SE21 8SY

Tel: (0044)(0)2081334132